غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الرابع والتسعون

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

غير مرخصة للطباعة

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

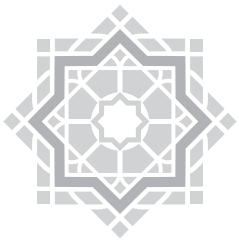

المحور الحادي عشر
خطب الجمعة

١٨٦ خطب الشيخ القرضاوي ٢٣

١٨٧ خطب الشيخ القرضاوي ٢٤

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

المحـور الحادي عشر

خطـب الجـمعة

١٨٦

خطب الشيخ القرضاوي

٢٣

غير مرخصة للطباعة

إعـــداد

المكتب العلمي للشيخ

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**القلوبُ أوعيةٌ، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل أيُّها الناس، فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنَّ الله لا يستجيبُ لعبدٍ دعاه عن ظهر قلبٍ غافلٍ**». رواه أحمد.

وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكنَّ الواصل الذي إذا قُطِعَتْ رحمُه وصلها**». رواه البخاري.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مثلُ الجليس الصالحُ والسوء، كحامل المسكِ ونافخ الكير، فحامل المسك: إمَّا أن يُحْذِيَكَ، وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيِّبة، ونافخ الكير: إمَّا أن يحرق ثيابَك، وإمَّا أن تجد ريحًا خبيثة**». متفق عليه.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١

الدعاء في القرآن الكريم (١)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نعود إلى ما كُنَّا فيه من قبل من الحديث عن القرآن، وموضوعات القرآن، وقد سرنا أشواطًا حول أسماء الله الحُسنى في القرآن، واليوم نعود إلى القرآن وموضوعاته، ونبدأ بالدعاء في القرآن.

الشعور بالافتقار إلى الله روح العبادة:

القرآن الكريم يأمرنا أن ندعو الله تبارك وتعالى، وأن نسأله من فضله، كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. ويقول النبيُّ ﷺ: «**الدعاءُ هو العبادة**». ويستدل بهذه الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾[٢]. أي عن دعائي، ممَّا يدل على أنَّ الدعاء هو العبادة.

---

(١) ألقيت بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٧ يناير ٢٠١١م.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٨١)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال: حديث صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، عن النعمان بن بشير.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وهو يُستعمل في هذا المعنى كثيرًا جدًّا في القرآن الكريم، ذلك لأن روح العبادة هي الشعور بالافتقار إلى الله، والتضرع إليه، والابتهال إليه، هذا الشعور هو روح العبادة، هو مخُّ العبادة، ولذلك قال: «**الدعاء هو العبادة**».

ولهذا يأمرنا الله ﷻ أن ندعوه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

إجابة الدعاء لا تنقص من ملك الله شيئا:

نحن في حاجة إلى أن ندعو الله ﷻ لأنَّنا الفقراء وهو الغني، ولأنَّنا الضعفاء وهو القوي، ولأنَّنا العاجزون وهو القادر، مهما سألنا الله ﷻ فلن يُعْجِز ذلك ربَّنا، ولن ينقص من خزائنه شيئًا. وفي الحديث القدسي الصحيح: «**يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم، وإنسكم وجنَّكم اجتمعوا في صعيدٍ واحد، فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحدٍ مسألته**»، لو أنَّ كلَّ الخلائق من إنسها وجنِّها، وعربها وعجمها، وأبيضها وأسودها اجتمعوا في مكان واحد، وطلب كل واحد من الله ما يريد، فمن يريد غنى، ومن يريد أولادًا، ومن يريد زوجة، ومن يريد منصبًا، وأعطى الله الجميع، «**ما نقص ذلك من مُلْكي شيئًا إلَّا كما يَنْقُص المخيطُ إذا أُدخل البحر**»[1]. المِخْيَط أداة الخيط أو الإبرة، لو أدخلت الإبرة الخليج، أو البحر الأبيض أو الأحمر؛ فماذا تأخذ منه، لو كانت قطنة فربما أخذت شيئًا، لكنها إبرة ملساء فماذا تأخذ، لا ينقص من ملك الله شيء.

(١) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اليقين في الإجابة:

ولذلك يقول النبي ﷺ: «**ادعوا اللهَ وأنتم مُوقنون بالإجابة**»[١]. لا تقل: يا ربِّ، اغفرْ لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت. لا، بل اجزم المسألة واطلب من غنيٍّ كريم.

ولذلك اطلب أحسن الأشياء، علَّمنا النبيُّ ﷺ: «**إذا سألتم الله الجنَّة؛ فاسألوه الفردوس، فإنَّه أعلى الجنان، وفوقه عرش الرحمن**»[٢]. لا تقلْ: يا ربِّ، أدخلني الجنَّة في آخر فوج. لا، اطلب يا أخي أفضل شيء، فأنت تطلب من كريم؛ بل من أكرم الأكرمين، الرسول يُعلِّمك الطموح إلى المعالي، اطلب الفردوس الأعلى.

الله تعالى قريب من عباده:

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. هذه إحدى الأسئلة في القرآن، ولكنَّها اختلفت عن أسئلة القرآن جميعًا، كل الأسئلة في القرآن، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، كلُّها جاءت بـ «قُلْ»، ولكن لما سألوه عن الله: أقريبٌ ربُّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ لم يقل لهم: قل لهم: إنِّي قريب. لا، ولكن قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٣]. لا أريدك أنْ تجيبهم، أنا أجيبهم مباشرة.

---

(١) رواه أحمد (٦٦٥٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في المجمع (١٧٢٠٣): رواه أحمد، وإسناده حسن. وحسَّنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤٩١/٢، ٤٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٠/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

غير مرخصة للطباعة

هذا ليزيل الله الوساطة بينه وبين عباده، ففي بعض الأديان وُجِد أناس يحتكرون الوساطة بين الله وخلقه، السَّمْسرة بينهم وبين الله، وأصبحوا يبيعون الجنَّة وصكوك الغفران بالآلاف وبالملايين، ولكن في الإسلام ليس هناك بين الله وعباده واسطة، تستطيع أن تصلي في المسجد، وأن تصلي في غير المسجد، وأنت مسافر وحضر وقت الصلاة في الطريق انزل وصلِّ في أيِّ مكان، «**جُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا**»[(١)]، ليست هناك ضرورة لأنْ يكون هناك إمامٌ تُصَلِّي وراءه، كُنْ أنت إمامَ نَفْسِك، ولو كان أولادك معك صلِّ بهم، لا يوجد في الإسلام وسيط، أنَّك لا بدَّ أن تُصَلِّي وراء شيخ، أو لا بدَّ أن تحجَّ وراء مُطوِّف، لا، كلُّ مسلم يستطيع أن يتقرَّب إلى الله بنفسه.

ولذلك يمكنك أن تدعو الله وحدك أو مع الناس، إذا كانت لك مع الله حاجة لا تريد أن يعرفها الناس: أسِرَّ إلى الله بما في نفسك، كما فعل زكريَّا، ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٣ ـ ٦]، فيمكنك أن تُسِرَّ الدعاء إذا كنتَ وحدك أو مع النَّاس.

وإذا كان هناك دعاءٌ جماعيٌّ كما يدعو الإمام في الصلاة فليجهرْ، ولكن جهرًا متوسطًا، ليس صياحًا ولا صراخًا، ولذلك لما وجد النبيُّ ﷺ الصحابة يصيحون بالدعاء قال: «**اربَعُوا على أنفسكم؛ فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّما تدعون سميعًا قريبًا**»[(٢)]، وفي رواية: «**إنَّ الَّذي تدعون**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٤)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

أقربُ إلى أحدِكم من عنق راحلته»[١]. من رقبة الدابَّة، الله قريب منا، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، حبل الوريد عرق في العنق.

الله تعالى لا يضيق بالسائلين:

الله قريب منَّا، ولذلك علينا أنْ ندعوَه بكل ما يعنُّ لنا، كل ما نحتاج إليه: لنا ولأهلينا، ولأولادنا ولإخواننا، ولأمَّتنا ولكل مخلوق يعزُّ علينا، ندعو الله له، ادعُه بحاجاتك الرُّوحيَّة: بالإيمان والتقوى والاستقامة والتوبة، وحاجاتك الماديَّة: بسعَة الرزق إذا كان عندك ضيق، وبالتيسير إذا كان عندك عُسر، وبالأولاد إذا كنت محتاجًا إليهم، كلُّ ما تحتاجه اطلبه من الله، حتَّى شِسْع نعلك، اطلب كل شيء من ربك ﷻ، فهو أغنى الأغنياء، وهو القادر وحده على أن يجيب دعوتك، كما قال الشاعر:

اللهُ يَغْضَبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وبُنَيُّ آدَمَ حينَ يُسألُ يَغْضَبُ[٢]

لماذا تسأل النَّاس وهم يضيقون بمن يسألهم؟ اسأل من لا يضيق بمن يسأله، بمن يحبُّ دائمًا أن تسألَه، وتدعوه وتبسط كفيك إليه، ادعوا الله يستجب لكم، هذا وعد من الله ﷻ.

الدعاء من قدر الله:

بعض النَّاس يسأل: إذا كان الله قدَّر عليَّ الغنى، سيأتيني الغنيُّ من غير أن أسأله، وإذا كان الله قدَّر عليَّ الفقر، فسينزل عليَّ الفقر، فلماذا

(١) رواه أحمد (١٩٥٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (١٢٥/١) دون عزو، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

أدعو؟ لكن هذا فهم خاطئ؛ لأنَّ الدعاء هو من القدر، كما سُئل النبي ﷺ عن الأدوية نتداوى بها: أتردُّ من قدر الله شيئًا يا رسولَ الله؟ قال: «**هي من قدر الله**»[١]. المرض من قدر الله، والدواء من قدر الله، فنحن ندفع قدرًا بقدر، والدعاء من قدر الله، إذا كان الله قد قدَّر لك الغنى فإنَّ من أسباب الغنى أن تدعو الله ﷻ، ادعُ الله بالغنى، فإذا دعوت الله كان هذا الدعاء من الأسباب، والأسباب مقدَّرة كما أنَّ المسبَّبات مقدَّرة.

مراعاة السنن والأسباب مع الدعاء:

ولكن ينبغي أيضًا أن تراعي في طلبك سنن الله وقوانينه في الأسباب والمسبَّبات، فلا تقل: يا رب، ارزقني الغنى؛ وأنت نائم في بيتك، لا تريد أن تعمل ولا تريد أن تتعب، إذا أردت أن تكسب وتنال حظَّك في الحياة، وتزاحم غيرك في الحياة؛ فلا بدَّ أن يكدَّ يمينَكَ، ويعرق جبينَكَ.

بقَدْرِ الجِدِّ تُكتسبُ المعالي ... ومَن طلبَ العُلا سَهِرَ اللَّيَالي
ومَن طلبَ العُلا من غير كدٍّ ... أضاعَ العُمْرَ في طَلَبِ المُحَالِ[٢]

فلا بدَّ أن تبذل جهدك، ولسيَّدنا عمر كلمة حكيمة، يقول: لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهمَّ ارزقني. وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضَّة، إنَّما يرزق الله النَّاس بعضهم من بعض، أمَّا

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.

(٢) ذكرهما المناوي في فيض القدير (٥٠٥/٤)، من غير نسبة، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

سمعتم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠][1]؟ ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]، التمسوا الرزق في خبايا الأرض، أمَّا أن تريد أن يرزقك وأنت جالسٌ؛ فهذا لا يتَّفق مع سنن الله.

نقول: يا ربِّ، انصُرْنا على اليهود. ونحن لا نريد أن نُضَحِّي بأنفسنا، لا نريد أن نجاهد في سبيل الله! نريد أن ننتصر على اليهود بالمفاوضات: نبدأ منها، ونعود إليها! الأمَّة لا تريد أن تجاهد، وتقول: يا رب انصرنا! كيف ينصرها؟!

انظروا، القرآن يحكي لنا عن أصحاب طالوت، متى سألوا الله النَّصر؟ قال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. دعوا لمَّا دخلوا المعركة، وتواجهوا مع عدوهم، ووضعوا رؤوسهم على أكفِّهم، وضحَّوا بمُهجهم وأرواحهم، هنا دعوا: ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

لا بدَّ ـ إذن ـ أن تأخذ في اعتبارك سُنن الله، إذا طلبت شيئًا لا بدَّ أن تعمل له، النبيُّ ﷺ قال له أحد أصحابه: يا رسولَ الله، ادعُ الله لي أن أرافقك في الجنَّة. فقال له: «**أعنِّي على نَفْسِكَ بكثرةِ السجود**»[2]. أنا أدعو لك، لكن أيضًا حتَّى يتحقَّق الدعاء، أعنِّي على نفسك بكثرة السجود والصلاة لله ﷻ، والسجود كناية عن الاستقامة على أمر الله، والعمل بأحكام الله وبشرائع الله، «**أعنِّي على نَفْسِكَ بكثرة السجود**».

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٦٢/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٩)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٢٠)، عن ربيعة بن كعب الأسلمي.

QaradawiBooks.com

مرَّ الحسنُ البصري على رجلٍ يَصَلِّي ويعبث بالحصى، ويقول في سجوده: اللهمَّ أدخلني الجنَّة وزوِّجني من حورها العين. فقال: بئس الخاطب أنت؛ تخطب الحور العِين وتعبث بالحصى[1]! أي كن خاشعًا في صلاتك ودعائك؛ حتَّى تصل إلى مبتغاك.

سؤال خيري الدنيا والآخرة:

من أراد أن يدعو فليستحضر هذه المعاني، ليحترم سنن الله، ليراعِ الأسباب والمُسبَّبات، وليسأل الله ما يشاء من خيرات الدُّنْيا وخيرات الآخرة، الدعاء لا يشتمل على خير الآخرة وحدها، ولا خير الدُّنْيا وحدها، ذمَّ الله قومًا يقفون في مواقف الحجاج قال: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، يقول: يا رب ارزقني الأموال، وارزقني الأولاد، وارزقني الجاه، وارزقني الصحَّة. ولا يفكر في الآخرة ولا في الجنَّة، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. هذا هو المحمود من الداعين، يدعو بحسنة الدُّنْيا، وحسنة الآخرة، ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ أكثر ما يدعو بهذا الدعاء: «**ربَّنا آتِنا في الدُّنْيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**»[2].

كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو فيقول: «**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمة أمري، وأصلحْ لي دُنْياي الَّتي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي الَّتي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لنا في كلِّ**

(١) إحياء علوم الدين (١٥١/١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٥٢٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

خير، واجعل الموت راحةً لنا من كلِّ شرٍّ»[1]. انظر كيف جمع في دعائه خير الدِّين، وخير الدُّنْيا، وخير الآخرة! ومعظم أدعيته ﷺ من هذا النوع الجامع، وهكذا ينبغي أن تكون أدعيتنا.

العجيب أنَّ القرآن لما ذكر لنا موقف النَّاس في الحجِّ ذكر طلاب الدُّنْيا، وطلاب الدُّنْيا والآخرة، ولم يذكر لنا الصنف الثالث الَّذي يقول: ربَّنا آتنا في الآخرة وما له في الدُّنْيا من خلاق. لأن هذا الصنف غير موجود، ولا ينبغي أن يكون موجودًا، لأن الإنسان ما دام إنسانًا بشرًا: له حاجات البشر وحاجات المخاليق، لا بدَّ أن يسأل الله حاجته في الدُّنْيا، أمَّا أن يسأل الله حاجته في الآخرة دون حاجته في الدنيا؛ فهذا غير موجود، ولذلك أعرض القرآن عن هذا الصنف ولم يذكره، وذكر لنا الصنف الَّذي يجمع بين الحسنتين، وينبغي أن يكون هذا شأن المسلم، يريد أن تكون له دنيا مُيسرة، فالمسلم ليس ممنوعًا عليه أن يتمتَّع بطيبات الرزق، أن يتمتَّع بنعم الله ﷻ، المهم أن يشكر الله تعالى على هذه النعم.

الدعاء للنفس والأسرة والأمة:

كما ينبغي أن يسأل الله من هذه الخيرات لنفسه ولإخوانه وللمسلمين ولأمَّة الإسلام جميعًا، لا ينبغي للمسلم أن يكون أنانيًّا، إذا دعا الله دعا لنفسه فقط، لا، بل ادعُ للنَّاس جميعًا، القرآن علمنا أن ندعو في سورة الفاتحة حينما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]. لماذا ندعو الله بصيغة الجمع؟ أنت تصلي وحدك في قعر بيتك، لا تقل: اهدني الصراط المستقيم. وإنَّما تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. لماذا؟ حتَّى لا تكون أنانيًّا فتكون الدعوة لك فقط، ولأن

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠) عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

تريد أن يحشرك في زمرة هؤلاء، حتَّى تدخل في الرحمة الَّتي تنزل بهؤلاء جميعًا، ربَّما تكون عندك حواجز تمنعك من استجابة الدعاء، ولكن لو دخلت في جماعة المؤمنين؛ ربَّما كان منهم الصالحون والأتقياء والعبَّاد والزهَّاد، والَّذين يخشون الله ﷻ ويخافون حسابه؛ فيستجيب الله لك، تقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. ولذلك المشروع في الدعاء: أن تدعو لك ولإخوانك، وللمسلمين جميعًا.

فضل دعاء المؤمن لإخوانه بظاهر الغيب:

ومن يدعو لإخوانه فإن دعاءه مستجاب، من الأدعية المستجابة دعوة غائب لغائب، دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، يرد عليه ملك ويقول: «**آمين، ولك بمثلٍ**»[1]. إن كنت تدعو لأخيك أن يستر الله عليه ولا يفضحه، ويكرمه ولا يهينه، ويعطيه ولا يحرمه، ويزيده ولا ينقصه؛ الملك يقول لك: آمين، يستجيب الله لك، ولك بمثل. فدعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة وله بمثلها.

ولذلك أكثروا من الدعاء لإخوانكم وأحبابكم ولأمَّة الإسلام، وخصوصًا في عصرنا هذا، أمَّة الإسلام عليها مكايد ومؤامرات، هي أضعف من أن تقاومها؛ لأنَّها بعيدة عن دينها، بعيدة عن مقويَّاتها، عن الأسس والأركان الَّتي تعتمد عليها، عن الحصن الحصين، والركن الركين، والحبل المتين الَّذي تعتصم به، ولذلك هي أحوج ما تكون إلى الدعاء لله، ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧، ٥٨]، لا يكشف عنا كروبنا المحيطة بنا، ولا المصائب الَّتي تنزل بنا عن يمين وشمال؛ إلَّا اللياذ بالله، والتَّحصُّن بالله، واللجوء إلى الله ﷻ، ندعو الله لنا ولإخواننا.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٣)، وأحمد (٢١٧٠٧)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

النَّاس ثلاثة أصناف:

صنف يدعو الله في الرخاء وفي الشدَّة، هو مع الله باستمرار، لا ينسى ربه في حال من الأحوال، كما قال النبي ﷺ في حديث ابن عباس: «**اعرف الله تجِدْه تجاهك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة**»(١). هذا صنف من الناس، وهو أفضل الأصناف، الَّذين يكونون مع الله دائمًا ليكون الله معهم.

والصنف الثاني: هو الَّذي ينسى الله في ساعة الرخاء ويعرفه في ساعة الشدَّة، وهذا شأن الإنسان الَّذي لا يزال على شيء من سلامة الفطرة، إذا نزل به الضر، ونزل به البأس يرجع إلى الله ويقول: يا رب. حتَّى حكى الله عن المشركين فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]. هم مشركون، ولكنَّهم عند هذه الشدَّة ينسون الشرك وينسون الأصنام، ويعودون إلى الفطرة وحدها فيقولون: يا ربُّ. لا يقولون: يا هُبَلُ، ولا يا عُزَّى، ولا يا لاتُ، ولا يا أي شيء. يقولون: يا ربُّ، رجعوا إلى الفطرة، ولذلك يقول: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. هم مشركون، إنَّما في هذه الحالة رجعوا مخلصين له الدين موحدين، ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ومن دعا الله مخلصًا له الدين لا بدَّ أن يجيبَه، والمضطر يدعو الله دائمًا مخلصًا له الدين، ولذلك من أوصاف الله تبارك وتعالى أن يجيب

(١) رواه أحمد (٢٨٠٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والطبراني (٢٢٣/١١)، وهو الحديث التاسع عشر من أحاديث الأربعون النووية.

QaradawiBooks.com

المضطر إذا دعاه، القرآن في سورة النمل يقول: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل: ٦١]. يعدد من آيات الله في الكون، ثمَّ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]. فهذا من شأن الله، أنَّه يجيب المضطر إذا دعاه، والحمد لله جربنا هذا في حياتنا؛ حينما يلجأ الإنسان مضْطرًّا إلى الله ﷻ، ويدعوه دعوةً بينه وبينه؛ كم يرى من عجائب الاستجابة من الله ﷻ! فهؤلاء المشركون الَّذين دعوا ربَّهم في حالة الشدَّة والبأساء والضر، استجاب الله لهم، ونجَّاهم من الغرق.

ولكن المشكلة ما بعد النجاة، ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، هذه للأسف مشكلة الإنسان، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]، هذا هو الصنف الثاني.

وهناك صنف أسوأ من هذا وأشدُّ بُعدًا عن الحقِّ وعن الخير، هذا عرف الله ساعة الشدَّة، ولكنْ هناك أناسٌ لا يعرفون الله في شدَّة ولا رخاء، والعياذ بالله! الشدَّة الَّتي تلين الجامد، وتلين الحجر القاسي: تمرُّ على هذا الصنف ولا يبالي، كأنَّما قُدَّ قلبه من جُلْمُود، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

هؤلاء ذكرهم الله في سورة الأنعام بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣]، لولا تضرَّعوا إلى الله، حينما نزلت بهم الشدَّة

QaradawiBooks.com

والبأس والمصائب، ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣].

هذه القسوة الَّتي لا تعتبر بشدائد الدهر، ولا بمصائب الحياة، ولا بهذه القوارع والنوازل يقول الله في أصحابها: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]. استدرجهم الله وأملى لهم، فكلَّما أحدثوا معصية رزقهم الله رزقًا جديدًا، وأنعم عليهم بنعمة جديدة، فيُملي لهم ويمكر بهم، ويزدادون بُعدًا عن الله ﷻ، ويغترُّون بما هم عليه، ولا يدرون أنَّ الله يُمهلهم ولا يُهملهم، ويُمْلي لهم ويَمكر بهم، ومكر الله أسرع، وكيده أقوى، ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، من الأرزاق والنعم، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

الله تعالى مشرف على هذا الكون، لا يمكن أن يترك هؤلاء الظلمة والجبابرة يستبدُّون في الأرض ويُكرهون الخلق، لا يمكن أن يستمرَّ هذا طويلًا، لا بدَّ أن يُرِي اللهُ النَّاسَ قدرته وجبروته، وأنَّه غير غائب عن هذا الملك، فيقطع دابر الَّذين ظلموا، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤]، ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥].

هذه هي أصناف الناس، فكن من الصنف الَّذي يعرف الله في الرخاء ليعرفه في الشدَّة، هؤلاء هم المؤمنون حقًّا.

الدعاء عبادة مشروعة في كل زمان:

الدعاء عبادة عظيمة، وهي مشروعة في كلِّ وقت، في الليل والنَّهار، في الصحَّة والمرض، في الغنى والفقر، في السفر والحضر، في السِّلْم

QaradawiBooks.com

والحرب، لكنَّنا أحوجُ ما نكــون إلى الدعاء في حالات الضعف، حينما نكون فقراء نكون أحوج إلى الدعــاء، حينما نكون مرضى نكون أحوج إلى الدعاء، حينما نكون في حرب نكون أحوج إلى الدعاء، حينما نُحاط بأعدائنا نكون أحوج إلى الدعاء.

ونحن ندعو غنيًّا كريمًا لا يردُّ أيدينا صفــرًا، كما جاء في الحديث: «**إنَّ اللهَ حيِّيٌّ كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّه صفرًا**»(١). لا بدَّ أن يُعطيَه شيئًا من عنده.

ادعُ الله دائمًــا، النبيُّ ﷺ يقول: «**أقربُ ما يكــون العبد من ربِّه وهو ســاجد؛ فأكثروا الدعــاء**»(٢). ادعُ الله فــي كل حين، تعــوَّد دعاء ربِّك باستمرار، بعيدًا عن الناس، وأنت تخرج من بيتك ادعُ الله، وأنت تدخل المسجد ادعُ الله، وأنت تخرج من المسجد ادعُ الله، وأنت تركب مطيتك أو سيارتك ادعُ الله، وأنت تلبس ثيابك ادعُ الله، الإسلام شرع لنا الدعاء في كل حين، وهناك دعوات مأثورة ألف فيها العلماء كتبًا؛ سنرجع إليها في خطب تالية إن شاء الله.

عدم الاعتداء في الدعاء:

ادعُ ربَّــك دائمًا باســتمرار، ولا تعتدِ في الدعــاء، ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، هناك أناس يعتدون في الدعاء،

---

(١) رواه أبو داود فــي الصلاة (١٤٨٨)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦)، وقال: حســن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٥)، وابــن حبان في الرقائق (٨٧٦)، وقال الأرناؤوط: حديث قويٌّ. والحاكم في الدعاء (٤٩٧/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. عن سلمان الفارسي.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ما معنى الاعتداء في الدعاء؟ أن تدعو الله بإثم أو قطيعة رحم، أن تدعو الله أن يعينك على مُحرَّم، فلا يستجيب لك، وهذا من فضْل الله، بدل أن يُسهِّل لك المُحـرَّم يُعوِّقك عنه، لا تـدعُ الله بقطيعة رحم؛ بـأن يصيب أحدًا من أقاربك أو جيرانك، أو أهل بلدك أو من له بك صلة بسُـوء، هذا لا يليق، لا يليق أن تدعوَ الله ﷻ بأمر لا يليق بمثلك، بأن تدعوه بأن تكون في منزلة النبيِّ ﷺ، لا، يكفي أنْ تقول: اجعلني في جوار النبيِّ ﷺ. أو أن تدعو الله تعالى بأن يُطيل عمرك ألف سـنة مثل سيِّدنا نوح، هذا كلام لا يليق، فكما قلت: لا يجوز أن تكون بعيدًا عن السنن، فهذا نوع من الاعتداء.

وأن تدعو غير الله، هذا من الشـرك، بدل أن تقـول: يا رب. تقول: يا فلان، يا سـيِّد البدوي، يا إبراهيم الدسوقي. هؤلاء كلُّهم من خلق الله ومن عبيد الله، شحَّاذ يسأل شـحَّاذًا؟! اترك الخلق واسأل الخالق ﷻ، فكلُّ هذا اعتداء في الدعاء، فالزم السُّنَّة في الدعاء.

وحاول أن تكون طاهـرًا بقدر الإمكان عند الدعـاء، لو دعوتَ الله وأنت متوضِّئ أفضل من أن تدعوه وأنت بغير وضوء، ولو دعوته وأنت متَّجه إلى القبلة أفضل من أن تدعوه وأنت غير متَّجه إليها.

أوقات الإجابة:

وادع الله ﷻ في أوقات الاسـتجابة، مثل بين الأذان والإقامة، وفي وقت السَّحر، وفي يوم الجمعة ساعة إجابة، ولكن لا نعرف ما هي، إذا صادفها عبد يدعو الله بخير استجاب له[1].

(١) كما في الحديث المتَّفق عليه: أنَّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «إنَّ في الجمعة لساعة، لا يوافقها مسلم، قائم يصلي، يسأل الله خيرًا، إلَّا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هناك أناس يستجيب الله لهم كما قلنا: دعوة الغائب للغائب، دعوة الوالد للولد، دعوة المسافر، دعوة المظلوم «**يرفعها اللهُ فوقَ الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعِزَّتي لأنصرنَّكِ ولو بعدَ حينٍ**»(١).

لا تَظْلِمَنَّ إذا كنتَ مُقْتَدِرًا ... فالظلمُ ترجعُ عُقباه إلى النَّدَمِ
تنامُ عَيْنَاكَ والمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يدعو عَلَيْكَ وعَيْنُ اللهِ لم تَنَمِ(٢)

لا تظلم؛ فإنَّ اللهَ لا يغفُل عنك، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ولذلك يقولون: يا ظالم لك يوم. إذا لم يكن في الدُّنْيا فسيكون في الآخرة، ويأخذ المظلوم حقَّه منك، لا يضيع عند الله حق، لا يخاف أحد عند الله ظلمًا ولا هضمًا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

إيَّاك أن تظلم، احذر أمرين: دمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنَّهما يسريان بالليل والنَّاس نيام، احذرْ دعوةَ المظلوم ولا تهزأ بها.

أَتَهْزَأُ بالدُّعاءِ وتزْدريهِ ... وما يُدريكَ ما صنعَ الدعاءُ؟
سهامُ الليلِ لا تُخطي ولكنْ ... لها أمدٌ وللأمدِ انقضاءُ
فيُمْسِكُها إذا ما شاءَ ربِّي ... ويرسلُها إذا نفذَ القضاءُ(٣)

---

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسَّنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان (٨٧١)، عن أبي هريرة.

(٢) ينسب إلى الإمام علي ﷺ، كما في ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صـ١٨٤، جمع عبد العزيز الكرم، ١٩٨٨م.

(٣) ذكره الزمخشري دون نسبة في ربيع الأبرار (٣٨٥/٢)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

الدعاء في نفسه عبادة:

ادعُ الله ﷻ، تقرَّب إلى الله بالدعاء، الدعاء في نفسه عبادة، سواء استجاب الله لك أم لم يستجب لك، وهو لا بدَّ أن يستجيب لك ـ كما علَّمنا النبي ﷺ بوجه من الوجوه ـ ليس من الضروري أن تسأل الله الغنى فيعطيك الغنى، يمكن ألَّا يعطيك الغنى، ولكن يعطيك أولادًا صالحين أو نجباء، هذا أفضل من الغنى، أو يعطيك الصحَّة والعافية، «**من أصبح منكم معافًى في بدنه، آمنًا في سربه، عنده قوتُ يَوْمِه؛ فكأنَّما حِيزت له الدُّنْيا بحذافيرها**»[(١)]، الله لا يعطيك حسَبما تهوى، هو يختار لك الخير، ولكن ثِق أن دعاءك لن يذهب هدرًا، ولن يذهب هباءً.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**ما من مسلمٍ يدعو اللهَ بدعوةٍ، ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم؛ إلَّا استجاب الله له**». قالوا: كيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «**إمَّا أن يُعَجِّل له دعوته**»، يطلب الغنى فيأته ما طلب، يطلب منصبًا فيأتيه ما طلب، «**وإمَّا أن يكفَّ عنه من السوء بمثلها**»، كان ستدهسه سيارة؛ فعافاه الله من هذا وحماه، وهو لا يدري، كان أحد من أولاده ستصيبه بلوى؛ فصرفها الله عنه، وهو لا يدري، ولو كُشف له الغيب لعرف هذا الحق، «**وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة**». هذه الدعوة إذا لم يعطها له في الحال، أو كفَّ عنه من السوء بمثلها: سيدخرها له في الآخرة كنوزًا مرصودة له، قالوا: يا رسولَ الله، إذنْ نُكثر. ما دمنا سنكسب من الدعاء بأيِّ حال نُكثر منه، قال: «**اللهُ أكثر**»[(٢)]. ما عند

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٤١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عن عبيد الله بن مِحْصَن الأنصاري.

(٢) رواه أحمد (١١١٣٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، والحاكم في الدعاء (٤٩٣/١)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجا للرفاعي. ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

الله أكثـــر، وعطاؤه أكثر، فأكثـــروا من الدعاء، وكونـــوا مع الله ﷻ يكن معكم، وادعوه يســـتجب لكم، ولكن حاولوا أن تزيلوا الأســـباب الَّتي تمنع مـــن إجابة الدعـــاء، مثل أكل الحـــرام، وغفلة القلـــوب، فإن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاهٍ، ولا يســـتجيب دعاء مَنْ يأكل الحرام، ويشرب الحرام، ويلبس الحرام، وفي بيته الحرام، فإذا دعا يُقال: «**فأنَّى يُستجابُ لذلك؟**»[1].

ادعوا الله ﷻ يستجب لكم، واستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٨٩)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تفجير كنيسة القِدِّيسين بالإسكندريَّة:

أصبحت بلاد المسلمين مرتعًا للفتن، وأصبح أعداء المسلمين يكيدون كيدهم؛ حتَّى تشتعل هذه البلاد كلها نارًا، يمكرون مكرهم الكُبَّار، ويجدون في بلاد المسلمين من يستجيبون لهذا المكر، ويستمعون إلى هذا الكيد، حتَّى رأينا بلاد المسلمين يقاتل بعضها بعضًا، كما ذكرت لكم في الأسبوع الماضي، كم من بلاد المسلمين يقتتل النَّاس فيها، ولا يسمعون إلى توجيه موجِّه، ولا إلى نصح ناصح، ولا دعوة داعٍ لكفِّ اليد عن الدماء، والصلح بين النَّاس بعضهم وبعض.

وحينما نشاهد التلفاز، أو نسمع الإذاعات، أو نقرأ الصحف: نجد بلاد المسلمين هي البلاد الَّتي تشتعل النيران بين أهلها، أحيانًا يكون بين المسلمين بعضهم وبعض، وأحيانًا يكون بين المسلمين وغير المسلمين.

أحببتُ أن أقول هذا بمناسبة ما وقع في مصر في ليلة السبت الماضي، من تدمير وقتل عدد من أقباط مصر ممَّن كانوا يؤمُّون كنيسة القِدِّيسين في الإسكندرية، ماذا وراء هذا أيُّها الإخوة؟!

ليس وراء هذا إلَّا الشرُّ، إن كان الَّذي فعل هذا مسلمًا؛ فهو لا شكَّ مسلمٌ أحمق، وقع فريسة لهذا الكيد الَّذي تحدَّثنا عنه، ماذا يفيد أن تقتل إخوانًا لك في الوطن وفي الإنسانيَّة: لم يرتكبوا ما يوجب هذا، بعض

QaradawiBooks.com

النَّاس يظنُّ هذا يخدم الدِّين ويخدم الإسلام، لا والله، لا يخدم الإسلام، يصيب الإسلام بشرٍّ، يفتح علينا أبوابًا من الشـرِّ كثيرة، ويُلزمنا إلى أن ندافع عن أنفسنا وما فعلنا شيئًا، هؤلاء الحمقى يجلبون على المسلمين شرورًا كثيرة.

لقد عشنا نحن المسلمين مع الأقباط منذ الفتح الإسلامي، الأقباط هم الَّذيـن رحَّبوا بالفتح الإسـلامي، الإسـلام لم يفتح مصر بالسـيف، جاء عمرو بن العاص بأربعة آلاف جندي ليفتح مصر الَّتي تحكمها دولة الرومان البيزنطيَّة، أكبر قوَّة في الأرض حينذاك، ثمَّ طلب مددًا من عمر فأرسل إليه أربعة آلاف أخـرى، هل يمكن لثمانيـة آلاف أن يفتحـوا مصر؟ لا والله، المصريُّون هم الَّذين سـاعدوهم، كانوا مرحِّبين بهذا الفتح؛ ليتحرَّروا من ظلم الرومان المَسـيحيِّين مثلهـم، ولكن كانوا يخالفونهـم في المذهب، والَّذين كانوا يعتبرون مِصْرَ بقرة حلوبًا، يأخذون منها وإن جاع أهلها!

عاش المسـلمون والمسـيحيُّون أو الأقبـاط في مصر بعـد الفتح الإسـلامي إخوانًا متحابِّين، دخل الأقباط في ديـن الله بدون أيِّ ضغط، انظروا إلى الرجل الَّذي جاء إلى سيِّدنا عمر واشتكى إليه أنَّ ابن عمرو بن العاص ضرب ابنه، فقال له: اضربْه كما ضربك. وقال لعمرو هذه الجملة التاريخيَّة: متى اسـتعبدتم النَّاس وقـد ولدتهم أمَّهاتهم أحـرارًا[1]؟ هذا الرجل أخذ حقَّه وعاد ولم يُسلم، لم يُجبره أحد على الإسلام، هو له حق أن يعدل الإسـلام معه، ويعطيه حقَّه من المسلم، ولكن هو حر يسلم إن شاء ويرفض إن شاء، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]،

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل، نشر دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

ولكن بعد ذلك دخل المصريُّون في دين الله أفواجًا، ولذلك بعض الأقباط غير المنصفين يقولون: إنَّ الأقباط هم أهل البلد. طيب، ونحن المسلمين المصريِّين أيضًا أهل البلد، ألم يكن هؤلاء المصريُّون أقباطًا وأسلموا؟ هل إذا أسلموا فقدوا الوطنيَّة؟ ليس هذا معقولًا، فالمسلمون والأقباط عاشوا إخوانًا قرونًا.

بعض المُتَعَصِّبين يقول: كيف تقول: إخوانًا. الأخوة هي الأخوة الدينيَّة فقط، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وأنا أقول: هناك أُخوَّة دينيَّة، وأُخوَّة قوميَّة، وأُخوَّة وطنيَّة، وأُخوَّة إنسانيَّة، والقرآن عبَّر عن هذه الأُخوَّة القوميَّة حينما قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١]. وهكذا.

ثم قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]. لم يقل: أخوهم شعيب. لماذا؟ لأنَّ شعيبًا لم يكن منهم، **وإنَّما** كان من قوم مدْيَن، ولذلك قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]. فهذه أُخوَّة قوميَّة، هم كفروا بهؤلاء الرسل، ولكن الله سمَّاهم إخوة لهم، فهناك أخوة قوميَّة، وأخوة وطنيَّة.

ولذلك عاش المسلمون والمسيحيُّون إخوانًا قرونًا، متى يصطدم بعضهم ببعض؟ حينما تأتي فتن من الخارج، حاولوا أيام الحروب الصليبيَّة أنْ يثيروا المَسيحيِّين على المسلمين، وهكذا أيام نابليون

QaradawiBooks.com

حاولوا أنْ يغــروا بعض الأقباط مثل المعلِّم يعقــوب وجماعته: البعض يستجيب لهم، ولكن الجمهور والأكثريَّة ترفض، ومنذ دخل الاستعمار بلاد المسلمين وهو يستغلُّ فتنة الأقليَّة، ويحاول أنْ يلعب بها باستمرار.

ولا يجوز للمصريِّين أقباطًا كانوا أم مســلمين: أنْ يستجيبوا لهذا الكيــد ولهذا المكر؛ بــل عليهم أن يقفــوا صفًّا واحــدًا؛ باعتبارهم يسكنون وطنًا واحدًا، ويواجهون مصيرًا واحدًا، هذا شأن العقلاء، أنا لي كثير مــن الأصدقاء من المَسـيحيِّين في مصر وفــي لبنان، وفي فلسطين، وفي ســوريا، وبعضهم يقول: نحن نتابع برنامج (الشريعة والحياة) كل يوم أحد ولا يفوتنا شيء، وإذا لم نجد الشيخ القرضاوي في البرنامج نغلق التليفزيون.

هؤلاء نصارى أعرفهم بالأسماء أو كثيرًا منهم، فلماذا لا نعيش إخوة في الوطن الواحد، نواجه المصير الواحد، ونبنــي أوطاننا، ونحاول أن نبعد هــذه الفتن العميــاء الصماء، الَّتــي ليس من ورائها خير لمســلم ولا مسيحي، إنَّما يستفيد منها أعداء هذه الأمَّة، الَّذين يستفيدون من هذه الفتن هم الصهاينة ومَن وراءهم، ممَّن يكيدون كيدهم، ولكن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧].

أســأل الله تعالى أن يجمع كلمة أمَّتنا على الهــدى، وقلوبها على التُّقى، وأنفسها على المحبَّة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهمَّ آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

الدعاء في القرآن الكريم (٢)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، وقد بدأنا عن الدعاء في القرآن، ولكنَّا لم نكمل الموضوع، نحن ندعو الله ﷻ، لماذا ندعو الله؟ لأنَّنا نتعبَّد بالدعاء لله، ولأنَّنا نستعين بالله تبارك وتعالى على عبادته، فالدعاء عبادة واستعانة على العبادة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

حاجاتنا كثيرة جدا:

نحن ندعو الله ﷻ؛ لأنَّنا في حاجة دائمة إليه، لا نستطيع أن نستغنيَ عنه، قد يستطيع الإنسان أن يستغني عن الإنسان، ولكنَّه لن يستغني عن ربه طرفة عين، نحن في حاجة إلى الله في أمور ديننا، وفي أمور دنيانا، ولذلك نسأل الله تعالى حاجاتنا، كما قال الشاعر:

وَحَاجَاتُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي[٢]

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٤ يناير ٢٠١١م.

(٢) هو الصلتان العبدي كما في لباب الآداب للثعالبي صـ١٦٦، تحقيق أحمد حسن لبج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

حاجاتنا كثيرة جدًّا، نحتاج إلى الله تعالى أن يقضي لنا حاجتنا، وأن يلبِّي لنا مطالبنا، نتضرَّع إليه دائمًا ليشفي مرضانا، ويحقِّق رجاءنا، ويقوِّي ضعيفنا، ويغْني فقيرنا، وينصر مهزومنا، نحن في حاجة إلى الله ﷻ، لماذا ندعو؟ لأنَّنا في حاجة دائمة إلى الدعاء.

وبماذا ندعُو؟ ندعُو الله ﷻ أيضًا بكلِّ ما نحتاج إليه، ومن قرأ أدعية الأنبياء والصَّالحين والصَّالحات في القرآن الكريم: يعرف بماذا ندعو الله ﷻ.

دعاء آدم عليه السلام:

انظر إلى أوَّل دعاء صعد من الأرض إلى السماء، إنَّه دعاء أبوينا آدم وحواء حينما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ظلما أنفسهَما بالأكل من الشَّجرة، وقد أذن الله لهما أن يأكلا من كل شجر الجنَّة إلَّا شجرة واحدة، ومع هذا دعاهما الشيطان، ووسوس لهما حتَّى أكلا من الشجرة المنهي عنها، وعرفا أنَّهما أخطآ؛ فوجَّها هذا الاستغفار إلى الله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. فما أسرع ما استجاب الله لهما وغفر لهما، كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

أحيانًا يذكر آدم وحده، وأحيانًا يذكره مع زوجه، لأنَّ آدم هو الأساس، وليس لحوَّاء من الأمر شيء على خلاف ما في التوراة: أنَّ المسؤوليَّة مسؤوليَّة حواء، وأنَّها الَّتي وسوست له وحرضته، هذا ليس له أصل في القرآن الكريم، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، غُسل آدم وغُسلت حواء من هذا الذنب بهذه التوبة.

QaradawiBooks.com

ولذلك ليس عند النصارى أصل يعتمدون عليه في أن خطيئة آدم لم تزل وبقيت في عنقه، وليتها بقيت في عنقه فقط، ولكن ورثها بنوه على طوال العصور والأجيال، يرث الابن عن أبيه، والحفيد عن جده، والخلف عن سلفه إلى يومنا هذا، ليس هذا هدي القرآن، وإنَّما هدي القرآن انتهاء قضيَّة آدم بالاستغفار.

دعاء شيخ المرسلين نوح عليه السلام:

من الأدعية الَّتي ذكرها القرآن: دعاء شيخ المرسلين نوح عليه السلام، دعا ربه في أوَّل الأمر دعاء الشاكي من صدود قومه عن دعوته، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ حتَّى لا يسمعوه، ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ حتَّى لا يبصروه، ﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

وظلَّ ألف سنة إلَّا خمسين عامًا يدعوهم بهذا الإصرار جهارًا وإسرارًا، وليلًا ونهارًا فلم يجيبوه، حوالي أكثر من ثلاثين جيلًا إذا اعتبرنا الجيل ثلاثين سنة، وهم لا يستجيبون لدعوته، العصا من العُصيَّة، والحيَّة لا تلد إلَّا حُييَّة، ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۞ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢١، ٢٢]، إلى آخر ما فعلوه، فما كان من نوح عليه السلام إلَّا أن دعا الله أن يُطهِّر الأرض من هذا الرجس، ومن هذا الشِّرك المُتَجَبِّر المُستمرِّ، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، كلمتان: أنِّي مغلوب، غلبني المشركون فانتصر، انتصر لهذا المغلوب المظلوم المهضوم.

وفي صيغة أخرى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]. لو رأى فيهم

QaradawiBooks.com

أملًا لاختلف الأمر، لكن ليس فيهم أمل، لا يقول أحد: إنَّ نوحًا غضب وتعجَّل الدعاء. لا، بل كان هذا بعد ألف سنة إلَّا خمسين عامًا.

ثم دعا نوح دعوة أخرى بالمغفرة: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾ [نوح: ٢٨]. دعا بالهلاك على الكفرة الفجرة المصرين، ودعا بالمغفرة له وللمؤمنين، ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾، لا ينبغي أن يكون الإنسان أنانيًّا، ويخص نفسه بالدعاء، يجب أن تدعو لمن تحبُّ، أوَّل من يستحقُّ الدعاء بالخير هم أبواك، أبوك وأمُّك، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾، الأقارب والجيران لهم حقوق أكثر من غيرهم، ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، هذا شأن الإنسان المؤمن لا يخصُّ نفسه بالدعاء، ولكن يعمِّم على المؤمنين والمؤمنات، ولذلك ممَّا تعارف عليه المسلمون أن يقولوا: اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. هكذا، ويدعو الخطباء في كلِّ جمعة: اللهمَّ اقضِ الدَّيْن عن المَدِينِين، وفُكَّ أسر المأسورين، وتُبْ على العصاة والمذنبين. يدعو للجميع، فهذه سُنَّة الأنبياء، ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾، إلَّا هلاكًا، فكما تدعو للمؤمنين، تدعو على الظالمين: أن يأخذهم اللهُ أخذَ عزيزٍ مقتدر، ولا يتركهم يفسدون في الأرض.

دعاء سيِّدنا إبراهيم عليه السلام:

ومن أدعية الأنبياء دعاء سيِّدنا إبراهيم عليه السلام الَّذي ذكر الله له عدَّة أدعية في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۞ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۞ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۞ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۞ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٣ ـ ٨٩].

QaradawiBooks.com

ومن دعوات إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥]. ما معنى: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؟ إمَّا: لا تجعلنا مفتونين للكافرين: يفتوننا في ديننا، ويمتحنوننا بالتعذيب والاضطهاد، أو: لا تجعلنا فاتنين لهم، كما نرى المسلمين الآن فتنة للناس؛ لأنَّهم يدَّعون الإسلام ولا يعملون به، فلا يقيمون الحجَّة على الآخرين، النَّاس يقولون لهم: أنتم تقولون: الإسلام دين القوة. فما لكم ضعفاء؟ تقولون: الإسلام دين العلم. فما لكم جهلاء؟ تقولون: الإسلام دين التقدم. فما لكم متأخِّرين؟ تقولون: الإسلام دين النظافة. فلماذا نرى بلادكم أحط البلاد في النظافة؟ وهكذا، نحن فتنة للَّذِين كفروا، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

ودعا إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ [البقرة: ١٢٦]. الرزق ليس للمؤمنين فقط، حتَّى الكفرة ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

حينما وضع زوجه هاجر وابنها الطفل الصغير إسماعيل، عند الكعبة: البيت الحرام قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فكانت بركة دعوة إبراهيم لأهل هذا البيت، ومن حوله إلى اليوم.

ودعا إبراهيم ربَّه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١].

QaradawiBooks.com

وكان من دعوات إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۞ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١]. تأمَّلوا هذا الدعاء، دعا إبراهيم عليه السلام للفروع وللأصول، دعا لذريته، ودعا لوالديه، وإن كان الله عاتبه بعد ذلك على استغفاره لأبيه، ولكنَّه كان قد وعد أباه أن يستغفر له الله، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، كما دعا إبراهيم للمؤمنين يوم يقوم الحساب.

ومن دعاء إبراهيم حينما كان يرفع القواعد من الكعبة البيت الحرام، هو وابنه إسماعيل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. لأنَّه ليس المهمَّ أن تعمل العمل، ولكنَّ المهمّ أن يُقبل منك العمل، كما قال ابن عطاء الله: ربَّما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدَّر عليك المعصية فكانت سببًا في الوصول[1].

هذه دعوات إبراهيم، يدعو لنفسه، ويدعو لأهله، ويدعو لقومه، ويدعو للأمَّة الإسلاميَّة القادمة في آخر القرون: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وهكذا.

دعاء سيِّدنا شعيب:

ومن أدعية الأنبياء: دعاء سيِّدنا شعيب حينما أراده قومه أن يخرج من قريتهم، ماذا أذنب حتَّى يخرج من القرية؟ إنَّه يدعو إلى الله، إلى التوحيد، ويدعوهم إلى العدالة، وإلى عدم التطفيف في المكيال والميزان، وإلى

(١) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٤، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

QaradawiBooks.com

عدم بخس النَّاس أشـياءهم، وعدم الإفسـاد في الأرض، هذا ذنبه الَّذي أرادوا أن يخرجـوه بسـببه من بلـده، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، تخرجوننا رغم أنوفنا؟ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، احكم بيننا يا رب، أنت الحكم العدل! وحكم الله بينهم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

دعوات سيِّدنا موسى:

ومن الأدعية الَّتي ذكرها الله للأنبياء: دعوات سـيِّدنا موسى، حينما وكز سيِّدنا موسى الرجل القبطي، الَّذي تجبَّر على الرجل الإسرائيلي؛ فاستغاث الإسرائيلي بموسـى لينقذه من القتل، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، لعلَّ الرجل كان ضعيف القلب، الله أعلم، ولكن سيِّدنا موسى استشعر الإثم، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

ثم خرج خائفًا من هذا البلد، لأنَّهم كانوا يأتمرون به ليقتلوه، وتوجه إلى مدين ماشيا على رجليه، فلما وصل إلى هناك قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. أنا فقير إلى فضلك، فقير إلى عونك، فقير إلى إحسانك فلا تدعني إلى نفسي طرفة عين.

وهيَّأ الله له في هـذا البلد ما هيَّأ له من عمـل وزواج وإنجاب إلى آخره، حتَّى أرسله الله إلى فرعون، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]، هنا دعا موسـى أن يعينَـه الله على هذه المهمَّة، سـيقابل أقـوى ملك في الأرض، وأطغى ملك في الأرض، ملك يؤلهـه النَّاس وهو يقول لهم:

QaradawiBooks.com

﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. دعا موسى ربه قائلًا: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۞ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۞ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٩]. دعا هذه الدعوات الأربع لتعينه على هذه المهمة الكبيرة، ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦]، آتاه الله ما سأله.

ودعا موسى دعوات كثيرة هو ومَن معه، قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦]. وكما دعا نوح على قومه، دعا موسى على فرعون وملئه: الأشراف من قومه، قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. لمَّا رأى أن فرعون قلبه مطموس، ووجوده في هذه الدُّنْيا شرٌّ على الإيمان، وعلى الهداية وعلى الناس، دعا موسى ربَّه أن يأخذ فرعون ويطمس عليه، ولذلك لم يؤمنْ حتَّى رأى العذاب الأليم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، حتَّى لم يقل: آمنت أنَّه لا إلٰه إلَّا الله. لا، بل قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. فكان الجواب: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. وقد فعل ما فعل بسحرته، هدَّدهم بأن يُقتِّلهم، ويصلِّبهم، ويقطِّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، قالوا: ﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. يدعون هنا بأن يصبَّ الله عليهم الصبر صبًّا، ويفرغه عليهم إفراغًا؛ حتَّى يستطيعوا أن يواجهوا هذه الأزمات، بما فيها من إيذاء وما فيها من اضطهاد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دعاء امرأة فرعون:

ومن الأدعية في عهد موسى: دعاء امرأة فرعون، هذه المرأة الَّتي كفرت بفرعون وآمنت بموسى، ونالها ما نالها من العذاب، فرعون المتكبِّر الجبَّار الَّذي يقول للناس: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. كيف تستعصي عليه امرأته، وتخرج عن طوْعه؟ انظروا إلى أقدار الله: امرأة نوحٍ تكْفُر به، وامرأة لوطٍ تكفر به، فهما مثل للَّذِين كفروا، وامرأة فرعون تَكْفُر به وتؤمن بالله، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]، طلبت الجنَّة في الآخرة قبل أن تطلب النَّجاة في الدُّنْيا، وقدَّمت الرفيق قبل الطريق، ﴿ٱبْنِ لِى عِندَكَ﴾، في جوارك، ﴿بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

دعاء أيُّوب عليه السلام:

ومن الأدعية الَّتي جاءت في القرآن عن الأنبياء: دعاء أيُّوب عليه السلام، النبيُّ الصابر، ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، أصابه ما أصابه، وذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. انظر إلى أدب المؤمنين، لم يسأله، لم يقل: يا ربِّ اشفني. إنَّما حكى حاله، وخفَّف الأمر لم يهول فيما حكى، لم يقل: يا ربِّ أصابني ما أصابني، وصارت لي سنون، وأصابني في جسدي كذا، وفي رأسي كذا. لا؛ بل قال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾. شيء بسيط، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. علمه بحالي يغني عن سؤالي، ما سأل الله شيئًا، ولكن ترك الأمر لله، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

QaradawiBooks.com

دعاء يونس عليه السلام:

وممَّن دعوا الله في القرآن يونس عليه السلام، ذو النون: صاحب الحوت، كما قال: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]. ذكر الله ذا النون فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

حينما غاضب ذو النون قومه وخرج، وركب في السفينة، وكان لا بدَّ أن يرموا أحدًا منها؛ فاقترعوا فكانت عليه القرعة: من نصيبه مرات، فرموه في البحر، ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۞ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤١، ١٤٢]، أخذه لقمة.

ومع هذا لم ييأس ذو النون من رحمة الله، ولم يقنط من فضل الله، ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، ظلمات بعضها فوق بعض، في هذه الظلمات نادى ذو النون ربه، بماذا نادى؟ لم يطلب شيئًا، ولكن قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. لم يدعُ، ولكن ما قاله في معنى الدعاء، هو دعاء وإن لم يكن في صيغة الدعاء، لم يتضمَّن طلبًا، وإنَّما تضمَّن التوحيد والتنزيه والاعتراف، التوحيد: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾. والتنزيه: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾. تنزيه لله عن كل نقص لا يليق به، والاعتراف: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. فأجاب الله دعاءه، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، ليس هذا خاصًّا بذي النون وحده؛ بل كل من قال هذه المقولة: نجا من غمه وكربه، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولذلك جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**دعوة أخي ذي النُّون، ما دعا بها مسلم قطُّ إلَّا استجاب الله له**»[1].

(١) رواه أحمد (١٤٦٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٠٥)، قال: =

QaradawiBooks.com

هنـــاك أدعية موروثة عن رســـول الله ﷺ يســـمِّيها العلمـــاء أدعية الكرب، ذكرها الإمـــام ابن القيم في كتابـــه (زاد المعاد)، من أصابته غمة، أو نزلت به كربة؛ فليلجأ إلى هذه الأدعية، استغث بالله ﷻ، لن تســـتغيث بأعزَّ ولا أكرم من الله ﷻ، ولذلك ما دعا بها مكروب إلَّا فرَّج الله عنه.

هناك أدعية كثيرة ذكرها العلماء في كتب الدعاء، وكل كتب السنَّة فيها كتـــب أو أبـــواب للدعاء؛ مثـــل البخاري ومســـلم، وأبـــي داود والترمذي، والنســـائي وابن ماجه، هذه الكتب كلها فيها كتب للدعاء، ومنها أدعية الكـــرب: «**لا إله إلَّا الله العليمُ الحليـــم، لا إله إلَّا الله ربُّ العرشِ الكريم، لا إله إلَّا الله ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ العظيم**»[(١)]، وعلَّم النبيُّ ﷺ فاطمةَ أن تقول في الكرب: «**يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك استغيثُ، أصلحْ لي شـــأني كلَّه، ولا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفَةَ عين**»[(٢)]. هذه من أدعية الكرب.

وهناك أدعية فـــي القرآن الكريم لا نســـتطيع أن ننتهي منها في هذه الخطبة، نترك بقية الأدعية إلى الجمعة القادمة إن شاء الله.

= ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سعد؛ فلم يقل فيه عن أبيه. والحاكم في الدعاء (٥٠٥/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٦)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة (٢٧٣٠)، عن ابن عباس.

(٢) رواه النســـائي في الكبري في عمل اليوم والليلة (١٠٣٣٠)، والبـــزار (٦٣٦٨)، والحاكم في الدعاء (٥٤٥/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، وصحَّح إسنادَ النسائي المنذريُّ في التَّرغيب والتَّرهيب (٩٨٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

نسأل الله ﷻ أن يجيب دعاءنا، وأن يحقِّق رجاءنا، وألا يخيب آمالنا، وأن يبلِّغنا ممَّا يرضيه كل آمالنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ثورة تونس:

من حسن حظِّ بعض البلاد أن يُهيِّئ لها حكامًا صالحين: يسعون إلى خيرها، ويعملون على كشف الضرِّ عنها، يجهدون نهارهم، ويسهرون ليلهم في خير أمَّتهم، هذه نعمة من نعم الله ﷻ.

ومن شرِّ ما تُبتلى به بعض الشعوب والأمم والبلاد: أن يتولَّى أمرهم حُكَّام يحكمونهم بالحديد والنار، بالسياط والعذاب، بالقهر والإكراه، ولذلك قال رسولُ الله ﷺ فيما رواه مسلم: «**خير أمرائكم الَّذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم**»، أي تدعون لهم، ويدعون لكم، هناك حب وثقة متبادلة، «**وشرُّ أمرائكم الَّذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[(١)]. الثقة مفقودة بين الطرفين تمامًا.

وممَّا يؤسف له أنَّ المسلمين خاصَّة مبتلون بكثير من هؤلاء الحكام المستبدين، الَّذين يسوقون بلادهم كالقطيع، ولا ينظرون إلى النَّاس نظرة تكريم؛ كما نظر الله إلى بني آدم، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

معظم بلاد المسلمين مبتلون بهذا النوع من الحكام، ووراء ذلك قوى خارجيَّة، قوى أجنبيَّة تشدُّ أزرهم، وتسند ظهرهم، وتحميهم وتمدهم بالقوة، لا أستطيع أن أُعدِّد بلدًا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة، ابتلي المسلمون بهذا.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.

QaradawiBooks.com

الشعوب لن تظل مستكينة:

وكثيرًا ما يستكين النَّاس أمام هذا الجبروت، الَّذي لا يرحم مخلوقًا، ولا يخشى خالقًا، لا يبالي بالأرواح تزْهَق، لا يبالي بالدماء تسيل، لا يبالي بالأجساد تُعَذَّب، لا يبالي بالكرامات تُهان، لا يبالي بالحريَّات تُسلب، ولذلك كثيرًا ما تستكين الشعوب، وما ترضى الجماهير بالواقع.

ولكن من الخطأ والخطل أن يظنَّ الناس: أنَّ الشعوب ستظل مستكينة إلى الأبد، هيهات هيهات، إنَّ الشاعر يقول:

وَإِذَا الذِّئَابُ اسْتَنْعَجَتْ لَكَ مُدَّةً فَحَذَارِ مِنْهَا أَنْ تَعُودَ ذِئَابًا[1]

الذئب إذا استنعج مرَّة لا بدَّ أن يعود ذئبًا، لا بدَّ أن يعود سبُعًا.

وهكذا الشعوب لا بدَّ أن تنتفض، ولا بدَّ أن تطالب بحقِّها، وخصوصًا إذا كان حقَّها: أن يعملَ العاطل، وأن يشتغل من حصل على الشهادة، وأن يشبع الجائع، وأن يأمن الخائف، وأن يحصل النَّاس على حقوقهم.

بينما هم يرون آخرين ينعمون في الرفاهية وهم لا يعملون؛ يسرقون أموال الشعب، وينهبون الملايين بعد الملايين بالاحتكارات الكبرى، بالعمولات يدفعونها، بالدولة تتستر عليهم، بالأمن يتعاون معهم، بالأجهزة المختلفة تُيسِّر لهم أمورهم.

من يشكو عضة الجوع ومن يشكو تخمة الشبع:

ورأينا في كثير من البلاد حيتانًا أو هوامير، أو سمِّهم ما تسمِّهم، كلُّ بلدٍ يُسمِّيها اسمًا، هؤلاء يأكلون أموال النَّاس بالباطل، ولذلك ترى من

(١) من شعر صفي الدِّين الْحلِيّ. انظر: أعيان العصر (٧٢/٣)، تحقيق د. علي أبو زيد وآخرين، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

يده على بطنه يشكو عضَّة الجوع، وآخر يضع يده على بطنه يشكو زحمة التخمة من كثرة ما أكل، يريد مُهضِّمات، لماذا يأكل أكثر ممَّا يحتمل؟ لأنَّه أكل حقَّ غيره، ويجوع غيره وهو يكد بيمينه، ويعرق بجبينه، ويأخذ هو هذا صافيًا سائغًا؛ بل سمًّا في بطنه، هذا ما نراه في كثير من بلادنا!

ولذلك لا بدَّ للنَّاس أن تغضب، ولا بدَّ للنَّاس أن تنتفض، ولا بدَّ للنَّاس أن تخرج ثائرة، وكما قال سيِّدنا أبو ذرٍّ رضي الله عنه: عجبتُ لمن لا يجدُ القوتَ في بيته كيف لا يخرج على النَّاس شاهرًا سيفه؟ الجوع قاتل، لا يمكن أن يصبر الإنسان على الجوع طويلًا.

وقال بعض السلف: إذا ذهب الجوعُ إلى بلدٍ قال له الكفر: خذني معك.

الكفر والفقر والجوع يجتمعون، تنتشر هنا الشيوعيَّة والمبادئ الهدَّامة؛ حيث لا يجد النَّاس القوتَ، ولذلك لا بدَّ للنَّاس أن تنتفض كما قال أبو تمام:

شكوتُ وما الشكوَى لمِثْلِي عادةٌ ولكنْ تَفِيضُ الكأسُ عند امتلائها[1]

ومن هنا كانت ثورة الشعب التونسي، ثورة الجماهير التونسيَّة، حقَّقت قول شاعرها أبي القاسم الشابي في شعره المعروف:

إذا الشعبُ يومًا أرادَ الحياةْ فلا بدَّ أن يستجيبَ القَدَرْ
ولا بدَّ لليلِ أن ينجلي ولا بدَّ للقيدِ أن ينكسرْ[2]

بعض النَّاس يتوقفون معترضين عند قول الشاعر: فلا بد أن يستجيب القدر. ولكن لا بدَّ أن يفهم النَّاس أنَّ القدر يستجيب للنَّاس إذا غيَّروا

(١) شرح ديوان أبي تمام للتبريزي (٤٢٣/٢)، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي.

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي صـ٧٠، قصيدة: إرادة الحياة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

ما بأنفسهم، إذا رضي النَّاس كما هم يرضون بالظلم، ولا يقولون للظالم: لا. لن يستجيب لهم القدر، ولكن إذا غيَّروا ما بأنفسهم، وقالوا للظالم: لا، قِفْ عند حدِّك أيُّها الظالم، لن نصبر أبد الدهر فقد غيَّروا ما بأنفسهم، وإذا غيَّر النَّاس ما بأنفسهم غيَّر الله ما بهم، وهذا معنى أن يستجيب القدر لهم.

جماهير الشعب التونسي تشكو الظلم:

جماهير الشعب التونسي الَّتي تعلَّمت وحصلت على الشهادات الجامعيَّة، ولكن ظلوا عاطلين في بيوتهم لا يجدون ما يأكلون، لا يجدون ما يلبسون، لا يجدون الحاجات الضروريَّة، على حين هناك أناس آخرون يتنعَّمون بالنعيم، ويتمرغون فيه ويلعبون بالملايين، ويعبثون بأموال الشعب، (مافيا) تجمَّعت من عائلات، وليس هؤلاء في تونس وحدها، ولكنَّهم موجودون في كثير من البلاد، إنَّما تونس مَثَل من الأمثلة، ولكن الشعب التونسي هو الَّذي ضرب المثل في الخروج عن هذا السكون المستمر.

خرج الشعب التونسي من بيوته إلى الشوارع: يشكو ما أصابه، خرج في مسيرات سلميَّة، ليس مع أحدهم مسدس، ولا عصا، ولا سِكِّين، ولا أي شيء، لا يملكون إلَّا حناجرهم يصرخون بها، أليس من حق المظلوم أن يصرخ؟ أليس من حق المظلوم أن يقول: آه؟ الله تعالى يقول: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]. من حق مَنْ ظُلم أن يقول السوء من القول، أن يذكر ظلم الظالم، ويدعو عليه.

خرج هذا الشعب يعلن صيحته، ويجهر بصرخته، وينادي النَّاس أن أنصفونا، انظروا إلى حاجتنا! فقُوبل بالرصاص في صدره؛ أهكذا يُعامل الناس؟ الشرطة الَّتي حمَّلها الشعب السلاح لتحميه: تضرب هذا الشعب

QaradawiBooks.com

في صدره بالسلاح؟ أتوجه الرصاص إلى صدر الشعب الَّذي يشكو من الظلم، من الجوع؟ ما كان يجوز هذا!

الثقافة الَّتي تجعل هـؤلاء النَّاس يقولون: نحن «عبد المأمـور». هذه ثقافة مسـمومة، من يجيـز أن تقتل أبنـاء الشـعب؟ أتقتلهم بالرصـاص الحي في صدورهم؟ هل هذا يجوز؟! في أيِّ قانون أو في أي قيمة أخلاقيَّة؟ هذا لا يجوز.

وظل هذا الشعب صامدًا، ومن بلد إلى بلد، ومن مدينة إلى مدينة، ومن قرية إلى قرية، العشرات يسـقطون، إلى الأمس سقط كذا وستون شـهيدًا، وجاء رئيس البلاد بالأمس يتكلـم بلغة هيِّنة ليِّنـة بعد أربعة أسابيع، والرصاص يقتل النَّاس قتلًا، ويذهب النَّاس أفواجًا إلى المقابر، بعد أربعة أسابيع جرى فيها ما جرى جاء يقول قولًا ليِّنًا؟ أين هذا القول اللين من قبل؟! هذا في الحقيقة أمر لا يُقبل.

لا بد أن يُحاسب المفسدون:

ينبغي أن يُحاسب القاتل على قتله، والمجرم على جرمه، والسارق على سـرقته، كل هؤلاء يجب أن يقفوا أمام المحاكمة، من أكبر رأس إلى أصغر رأس، كل من ارتكب في حقِّ الشعب جريمة يجب أن يُحاسَب، ليس هناك أحد أكبر من أن يُحاسَب، وليس هناك أحد أصغر من أن يُحاسِب.

كل من أصابه ضرر مـن حقِّه أن يأخـذ حقَّه، ليس فقـط في هذه الأسـابيع الأربعة، وأصبحنا اليوم في الأسبوع الخامس، ولا ندري ماذا سـيكون اليوم في صلوات الجمع، كل من آذى الشعب، ومن أكل حقَّ الشعب، ومن أكل مال الشعب، ومن نهب مال الشعب، ومن اعتدى على الشعب، من اعتدى على الأرواح، ومن اعتدى على الحقوق، كل هؤلاء

QaradawiBooks.com

يجب أن يُحاسبوا، ويُحاسبهم أناس بعيدون عن الحكم، بعيدون عن السلطة، يحاسبوا الجميع، ويجب أن يعود أمر الشعب إلى نفسه، يعمل جمعية تأسيسية أو نحو ذلك ليدخل في طور جديد.

نشكو إلى الله حكام المسلمين:

إنَّني أشكو إلى الله حكام المسلمين إلَّا من رحم ربَّك، لا يمكن أن نُعَمِّم، فهناك شعوب تحبُّ حُكَّامها، وترى فيهم الخير، ولكن ممَّا يؤسف له: أن أكثر حكامنا لا يعملون لخير شعوبهم، وإنَّما يعملون لخير أنفسهم، تُصاب الشعوب بالهزال وهم يَسْمَنون، تجوع الشعوب وهم يُترفون ولا يشبعون أبدًا، هم كجهنَّم كلما تقول لها: هل امتلأتِ؟ تقول: هل من مزيد؟ جشع لا ينتهي!

إننا نُحيِّي الشعب التونسي، نُحيِّي هذا الشعب الصامد الصابر، ونقف معه ووراءه، ونترحَّم على شهدائه، وندعو الله أن يشفي جرحاه ومصابيه، ونسأل الله له أن يجعل يومَه خيرًا من أمسه، وغده خيرًا من يومه، وأن يمكِّنه من بناء مستقبله بنفسه.

كفُّوا أيديَكم عن شعوبنا أيها الغربيون:

ونقول للغربيِّين: كفُّوا أيديَكم عن شعوبنا. لقد أبدت فرنسا من خلال وزيرة خارجيَّتها أنَّها تعرض خبرتها على تونس في حماية الأمن، ومقاومة الشغب. ونقول لفرنسا: شكرًا يا فرنسا، لا نريد خبرتك، تونس تستطيع أن تعالج أمرها بنفسها.

لسنا في حاجة إلى فرنسا الَّتي أصبحت تعادي المسلمين علنًا، من قريب قالت: إنَّ في بلاد المسلمين مخططًا للتطهير الديني، لتطهيرها من

QaradawiBooks.com

كل غير مسلم. وهذا كذب وافتراء، قال بهذا المخطط الرئيس التونسي نفسه، وفرنسا تقف ضد هذا، وتقف لمنع هذا، هذا كلام لو قلناه نحن المشايخ لقالوا: أنتم من دعاة التفسير التآمري للأحداث والتاريخ.

نريد للغربيِّين أن يكفُّوا يدهم عنَّا وعن شعوبنا، دعوا شعوبنا تبني نفسها بنفسها، وتعالج أمورها بذاتها، لا نحتاج إليكم، ما رأيناكم ساندتمونا في قضيَّة عادلة، هذه قضيَّة فلسطين، هذه قضيَّة غزَّة، هذه قضيَّة تهويد القدس، هذه قضيَّة الاستيطان الإسرائيلي، ما استطاعت أمريكا بجلال قدرها أن تقول لإسرائيل: كفي يدك عن الاستيطان، عشرة أشهر أثناء المفاوضات. بل قالت إسرائيل لأمريكا: لا، وألف لا. وتتوسَّع في بناء المستوطنات، عشرة آلاف مستوطنة في الضفَّة الغربيَّة، مستوطنات حول القدس، ومستوطنات في كل مكان.

يا أيُّها الشعب التونسي الكريم، أسأل الله تعالى أن يرحم شهداءك، وأن يُعينك على علاج مشكلاتك بنفسك؛ دون تدخُّل من الخارج، وأن يُهيِّئ لك من أمرك رشدًا.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصُرْنا على القوم الكافرين، اللهمَّ أكرمْنا ولا تهنَّا، وأعْطِنا ولا تحرمنا، وزِدْنا ولا تنقُصْنا، وآثِرْنا ولا تؤْثر علينا، وارضَ عنَّا وأَرْضِنا، اللهمَّ إنَّا نسألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استرْ عوراتنا، وآمِنْ روعاتنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذُ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوف رحيم.

* * *

QaradawiBooks.com

٣

الظلم ومصير الظالمين في القرآن الكريم(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في السلسلة الَّتي بدأنا بها منذ العام الماضي، وهي موضوعات القرآن الكريم، ونتحدَّث اليومَ عن الظلم ومصير الظالمين في القرآن.

الله ﷻ هو العدل (الحكم العدل)، وقد أقام السماوات والأرض على العدل، وبعث النبيِّين كافَّة ليُقيموا العدل في أرض الله، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. والقسط هو العدل.

الله تعالى يأمر بالعدل:

إذا أمر الله بثلاثة أشياء يكون العدل بينها أو أولها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. وإذا أمر بأمرين كان العدل أحدهما أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. وإذا أمر الله بشيءٍ واحدٍ كان هو العدل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩].

(١) ألقيت بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١١م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النهي عن كل مظاهر الظلم:

والعدل يشمل كلَّ فضيلة وكلَّ خير، حتَّى إن توحيد الله ـ وهو جوهر الأديان كلِّها، وبه بعث الله النَّبيِّين كافَّة ـ هو عدل، والشِّـرك ظلم، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. الظلم أن تضع الشيء في غير موضعه، وأن تعطي الحق لغير أهله، فالمشرك يضع العبادة لغير مَنْ يستحقها، يعبد الصنم. والحقيقُ بالعبادة هو الله، يعبد الشمس أو القمر، أو العجل أو البقر، أو الحجر أو الشجر، أو الجن أو البشر، وكل هؤلاء مخلوقون لا يستحقون أن يُعبدوا، إنَّما الَّذي يستحقُّ أن يُعبد هو الله، هذا هو العدل، وما عدا ذلك هو ظلم عظيم، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

ومن الظلم أيضًا أن تعصي اللهَ ﷻ، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]، وأنعم عليك بالعقل، وكرَّمك بالآدميَّة، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وعلَّمك البيان النُّطقي، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨، ٩]، والبيان الخطِّي، ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤، ٥]، هذا هو الَّذي يستحق أن يُعبد، صاحب هذه النعم الَّتي لا تُعد ولا تُحصى، والذي سخَّر لك ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

ظلم النفس:

الله تعالى هو الَّذي يستحقُّ أن تطيعه ولا تعصيه، وتشكره ولا تكفره، وتذكره ولا تنساه، فإذا عصيته فقد ظلمت نفسك، ولهذا حينما أكل آدم وزوجه من الشجرة: عرفا أنَّهما أخطآ وظلما أنفسهما؛ فتضرعا إلى الله قائلين:

QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، فمن أنواع من الظلم ظلم النفس بالمعصية.

ظلم العباد بعضهم بعضا:

وهناك ظلم آخر هو ظلم العباد بعضهم لبعض: أن يظلم القويُّ الضعيف، أن يظلم الغنيُّ الفقير، أن يظلم الحاكمُ المحكوم، أن يظلم ربُّ العمل العامل، أن يظلم المالك المستأجر، أن يظلم كلُّ من له قوَّة وسلطان مَنْ هو أضعف منه، ناسيًا أنَّ الَّذي يقدر على الجميع، وهو فوق الجميع الله ﷻ.

لا يظلم ربك أحدًا:

يقول الله تعالى في الحديث القدسي الَّذي رواه مسلم: «**يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّمًا فلا تَظَالموا**»[1]. حرَّم الله الظلم على نفسه، وهو إنْ ظلم ـ تنزَّه عن ذلك ـ يظلم عباده، وهم خلقه، وهم ملكه، وهو صاحب الإرادة فيهم، ولكنَّه تعالى لا يظلم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ولا يخاف أحد عند الله ظلمًا ولا هضمًا، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، أن يُهضم ما عمل من حسنات ولا يُجزى بها، أو يُحمَّل وزر غيره، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، لا ظلم عند الله، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولذلك إذا نزلت المصائب بالناس لا يلوم النَّاس إلَّا أنفسهم، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]، الفساد: غلاءُ الأسعار، والاضطراب والقلق النفسي، والاعتداء على النفس والمال، والأرض والعرض والبيئة، وهذه الأشياء كلُّها ليست ظلمًا من الله للناس، هي ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، لا يذيقُهم بكلِّ ما عملوا، لا، بل هو يعفو عن كثير كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

الظلم سببُ كلِّ شرٍّ:

الظلمُ هو سبب الفساد في الأرض، هو سببُ كلِّ شرٍّ، ظلم النَّاس بعضهم لبعض، وسكوت النَّاس على الظَّلَمة ظلم أيضًا، لماذا لا ينتقم الله من الظَّلَمة؟ لأنَّ النَّاس لا بدَّ أن يفعلوا شيئًا، لا بدَّ أن يقفوا ضد الظالم، لا يُترك الظالم يظلم والنَّاس تسير في ركابه، والنَّاس تُصفق له، والنَّاس تقول: يحيا فلان، ويعيش فلان. والنَّاس يمدحونه، والصحفيون يكيلون له الثناء، مثل هذا لا ينتقم الله منه ما دام النَّاس هكذا.

الناس إذن هم الَّذين يتسبَّبون في عقوبات الله لهم، القرآن يقول: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

الرحمة تخص، والنقمة تعم، إذا أنزل الله رحمة تخصُّ أهلها، وإذا أنزل نقمة شملت المطيع والعاصي، العاصي بمعصيته، والطائع بسكوته على ظلم الظالمين، هناك شيطان أخرس وشيطان ناطق، الشياطين

QaradawiBooks.com

الناطقون هم الَّذين يكيلون الثناء للظالمين والطغاة، والشياطين الخُرس هم الَّذين يعرفون الحقَّ ويكتمونه ويسكتون عليه.

وقف سيِّدنا أبو بكر على المنبر بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقال: أيُّها الناس، إنَّكم تقرؤون هذه الآية، وتؤوِّلونها على غير وجهها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]. كيف تكون مهتديًا وأنت لم تأمر بالمعروف، ولم تنهَ عن المنكر؟ كيف تكون مهتديًا وأنت تاركٌ لفريضة من فرائض الإسلام؟ ثمَّ قال سيِّدنا أبو بكر: وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يديه: أوشك أن يَعُمَّهم الله بعذابٍ من عنده**»[(١)]. ينزل العذاب على الجميع.

عاقبة الظالمين:

ومن هنا يُحمِّل القرآن الإثم على العاصي والظالم، وعلى الساكت عليه والراضي به، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]. يتبرأ السادة من الأتباع يوم القيامة، الأتباع يقولون لسادتهم: أنتم الَّذين أضللتمونا، وأنتم الَّذين أغويتمونا. وهم يقولون: نحن لم نُجبركم، أنتم الَّذين سرتم وراءنا. يتلاومون يوم

(١) رواه أحمد (١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٠٠٥)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

القيامة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

تحمل الشعوب إثم متابعتها للظالمين:

هكذا يتحاجُّون ويتلاومون، وكلهم في النار، الطائفة الأولى والأخيرة، المتبوعون والتابعون، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨]، ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

هكذا يُحمِّل القرآن الشعوب إثم رؤسائها الضَّالِّين، الفراعين والقوارين والهوامين، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧]. اتَّبع الشعب أمر هذا المتألِّه الجبَّار الَّذي قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال للناس: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. هكذا ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، ولهذا كان جزاؤهم معه أنَّه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۞ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٨، ٩٩].

الإسلام يُحمِّل كلَّ فردٍ مسؤوليَّة نفسه، ومسؤوليَّة المجتمع من حوله، أنت مسؤول عن نفسك، وعن أهلك، وعن أُمَّتِك، فلا يجوز أن تسكت

QaradawiBooks.com

على الظلم، «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، هكذا كان يقولها أهل الجاهليَّة على ظاهرها، انصر ابن قبيلتك بالحقِّ وبالباطل، كن معه على الغير، ولو كان الغير هو المظلوم وابن قبلتك هو الظالم، فجاء النبي وأعطاها مفهومًا جديدًا، قال الصحابة بعد أن عرفوا الإسلام: يا رسولَ الله، ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «**تأخذ على يديه، تحجزه** ـ أو تمنعه ـ **من الظلم، فذلك نصر له**»[(١)]. إذا منعته من ظلم الغير فقد نصرته على هواه، ونصرته على شيطانه، وأعنته على الحقِّ، هكذا يريد الإسلام.

الشعوب الَّتي تمشي وراء الكذَّابين؛ كما مشت العرب في عهد الردة وراء مسيلمة وسجَّاح والأسود العنسي وغير هؤلاء، وقالوا: كذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر! عصبيَّة عمياء، لا بدَّ أن تسير وراء الحق لا شيء غيره، الله ﷻ ذمَّ قوم عاد حينما قال: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [هود: ٥٩، ٦٠]. مشوا وراء الجبابرة المستكبرين في الأرض بغير الحقّ؛ فكان جزاؤهم أن يأخذهم الله معهم، حينما جاءت العقوبة من السماء: أخذت الأتباع والمتبوعين معًا.

أنواع الظلم:

جاء الإسلام بمنع الظلم، وتحريم الظلم أشدَّ التحريم: «**الظلمُ ظُلمات يوم القيامة**»[(٢)]، وجاء في بعض الأحاديث: «**الظلم ثلاثة: ظلمٌ لا يغفره الله، وظلمٌ لا يبالي به الله، وظلمٌ لا يتركه الله**»[(٣)]. الظلم الَّذي

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٩)، عن ابن عمر.

(٣) رواه البزار (٦٤٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣٧٩): رواه البزار عن شيخه: =

QaradawiBooks.com

لا يغفره الله هو الشـــرك، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، والظلم الَّذي لا يبالي الله به هو ما كان بينك وبين الله، المعاصـــي الَّتي ليس فيها حقوق للعبـــاد، والظلم الَّذي لا يتركه الله أبدًا هو ظلم العباد بعضهم لبعض، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يُغفر للشهيد كلُّ شـــيء إلَّا الدَّيْن**»[(١)]. يستشهد في ســـبيل الله، يقتل بأيدي الكفَّار في المعركة، هذا يغفر له كل شيء إلَّا ديون العباد.

وجاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رســـولَ الله، أرأيـــتَ إن قُتلتُ في سبيل الله يُغفر لي؟ قال: «**نعم يُغفر لك**». فمشى الرجل خطوات؛ فأمرهم النبي ﷺ أن ينـــادوه، فقال: «**ماذا قلتَ آنفًا؟**» قـــال: قلتُ كذا، وقلتَ لي كذا. فقال النبيُّ ﷺ: «**يُغفر لـــك كلُّ ذنب إلَّا الدَّيْن، أخبرني جبريل بها آنفًا**»[(٢)]. بعدما كلَّمْتُك جاء جبريل يُصَحِّح لي، إنَّها حقوق العباد.

مسؤولية القادة والزعماء عن رعيتهم:

وأشد من يُســـأل عن حقوق العباد الرؤساء والأمراء والحكام، الَّذين يُفترض فيهـــم أن يكونوا قائمين بين الله وعباده كما قال الإمام الحســـن البصـــري: الإمام العادل هو الَّـــذي يقوم بين الله وعباده، يســـمع من الله ويُســـمعهم، وينظر إلى الله ويريهـــم، وينقاد إلـــى الله ويقودهم، هو لهم كالراعي الشفيق على غنمه، وكالأب الحنون على ولده؛ يرعاهم صغارًا، ويحنو عليهم كبارًا[(٣)].

= أحمد بن مالك القشيري ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٦١)، عن أنس.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأحمد (٢٢٥٨٥)، عن أبي قتادة الأنصاري.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٣/١، ٣٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

هذا الحاكم الَّذي يُفترض فيه أن يكون هكذا: يصبح ذئبًا مفترسًا على القوم الَّذين ائتمنه الله عليهم، كما جاء في الحديث: «**ما من أمير عشرةٍ إلَّا يُؤتى به يوم القيامة مغلولًا، لا يفكُّه إلَّا العدل، أو يُوبِقُه الجَوْر**»[(١)]. فالأميرُ يُفترض فيه أن يحمي الناس، لا أن يسرق الناس، ولا أن يقتل الناس، كما يقول المثل: (حاميها حراميها). وكما يقول الشاعر:

وراعي الشاةِ يَحْمِي الذِّئْبَ عنها فكيفَ إذا الرُّعَاةُ لها ذِئَابُ[(٢)]؟

يُفترض في الراعي أن يحمي قطيعه من الذئاب أن تفترسها، ويحرسها ويقوم عليها ساهرًا، أمَّا أن يصبح الراعي ذئبًا يأكل هذا القطيع؛ فهذا أمر منكور!

وهذا ما نراه في حياتنا للأسف كثيرًا وكثيرًا جدًّا أنَّ الحامي هو الحرامي، يجوع النَّاس وهو شبعان، وتهزل جسوم النَّاس وهو سمين من كثرة ما أكل من لحوم الخلق، رأينا الحكام الَّذين ينقلون الملايين والمليارات من بلادهم إلى الخارج: إلى بنوك سويسرا وأمريكا، هذا ما نراه للأسف في بلادنا، هؤلاء لهم من الله الويل كل الويل، في الدُّنْيا وفي الآخرة.

كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته:

الإسلام يقول: لا تظلم. يقوله للنَّاس جميعًا، ويقوله لكلِّ ذي سلطة، يقول للأب: لا تظلم أحدًا من أولادك، سوِّ بينهم في العطيَّة؛ إذا أردتَ

---

(١) رواه أحمد (٩٥٧٣)، وقال مُخَرِّجوه: إسناده قوي. والطبراني في الأوسط (٦٢٢٥)، والبزار (٨٤٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠٣٦): رواه البزار بإسنادين، والطبراني في الأوسط بالأول، ورجال الأول في البزار رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٠)، عن أبي هريرة.

(٢) ذكره الدميري ولم ينسبه في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

أن يســتووا معك في البر. يقول هذا لمدير الشــركة في شركته، ولمدير المدرسة في مدرسته، كل ذي سلطان في سلطانه عليه مسؤوليَّة أكبر في إقامة العدل.

ويقول هذا للرئيس الأعلى في كل بلد، «**الإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّته**»[١]، ويقــول النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله ســائلٌ يوم القيامــةِ كلَّ راعٍ عمَّن استرعاه: حفظ أم ضيَّع**»[٢]. حفظتَ الرعيَّة أم ضيَّعتها؟ هذا السؤال من الله للراعي، ويجب أن يســأله الرعيَّة أيضًا إذا كانت رعيَّة مؤمنة حقًّا، يجب أن يُسأل الراعي، فليس هو إلهًا، هو مخلوق، لماذا يخاف النَّاس هؤلاء؟

لا تركنوا إلى الذين ظلموا:

إنَّ الإسلام يقول للمســلم: لا تظلم. ثمَّ يقول: لا تكن عونًا لظالم. إيَّاك أن تكون يدًا يبطش بها الظالم، ســوطًا يضرب به الظالم، فأنت في هذه الحالة شريكه، قال النبي ﷺ لكعب بن عجرة: «**يا كعبَ بن عُجْرة، أعــاذك اللهُ من إمارةِ الســفهاء**»، قال: وما إمارة الســفهاء؟ قــال: «**أمراءُ يكونون بعدي، لا يقتدون بهديي، ولا يســتنُّون بســنَّتي، فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم علــى ظلمهم، فأولئك ليســوا مِنِّي، ولســتُ منهم، ولا يردوا عليَّ حوضي، ومن لــم يُصَدِّقهم بكذبهم، ولــم يُعِنْهم على ظلمهم، فأولئك مِنِّي وأنا منهم، وســيردوا علــيَّ حوضي. يا كعبَ بن عُجْرة، الصوم جنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئــة، والصلاة قربان** ـ أو قال:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٢) رواه النَّسائي في الكبرى في عشرة النســاء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في الســير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شــرطهما. وصحَّح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

برهان ـ **يا كعبَ بن عُجْرة، إنَّه لا يدخل الجنَّة لحمٌ نبت من سُحْت، النَّار أولى به. يا كعبَ بن عُجْرة، النَّاس غاديان: فمبتاعٌ نَفْسَه فمُعْتِقُها، وبائعٌ نَفْسَه فمُوبِقُها**»[(١)]. لا يجوز أن تُصدِّق كذبَ الظالمين ولا أن تُعينهم على ظلمهم.

والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣]. لا تركنوا إليهم، لا تميلوا إليهم، لا ترضوا بأعمالهم، لا تساعدوهم على هذا الأمر، وإلا تمسَّكم النار، وتفقدون ولاية الله لكم، وتفقدون نصر الله، فالركون إلى الظلمة، والعون لهم ولو بكلمة، قال الحسن البصري: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحبَّ أن يُعصَى الله في أرضه[(٢)]. حين تقول لظالم: ربنا يُطوِّل عمرك. فمعناه أن يطيل عمر الظلم والعدوان، والبغي والفساد في الأرض.

ويقول: «**لا تقولوا للمنافق سيد، فإنَّه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربكم** ﷻ»[(٣)]. المنافق ليس سيدًا، فكيف إذا جهر المنافق بنفاقه؟ كان المنافقون في عهد النبي ﷺ يظهرون الإسلام، كانوا يصلون الجماعة، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢]، أمَّا المنافقون في عصرنا فلا يقيمون الصَّلاة لا كُسالى

(١) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٢٢/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن جابر.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٠).

(٣) رواه أحمد (٢٢٩٣٩)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩٧٧)، عن بريدة الأسلمي.

QaradawiBooks.com

ولا غير كُسالى، ولا يعرفون المسجد، بل يحاربون المصلين، يحاربون من أقام الصلاة.

معاقبة الظالمين من يصلي الفجر:

كانوا في العهد البائد في تونس من قام إلى صلاة الفجر في المسجد يقبضون عليه، ما الَّذي جعلك تصلي في المسجد؟ فأصبح النَّاس يخافون ويصلون في بيوتهم، فكانوا يلاحظون البيوت الَّتي تضاء عند الفجر، فإذا وجدوا بيتًا أضاء طرقوا بابه وسألوا صاحبه: ما الَّذي جعلك تستيقظ في هذا الوقت؟ الصلاة عندهم جريمة، والحجاب أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها جريمة، والعمل لدين الله جريمة، هؤلاء يجب أن يقف النَّاس لهم بالمرصاد.

جنود الظالمين:

لا تركن إلى ظالم، لا تكن عوْنًا له، لماذا قال القرآن: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]؟ للأسف تجد كثيرًا من الجنود في بعض بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة يشاركون الظالم في ظلمه، يطلقون الرصاص الحيَّ على صدور المواطنين، كيف يمكن لمسلم أن يقتل مسلمًا لم يره قتل نفسًا، ولا زنى وهو مُحصن، ولا ارتدَّ عن دينه؟ يا أخي، لماذا تقتله؟ يقول لك: أنا «عبد المأمور». من أمرك بهذا؟ هل أمرك الله ورسوله بذلك؟ الرسول ﷺ يقول: «**السمعُ والطاعةُ حقٌّ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة**»[1]. هل إذا أمرك بمعصية القتل تقتل؟ هذا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٥٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

هو الَّذي جرَّأ هؤلاء الطغاة الشياطين، غرَّهم أنَّهم وجدوا أناسًا هم مثل السياط في أيديهم.

لا فــرقَ بينهمُو وبين سِــيَاطِهم كلٌّ أداةٌ فــي يــدَيْ مَأْفُــونِ[1]

يقول: أنا عبد المأمور. من أمرك؟ أنت عبــد لله وحده، فلا ترتكب معصية صريحة.

ذكر روجيه جارودي بأنَّ الَّذي حبَّب إليه الإسلام أنَّه كان في الحرب العالميَّة وأُســر، أســره جندي جزائري، وكان الجزائريُّون والتونســيُّون والمغاربة يعملون جنودًا تحت إمرة الفرنسيِّين والإسبانيِّين وغيرهم، في أيام الحرب العالَميَّة الأولى والثانية، فلما أُسِرَ جارودي أمر أحد الضباط هذا الجندي أن يقتل روجيه جارودي، فرفض الجندي وقال: أنا لا أقتل إنسانًا بغير حقٍّ، عقيدي تمنعني أن أقتل رجلًا أسيرًا لا حول له ولا قوَّة، ولــم أرَهُ ارتكب جريمة يســتحقُّ بها القتل. ورفــض أن يقتله وتعرض للحبس، ونجا جارودي، وظلَّ يذكر طول حياته هذا الجندي الَّذي نجَّاه بســبب موقفه، وكُتبت له الحياة، وكتب له الإسلام والإيمان بعد ذلك. فلا يجوز أن يجعل الإنســان نفسه ســوطًا بأيدي الظلمة، ولا يجب أن يجبر أحدٌ أحدًا على معصية، ولو قُتل هو، يموت شهيدًا في سبيل الله.

حمَّل القرآن الجنود إثمَ فرعون وهامان وأخذهم معه، يقول الله تعالى عن فرعون بعدما غرق: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٠ ـ ٤٢]. فرعون وجنوده، الجنود مثله، لأنَّه من غير جنود لا قيمة له.

(١) انظر ديواننا: نفحات ولفحات صـ٨٨، قصيدة: الملحمة النونية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

ما أوهن الطغاة حين ينفض عنهم جنودهم:

هؤلاء الطغاة يرعبون النَّاس (بالهَيْـل والهَيْلَمان)، ولكنَّهم كما قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

ما أوهنهم، حينما ينفضُّ هؤلاء من حوله! يصبح شيئًا تافهًا مليء بالذعر، الَّذي يجعل النَّاس يرهبون هؤلاء: هو الخوف من هذه الهياكل، من هذا السراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً؛ حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا، هذه أصنام، والأصنام لا تضر ولا تنفع، ولا تملك أن تصنع لك شيئًا. انظر إلى هؤلاء الظالمين حينما يخرون هالكين، يصبحون لا قيمة لهم ولا وزنًا، أين الَّذين كانوا ينصرونكم؟ أين الجنود؟ أين المدَّاحون؟ لم يعد لهم شيء.

الإسلام يريد أن يحمل كل واحد من هؤلاء المسؤوليَّة، لو عرف جنود الشرطة في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة: أنَّه لا يجوز لهم أن يقتلوا النَّاس بغير ذنبٍ رأوه، ما أطاعوا آمريهم بالقتل؛ لأنَّ هذا القتل معصية كبيرة.

أليس في كل بلاد الدُّنْيا مظاهرات؟ لماذا لا يقتلون الناس، لماذا في بلادنا وحدها يُقتل النَّاس من أجل التظاهر السلمي؟ لأنَّ سادتهم ثقَّفوهم أنَّهم عباد مأمورون، أنَّهم يجب أن يُنفِّذوا ما يقال لهم، هذه ثقافة مسمومة، وثقافة مُضَلِّلة، وثقافة خاطئة، وليس لها من الشرع أصل قط، لأنَّ قتل النَّاس معصية ظاهرة، ويقتلون النَّاس من أجل حماية طاغية، حماية صنم كبير، من أجل حماية الأصنام تُقتل الشعوب.

القتل هو أعظم جريمة بعد الشرك بالله:

لا بدَّ أن نثقِّف أبناءنا في بلادنا المختلفة ثقافة جديدة، أنَّه يحرم عليكم أشدَّ التحريم أن تقتلوا بريئًا، وأنَّ القتل هو أعظم جريمة

QaradawiBooks.com

بعد الشرك بالله تعالى، ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

وفي الحديث الصحيح: «**لا يزال المسلمُ في فُسحة من دِينِه، ما لم يسفكْ دمًا حرامًا**»[(١)]. بغير هذا عنده فسحة لمغفرة الله وعفوه، أمَّا أن تقتل بغير حقّ، إنَّ الإسلام لا يجيز لك أن تقتل حيوانًا بغير سبب ولا منفعة، والحديث الصحيح يقول: «**دخلت امرأةٌ النَّار في هرَّة حبستَها حتَّى ماتت، فلا هي أطعمتَها ولا هي تركتْها تأكلُ من خشاش الأرض**»[(٢)]. هذا في هرَّة؛ فكيف بالإنسان المُكرَّم؟

الله سبحانه يملي للظالمين ثمَّ يأخذهم:

إنَّ الظالمين لهم عند الله يومٌ في الدُّنْيا وفي الآخرة، في الدُّنْيا الله ﷻ يُمْلي لهم كما قال ﷻ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧].

الناس يقولون: يُمْهل ولا يُهمل. كل الناس، المرأة العجوز، الإنسان الأمِّي، يقول: يُمْهل ولا يُهْمل. وكيف يُهمل؟ وهل يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء؟ لا تخفى عليه خافية، إنَّما يستدرجهم ويعطيهم فرصة بعد فرصة، ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

---

(١) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقول النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله ليُملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يُفلته**». ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][(١)]. يُمْلي للظالم حتَّى يظنَّ النَّاسُ أنَّ الله نسيه أو نسيَهم، لا، ربُّنا لا ينسى، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، إنَّه يمهلهم، ولكن لا يهملهم.

إجابة دعوات المظلومين، وصرخات المستضعفين:

لا يمكن أن يغفل الله عن دعوات المظلومين، وصرخات المستضعفين، لا يمكن أن يهمل الله هذا أبدًا، حينما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، وأوصاه بعدة وصايا، كان منها: «**واتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب**»[(٢)]. وفي حديث: «**اتَّقِ دعوةَ المظلوم وإن كان كافرًا**»[(٣)]. يقول العلماء: الدين بين لاءين: لا تطغوا، ولا تركنوا: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ۚ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٢، ١١٣]. لا تطغوا: لا تظلم، لا تبغِ. البغي والظلم ممنوع على كل الناس، دعوة المظلوم كما جاء في الحديث الَّذي رواه الترمذي: «**يرفعها اللهُ فوقَ الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعِزَّتي لأنصُرَنَّكِ ولو بعد حين**»[(٤)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزَّكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (١٢٥٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٣٥): رواه أحمد، وأبو عبد الله الأسدي لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن أنس.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٢.

تكفَّل الله بنصر المظلوم، هؤلاء الَّذين قُتلوا بغير حقّ، والَّذين سُجنوا بغير حقّ، والَّذين شُرِّدوا بغير حقّ، والَّذين عُذِّبوا بغير حق لم ينسهم الله، الدعوات الَّتي صُعِّدت إلى السماء لم تذهب سدى.

سِهَامُ اللَّيْلِ صائبةُ المَرَامِي إذا وُتِرَتْ بأوتارِ الخُشُوعِ
يُصَوِّبها إلى المَرْمَى رِجَالٌ يُطيلونَ السُّجُودَ مع الرُّكُوعِ
إِذَا أُوتِرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ قَلْبًا فَمَا يُغْنِي التَّحَصُّنُ بالدُّرُوعِ[1]

ما أغنت عنهم حصونهم من الله شيئًا، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]، تحصَّنوا بالحصون المتينة، والحراسات القويَّة، والشركات الغربيَّة الَّتي تحميهم، والغربيُّون من الأوروبيُّون والأمريكان، لم يغن ذلك عنهم من الله شيئًا؛ حينما جاء وعد الله.

نهاية الظالمين أمر محتوم:

حينما جاء أمر الله انتهوا تمامًا، وبرئ منهم هؤلاء الَّذين كانوا يحمونهم، لم يجدوا عندهم مأوى يأوون فيه أو إليه، وصدق الله العظيم: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]. المليارات الَّتي بعثوها إلى الخارج لم تنفعهم، الَّذين أحاطوا بهم من جنود، عشرات الآلاف من الجنود، يقولون: أمريكا لديها ستون ألف جندي. وهؤلاء عندهم أكثر من مائة وخمسين ألفَ جنديٍّ حماية فقط للرئيس، ما أغنوا عنه شيئًا.

(١) القائل هو إبراهيم الدسوقي صاحب الضريح المشهور في مصر، كما في روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للشيخ أحمد بن محمد الوتري صـ٥٠، نشر المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

QaradawiBooks.com

إنَّ نهاية الظالمين أمر محتوم، ولكن كل شيء بأجلٍ مُسمَّى، ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]، حينما جاء الأجل وقام الشعب، لا بدَّ أن يقوم النَّاس بشيء، السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضَّة، ولا تمطر نصرًا، إنَّما لا بدَّ أن تنصر الله لينصرك الله، انصر الله ينصرك الله، وإذا نصرك الله فلن يغلبك أحد، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ثورة تونس:

لا نزال في أعقاب الانتصار التونسي العظيم، إننا من فوق هذا المنبر حيينا الشعب التونسي في الأسبوع الماضي، ونحن الآن نحييه ونهنئه على ما حقق الله له من نصر دفع ثمنه، ومن دفع الثمن استحق السلعة، الله لا يُضيِّع أجر مَنْ أحسن عملًا، كثير من النَّاس يريد النصر دون أن يدفع الثمن، والله ربط الأسباب بالمسبَّبات، وأنشأ السنن الَّتي تحكم هذا الكون، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣]، صبر هذا الشعب الحر الكريم طويلًا إلى أن جاءت ساعة الحساب وساعة الفصل، وبدأت بهذه المنطقة (سيدي أبي زيد).

وأنا كنت أظن أن سيدي أبا زيد شيخًا من الأولياء كما تُطلق كلمة (سيدي) على أعداد من الأولياء المعروفين في الشمال الأفريقي، من المغرب إلى مصر، ولكن عرفت من الإخوة في تونس أنَّ هذه منطقة بني هلال، الَّذين رحلوا من نجد إلى تونس في القرون الماضية، ورحلتهم معروفة وسمعناها من شاعر الربابة، وقرأناها في كتب معروفة عن ملاحم بني هلال، فهم الَّذين استقروا في هذه المنطقة، وهم الَّذين عرَّبوا تونس، فأبو زيد هنا هو أبو زيد الهلالي سلامة الَّذي نعرفه.

والشابُّ الَّذي أحرق نفسه:

والشابُّ الَّذي أحرق نفسه ـ نسأل الله أن يعفو عنه ـ هو شابٌّ من بني

QaradawiBooks.com

هلال، حينما عجز عن أن يتوظَّف وهو معه الشـــهادة الجامعيَّة، أراد أن يأكل رزقه من حلال فاشـــترى عربة ليبيع فيها الخضار؛ فمنعته الشرطة وأخذت عربته بما فيها، فاشترى الشابُّ عربة أخرى فأمسكوه مرَّة أخرى، فلما ذهب إلى الشـــرطة كانت هناك شـــرطيَّة قليلـــة الأدب صفعته على وجهه، فانظر إلى شخصٍ من بني هلال حين تصفعه شرطيَّة على وجهه فأيُّ مهانةٍ كبيرة شعر بها كما يشـــعر بها أي أحد! فكان ما كان من هذا الشـــابِّ، ذهب إلى الوالي فطرده الوالي، فكان لا بدَّ أن يكون ما كان، أحرق نفسه أمام الشـــعب وهو يغلي من داخله وكأنَّه بركان، انفجر هذا البركان وأحرق نفسه.

وكانت هذه هي الشرارة الَّتي أشعلت الشـــعب التونسي، وقام بهذه الثورة العظيمة، ثـــورة لا تدانيها ثورة، كنا قبل ذلـــك نذكر ثورة إيران، ولكن ثورة إيران كان لها قائد، وقائد مُطاع، وقائد يعتبرونه شبه معصوم، وهو الخميني، لكن هذا الثورة قامت بلا قيادة، الشـــعب هو القائد وهو المقود، وقامت بها الطبقة المتوسطة: المُتَعَلِّمون والمُثَقَّفون، والجامعيُّون والمحامون، واتحاد الشغل الَّذي يشمل العمال والموظفين، وانتقلت من بلد إلى بلد، ومن مدينة إلى مدينة، ومن طبقة إلى طبقة، وسقط الشهداء.

شهداء الثورة التونسية:

هناك أكثر من مائة شهيد كلهم من أبناء الشعب، ليس فيهم واحد من رجال الأمن، ممَّا يـــدلُّ على أنَّ هؤلاء الشـــباب وهؤلاء المُتَحَمِّســـين الناشطين من أجل الحُرِّيَّة والكرامة: لم يكونوا يطلقون النَّار على أحد، كانوا ينادون بالحُرِّيَّة والكرامة، والعيش الكريم لأبناء الشعب، ما قتلوا أحدًا، وإنَّما كان كل القتلى منهم، ونعتبرهم كلَّهم شـــهداء إن شـــاء الله،

QaradawiBooks.com

لأنَّهم كانوا يدافعون عن الحــقِّ، ويقاومون الظلم، ويقاومون الطاغوت، أمَّا الَّذين قتلوهــم فهم عملاء هذا الطاغوت، وهــم الَّذين يعملون بغير ظهور وجوههم، مُلَثَّمون، وقنَّاصة، يختفون ويضربون من بعيد.

قُتل مَنْ قُتل من هذا الشعب حتَّى حصل على الثمرة، من زرع حصد، ومن جدَّ وَجَد، ومن سار على الدرب وصل، لم تضع هذه الدماء هدرًا، ولهذا يستحقُّ هذا الشعب أن نُهَنِّئه على ما وصل إليه.

أهمية استمرار الثورة:

ونريد لهذا الشعب أن يأخذ الثمرة بكاملها، ولهذا لا بدَّ أن يستمرُّوا، أنصــح إخواني في تونــس أن تظلَّ الثورة مســتمرَّة حتَّــى يُحَقِّقوا كلَّ ما يريدون، لا معنى أن يظلَّ أناسٌ من حزبٍ طالما أصاب هذا الشــعب الصاب والعلقم، كهنة الصنم الَّذين كانوا يحرقون له البخور كيف يبقون بعده؟ كيف يظلون في الحكم؟

أنا أنادي الشــعب التونســي، وربما يقول بعض الناس: ما شــأنك بالشعب التونسي؟ أنا من الشعب التونســي، والشعب التونسي مِنِّي، أنا من فلسطين، أنا من المغرب، أنا من الجزائر، أنا من مصر، أنا من سوريا، أنا من قطر، كل البلاد الإســلاميَّة بلادي، وكل هذه الشــعوب أهلي، أنا أنادي بحقِّ الإســلام عليَّ، بحقِّ النصيحة، «**الدينُ النصيحة؛ لله ولرسوله ولكتابه ولأئمَّة المســلمين وعامَّتهم**»[1]، أنصح الشعب التونسي ألَّا يدع هؤلاء في الحكومة، يبقى فقط رئيس الجمهوريَّة المؤقَّت لئلَّا يكون هناك فراغ دســتوري، ولكن لا يتولَّى الحكومة أحد من هــؤلاء، كيف يتولَّى

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧)، عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

مُحَمَّد الغنُّوشي رئيس الحكومة الَّتي قتلت من قتلت، ولُطخت يدها بالدماء؟ أُقيل وزير الداخليَّة وجاء آخر شرٌّ منه، ولا زال يدافع عن هذا النظام، كيف يبقى مُحَمَّد الغنوشي وقد اتَّصل بـ«ابن عليٍّ» في منفاه، يخبره بأنَّ الأمور مستقرَّة، وأننا عملنا كذا وكذا؟ كيف يخون شعبه ويتَّصل بالهارب، وشعبه هو الَّذي جاء به؟ لا يجب أن يبقى هؤلاء أبدًا في الحكم، لا بدَّ أن تكون الحكومة خالصةً ليس فيها أحد من هؤلاء.

ولا بد أن يُفرج عن كل المسجونين، وكل المُعتَقلين، ويعود كل المشرَّدين، وتُرد الأمور إلى نصابها، يجب أن تعود جامعة الزيتونة جامعة إسلاميَّة كما كانت، لا أن تكون كما أصبحت مجرد كلية إسلاميَّة: يدخل فيها البنات اللواتي يدرسن الشريعة حاسرات الرؤوس، ويلبسن (الجابونيز، والميني جيب، والميكرو جيب)، وحمَّام السباحة مختلط للبنين والبنات، يجب أن تعود الجامعة، ويجب أن يعود الحجاب مباحًا على الأقل، يكون شأن المحجبة شأن الَّتي تلبس هذه الأشياء، لا يمكن أن تظل حكومة، أو تأتي حكومة تجعل الحجاب أمرًا ممنوعًا محظورًا، وتعتبره زِيًّا طائفيًّا، يجب أن تتغيَّر الأمور كلها.

جمعية تأسيسية ودستور جديد:

ويجب أن تكون الفترة القادمة هي فترة الإعداد لمجلس تأسيسي أو جمعية تأسيسيَّة، تضع دستورًا جديدًا يطلِّق القيم والمبادئ، الَّتي بُني عليها الدستور العلماني اللاديني الطاغوتي، الَّذي كان مُفصَّلًا على حجم الحزب الدستوري وجبروته، واستبداده وطغيانه، يجب أن نضع دستورًا جديدًا تشارك فيه كل فئات المجتمع بكل حرية، وننتخب رئيس جمهوريَّة على هذا الأساس، وتسير الأمور كلها بالشورى، لا خير في طريقة غير الشورى، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

QaradawiBooks.com

مباركٌ على الشعب التونسي ما حصَّله، مباركٌ على هذه الفئات الَّتي بذلت ما بذلت، وما جنت من ثمرات هي تستحقها؛ حسب سنن الله تبارك وتعالى في كونه، وأحكامه في شرعه، ونسأل الله ﷻ أن يديم عليها النعمة ويديمها على أمتنا، ويجعل في هذا الدرس درسًا تنتفع به شعوبنا كلها، وينتفع به الحكام الصم الَّذين لا يسمعون، والعمي الَّذين لا يبصرون، والمجانين الَّذين لا يعقلون، نريد لهؤلاء أن يستفيدوا من هذا الدرس، أن يفتحوا أعينهم ليروا، وأن يفتحوا آذانهم ليسمعوا، وأن يفتحوا عقولهم ليدركوا، ففي هذه الحادثة الكبيرة عبرة وذكرى، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

اللهمَّ أكْرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأعطِنا ولا تحرِمْنا، وزِدْنا ولا تنقُصْنا، وآثرنا ولا تُؤْثِرْ علينا، وارضَ عنَّا وأَرْضِنا. اللهمَّ إنَّا نسألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانا، وأهْلِنا وأموالِنا، اللهمَّ استرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلِنا، ومن فَوْقِنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا. اللهمَّ عليك بالظالمين، اللهمَّ عليك بالطُّغاة الجبَّارين، اللهمَّ عليكَ بأعدائك أعداء الدين، اللهمَّ رُدَّ عنَّا كيدَهم، وفُلَّ حدَّهم، وأَدِلْ دولتَهم، وأذهبْ عن أرضك سلطانَهم، ولا تدعْ لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين. اللهمَّ ردَّ كيدَهم في نحورهم، وأعد سهامَهم المسمومةَ إلى صدورهم، اللهمَّ لا تكِلْنا إلى أنفسنا طَرْفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلك، اللهمَّ يا مُنْزِلَ الكتاب، ويا مُجْرِيَ السَّحَاب، ويا سريعَ الحساب، ويا هازمَ الأحزاب، اهزمْهم وانصُرْنا عليهم.

ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

تقوى الله[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نعيش مع القرآن الكريم، تحدَّثْنا في السنة الماضية عن أسماء الله الحسنى، ونتحدَّث الآن عن القيم والمعاني العظيمة، والمثل العليا الَّتي جاء بها هذا القرآن.

نعمة تقوى الله:

من أعظم ما جاء به القرآن ليسعد النَّاس في دنياهم وأخراهم، ويُهيِّئ لهم أسباب الخير في حياتهم كلها: نعمة التقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ما معنى حقَّ تُقَاتِه؟ حقُّ التُّقَى: أن تذكر الله فلا تنساه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تطيعه فلا تعصيه، وأن تلتزم بمنهاجه فلا تحيد عنه.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٦ يناير ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعض النَّاس يقول: إنَّ هذه الآية نُسخت بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. ولكن ليس هناك دليل على هذا النسخ، تقوى الله حق تقاته أن يكون ذلك في حدود اســتطاعتك، لا تُكلَّف بما لا تقدر عليه، وما لا تطيقه.

وقد علَّمنا الله تعالى في خواتيم سورة البقرة أن ندعوه بقولنا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. الَّذين من قبلنا حُمِّلوا آصارًا وأغلالًا، وكان من مهمَّة رسولنا مُحَمَّد ﷺ ـ كما ذُكر ذلك في التوراة والإنجيل ـ أن يضع هذه الآصار عن الأمَّة: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. الآصار: التكاليف الشديدة الثقيلة الَّتي لا يطيقها أوساط الناس.

ومن هنا كانت مُهِمَّة نبيِّنا محمَّد ﷺ أن يضع الآصار والأغلال عن الناس، ويأتي بالشريعة الحنيفيَّة السَّمْحة، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، هذه رسالة محمَّد ﷺ.

حق التقوى في حدود الاستطاعة:

حقُّ التَّقوى إذن أن تتقي الله ما استطعت، لا تُكلَّف إلَّا في حدود ما تســتطيع، كما قال نبي الله شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هــود: ٨٨]. والله تعالى حينما أمر الأمَّة أن تعــد لأعدائها، من القــوة والعدة والجنود والأســلحة قال:

QaradawiBooks.com

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لا يُكلِّفنا الله إلَّا بما نستطيع، فالتقوى الحقيقيَّة، تقوى الله حق تقاته: أن تتقي الله ما استطعت.

صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبك أو على ظهرك، صلِّ مُتطهِّرًا بالماء، فإن عجزت عن استعمال الماء فتيمَّم صعيدًا طيبًا، صُمْ رمضان كاملًا ما استطعت، ولكن إن كنتَ مريضًا أو على سفر فعدَّة من أيام أُخَر، ومن حقِّكَ أن تفطر في مرضك أو سفرك، وتقضي أيامًا أخر بعدد ما أفطرت.

من بركات التقوى:

هكذا جاء القرآن الكريم بالتقوى، ورتَّب عليها خير الدُّنْيا والآخرة، كل ما يحتاج النَّاس إليه من خير في دنياهم، ومن خير ومثوبة في أخراهم: النجاة من النار، ودخول الجنَّة، كل هذا مرهون بالتقوى.

الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٧١]. ستمر على النار، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧٢]. يجثون في جهنم، تأكلهم جهنم؛ ليس عندهم تقوى تنجيهم، الَّذين عندهم تقوى تنجيهم التقوى، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾.

أمَّا دخول الجنَّة فيكون بالتقوى، ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ٦٣]، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أعدها الله وهيَّأها لتكون دارًا للمتقين، دار النعيم، دار الجزاء في الآخرة.

كل ما يطلبه الإنسان في الآخرة من نعيم، من رَوْح وريحان، من كل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر يجده في الجنَّة، ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

QaradawiBooks.com

وأمَّا كل أسباب الخير الَّتي يترقبها الفرد، وتترقَّبها الجماعة، وتترقبها الأمَّة المؤمنة في الدُّنْيا فهي مربوطة بالتقوى كذلك، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

من يريد خير الدُّنْيا فعليه بالتقوى، التَّقوى في علم الشرع كالوقاية في علم الطب، وهي من مادة واحدة، مادة (وقى، يقي)، الوقاية أن تقي نفسك من الأمراض بأن تبتعد عن أسبابها وممهِّداتها وشرورها، كل ما يجلب لك المرض ابتعد عنه، بذلك تجلب لنفسك الصحَّة، لكل أشياء أسباب، وللأمراض أسباب، ابتعد عن كل ما يمرضك، هذه هي الوقاية، ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ابتعد عن كل أسباب الشر وأسباب المرض، وابتعد كذلك عن أسباب المعصية، عن كل ما يؤدي بك إلى عصيان الله ﷻ، والوقوع في أوحال الخطايا، ابتعد عن الشيطان، وأتباع الشيطان، ابتعد عن كل ما يغري بالفساد، وكل ما يُغري بالمعاصي والآثام، ابتعد عنه أيُّها المسلم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فإذا وجدت نفسك قريبًا من المعصية، تذكَّر جلال الله، تذكَّر رقابة الله عليك، تذكَّر أنَّ الله يسمع قولك، ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤]، يسمع السر وأخفى.

البعد عن المعاصي:

ابتعد عن المعاصي، عن الشرور، لا تقترب منها، ابتعد عن أصحابها، هم يعدون غيرهم، المعصية تُعدي شر ممَّا تعدي الأمراض، ابتعد عن أصحاب المعصية، لا تجعل بينك وبينهم صلة ما استطعت، هكذا ينبغي للمسلم أن يعيذ نفسه من المعاصي، ويدعو الله ﷻ، ويستعيذ به من كل

QaradawiBooks.com

الشرور، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٢ ـ ٥]، ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۞ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۞ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٤ ـ ٦]، تستعيذ بالله: أي تتحصَّن بالله، تلجأ إلى الله، تتوقَّى به كل ما يصيبك به الأعداء.

اعرف الشرور، وهذا يلزمك أن تتفقَّه في دينك، «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّه في الدِّين**»[1]، لا يمكن للإنسان أن يتوقَّى المعاصي إذا لم يعرفها، ربَّما يظن بعض النَّاس شيئًا أنَّه من الطاعة وهو معصية، كأن يلبس الرجل في عنقه قلادة، كثير من الرجال وخصوصًا المثليِّين يلبسون قلادات في أعناقهم، هذه حرام، لا يجوز للرجل أن يلبسها، ويجوز للمرأة أن تلبسها إذا كانت للزينة، لكن إذا كانت للتعوُّذ والتوقِّي فلا يجوز للرجل ولا للمرأة، هذه تعويذة من الشرك، من عمل الشيطان، فكيف إذا كان يلبسها الرجل من حرام، من الذهب؟ هذه مصيبة أخرى، وكذلك إذا كان يلبسها تشبهًا بالنساء فهي مصيبة، وإذا كان يلبسها تشبهًا بغير المسلمين فهي مصيبة، فلا بد أن يتعلم المسلم ويتفقه في أمور دينه حتَّى يتعوذ من المعصية.

اترك كل ما يغضب الله ﷻ، كل ما يجلب عليك سخط الله، كل ما يحبب فيك الشيطان، ويُبغِّض فيك أهل الإيمان، هذا ما ينبغي للإنسان المسلم أن يتجنَّبه.

تزوَّد للَّذي لا بُدَّ مِنْهُ ... فإنَّ الموتَ ميقاتُ العبادِ
أترضى أن تكونَ رفيقَ قومٍ ... لهم زادٌ وأنت بغيرِ زادِ[2]؟

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية.

(٢) ذكرهما ابن الجوزي في بستان العارفين صـ١٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

التزوُّد بزاد الآخرة:

تسافر مع جماعة، وأنت رجل قادر تستطيع أن تجهِّز ما تَكْفُل به نفسك، فجاؤوا بالأزواد وجئت خالي الوفاض، لماذا تعيش عالة على غيرك؛ وأنت قادر على أن تُزوِّد نفسك وتنفع غيرك؟!

وزاد الآخرة خاصَّة لا بدَّ منه، ربَّما يتساهل النَّاس في أزواد الدُّنْيا، أمَّا زاد الآخرة؛ فلا يستطيع أحد أن ينفحك بأي نفحة، حتَّى ابنك الَّذي من صلبك، أو أخوك الَّذي هو شقيقك، أو زوجتك الَّتي تعيش في حضنك، أو أقرب النَّاس إليك أب أو أم، لا يجزي واحد عن صاحبه شيئًا، لا يُعطيه حسنة واحدة، لو كنت محتاجًا إلى حسنة لا يُعطيك إيَّاها، ربَّما يحتاجها هو، كل واحد يقول: نَفْسي نَفْسي. لا يفدي أحد غيره، يوم القيامة، هو يوم الأنانية المطلقة، فلا بد أن تعد الزاد للآخرة، وخير الزاد تقوى الله ﷻ.

تقوى القلوب:

والتقوى الحقيقيَّة أيُّها الإخوة هي تقوى القلوب، الله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. التَّقوى ليست حقيقتها من أعمال الجوارح والأبدان؛ بل هي عمل قلبي، كما أشار النبي ﷺ في أحد أحاديثه بإصبعه إلى صدره وقال: «**التَّقوى هاهنا، التَّقوى هاهنا، التَّقوى هاهنا**»[1]. ليست التَّقوى في عِمامتك المُكوَّرة، أو لحيتك الطويلة، أو ثوبك القصير، أو أي مظهر من المظاهر الَّتي يستدل بها النَّاس على التَّقوى ويتكاشفون بها، التَّقوى في أعماق القلب.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التقوى هي خشيةُ الله، أن تخشى ربَّك، أن تخاف الله في سرِّك وعلنك، في كلِّ أمر من أمورك تخاف الله ﷻ، هذا هو سرُّ التقوى، فإذا كنت تريد أن تتقي الله انظر إلى قلبك، «**إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أجسامكم ولا صوركم، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم**»[١]، هكذا علَّمنا النبيُّ ﷺ، موضعُ نظر الله ليس الصور والأجسام، إنَّما ينظر الله إلى القلوب.

يقول الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩]. هذا هو الَّذي ينجي الإنسان في الآخرة: القلب السليم الصحيح، ليس فيه أيّ مرض، السليم من الشِّرك، السليم من الكفر، السليم من النفاق، السليم من الرياء، السليم من كبائر الإثم، كل مفسدات القلوب من الكبائر: حب الدُّنْيا، حب المال، حب الجاه، «**الحسدُ والبغضاءُ هي الحالقة، لا أقول: تحلقُ الشَّعْر، ولكنْ تحلقُ الدِّين**»[٢].

هذا هو المطلوب من الإنسان المسلم، طَهِّر قلبك لتَطْهُرَ جوارحُك، وتطهر أعضاؤك، ويطهر بدنُكَ كلُّه، النبيُّ ﷺ يُعلِّم أصحابه فيقول: «**أَلَا إنَّ في الجسدِ مُضْغَةً إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، أَلَا وهي القلب**»[٣]. ليس المراد بالقلب هذه القطعة من

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

اللحم، فهي موجودة في الإنسان وفي الحيوان، إنَّما المقصود جوهرها، ما فيها من حيوية وحياة، أحيي قلبك بتقوى الله، ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢، ٣٣]، هؤلاء هم أهل الجنَّة الَّذين جاؤوا بقلب منيب إلى الله، رجَّاع إلى الله، القلب السليم والقلب المنيب هو الَّذي ينفعك في الآخرة، وهذا هو أساس التقوى.

من يريد التَّقوى عليه أن ينظف قلبه من أوساخ الدُّنْيا، من القاذورات الَّتي يتعامل بها الناس، كأن تضمر في قلبك السوء، تظن السوء بالآخرين، تحتقر الناس، وتعتبر نفسك أفضل منهم، يقول النبي ﷺ: «**بحَسْب امرئٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم**»[1]. ما يُدْرِيك لعلَّ هذا العاصي يتوب، لعلَّ هذا المقصِّر يشمِّر، لعلَّ المتأخر يسبق، وكم نرى في الحياة من هذه الأمور.

الفرق بين معصية القلوب ومعصية الجوارح:

عليك إذن أن تحرص على قلبك، وأهم ما تمنحك إياه التقوى: الحذر ممَّا يصيب القلوب من الأمراض الباطنة، ما الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس؟ كلاهما عصى ربه، ولكن آدم عصى ربه بمعصية من معاصي الجوارح، نهاه الله أن يأكل من الشجرة، أباح له أن يأكل من كل أشجار الجنَّة؛ إلَّا شجرة واحدة، ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ولكن الشيطان وسوس إلى آدم وزيَّن له الأكل منها، وأقسم له أنَّ هذه الشجرة ستجعله ملكًا، لا يموت ولا يزول، وأغراه حتَّى أكل منها، فكانت معصيته معصية ظاهرة، معصية البدن الجارحة: الأكل.

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٦، وفيه «التقوى هاهنا».

QaradawiBooks.com

أمَّا معصية إبليس فكانت معصية قلب، كانت معصيته الكِبْر، حسد آدم على ما آتاه الله من فضله؛ إذ أسجد الله لآدم ملائكته، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، استكبر فكان من الكافرين، واستحق لعنة الله، وكان من أهل النَّار والعياذ بالله، هذا هو الفرق بين معصيتي آدم وإبليس، أن آدم عصى معصية ظاهرة من معاصي الجوارح، وتبعته زوجته، فلما تابا منها تاب الله عليهما، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فاستجاب الله له وتقبل توبته، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، تاب الله على آدم وعلى زوجه حواء، وتقبل منهما التوبة.

اتَّقِ الله حيثما كُنْت:

احرص أيُّها الإنسان المؤمن على أن تكون إنسانًا تقيًّا، رجلًا كنتَ أو امرأة، شابًّا كنتَ أو شيخًا، احرصْ على هذه التَّقوى في كل زمان، وفي كل مكان، النبي ﷺ علَّم صاحبه أبا ذر، وصاحبه معاذ بن جبل، فكان ممَّا أوصاهما به: «**اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ**»[1]. ما معنى «**حيثما كنت**»؟ في أيِّ مكان كنت، وفي أيِّ زمان كنت. افترض أنَّك تعيش في المدينة، ثمَّ خرجت إلى اليمن، أو العراق أو مصر أو إلى أيِّ مكان من العالم هل تنسى الله؟ هل تغفل عن ربك؟ لا ينبغي للإنسان أن يغفل عن ربه أو ينساه أبدًا.

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]. حيثما ذهبت الله معك، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، حيثما ذهبوا في بر أو بحر أو جو، لا يتركهم الله ﷻ، معهم بعلمه، ومعهم بسمعه، ومعهم ببصره، هكذا ينبغي للإنسان أن يشعر دائمًا أنَّ الله معه في كل مكان، وأنَّه معه في كل زمان، سواء كنت مع النَّاس أو وحدك، افترض أنَّك في مكان وحدك، وتستطيع أن ترتكب المعصية، وليس هناك رقيب ولا أحد يراك غير الله، عين الله تعالى تراك وأعين ملائكته الكاتبين، لا ترتكب المعصية واعلم أنَّ الله يراك قبل أن تراه.

راود بعضهم امرأةً شابة عن نفسها فامتنعت وأبت، فقال لها: لماذا تمتنعين ولا يرانا إلَّا الكواكب؟ فقالت له: ويحك، وأين مُكَوْكِبُها[1]؟ تتحدَّث عن الكواكب، وتنسى من يُكوكب الكواكب ويُكَوِّرها، ويسخرها ويخلقها؛ وهو الله ﷻ؟! التقي هو الَّذي يراقب الله دائمًا.

طلب بعض الصالحين من أحد الشيوخ أن يوصيه، فقال له: أوصيك بآية واحدة، آخر آية في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. الَّذين يكونون مع الله بالتقوى، ومع خلقه بالإحسان الله معهم، يراهم وينظر إليهم ويسجل لهم أعمالهم أو عليهم، ويكون معهم بالعناية والرعاية.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٣).

QaradawiBooks.com

وصية الله تعالى عباده:

وقيل لبعضهم: أوصني. قال: أوصيك بما أوصى الله به الأوَّلين والآخِرين في كتابه، أوصى العالم كله من قبلنا ومن بعدنا، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]. كما أوصى الَّذين من قبلنا وصانا نحن، ونحن آخر الأمم إلى أن تقوم الساعة، وصى الجميع بتقوى الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، اتَّقوا الله الَّذي خلقكم وسوَّاكم، وعدَّلكم وربَّاكم بنعمه الكثيرة والمتكاثرة، لا تنسوا هذا الرب.

هكذا يُعلِّمنا الله ورسوله أن نتقي الله في صغرنا وكبرنا، وفي شبابنا وهَرَمنا، وفي سفرنا وحضرنا، وفي صِحَّتنا وسقمنا، وفي فراغنا وشغلنا، كما أوصى النبيُّ ﷺ بعض الشباب فقال: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابكَ قبل هَرَمك، وصحَّتك قبل سقمكَ، وفراغكَ قبل شغلكَ، وغناكَ قبل فقركَ، وحياتك قبل موتك**»(١).

كل واحد لا بدَّ أن يفكر فيما هو فيه، عندك صحَّة فلا تهملها، عندك فراغ فلا تهمله، عندك حياة فلا تهملها، عندك شبابٌ فلا تنسَ هذا الشباب، سيأتي الهرم والشيخوخة، وستتمنى أن يكون لك ما كان من

(١) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

قبل، تتمنى أن تكون لك قدرة لتستطيع أن تجاهد، أن تسافر مع إخوانك لتغيث الملهوفين، وتنجد المستعينين، وتقوم بحاجة المحتاجين، فلا تجد هذه الصحَّة، ولا تجد هذه القدرة، فاستعن بهذه الأشياء: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، هذه هي التقوى، فحاول أيُّها الأخ المسلم أن تكون تقيًّا.

التقوى لا تعني العصمة من المعصية:

وليس معنى التَّقوى أن تكون ملاكًا مُطهَّرًا، ولا أن تكون نبيًّا معصومًا، لا، سُئل الإمام الجُنَيْد: هل يزني الولي؟ فأطرق ثمَّ قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨][1]. إذا قدر الله أن يزني الولي يزني الولي، ولكن الولي إذا وقع في الزِّنى لا يسترسل، سرعان ما يتذكر جلال الله وحساب الله، يتذكر الموت وما بعد الموت، والحساب يوم القيامة؛ فيرجع إلى الله ﷻ، ويقول: يا رب اغفر لي وتب عليَّ، يا ربِّ لا تدعني في المعصية. هذا هو الولي إذا زنَى، والتقي إذا زنَى، يمكن أن يقع التقيُّ في الزنى، أو في السرقة، أو في شرب الخمر، أو في قطع الأرحام، يمكن أن يقع في أي معصية، والشيطان يستطيع أن يوقع الإنسان في المعاصي، ولكن الإنسان التقي لا يستسلم أبدًا للشيطان، تأتي التَّقوى فتسد عجزه، وتقيم أوده، وترفعه حيث يقف ليقاوم الشيطان فيصرع الشيطان.

فهكذا ينبغي للإنسان ألَّا يستسلم للمعاصي، وكما قلنا في خطبة

(١) الرسالة القشيرية (٥٢٤/٢)، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ماضية في أوصـــاف المتَّقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

هؤلاء هم المُتَّقون، فكُنْ يا أيُّها الأخ المسلم على تقوى من الله ﷻ، تسلَّح بالتقوى، هذا الســـلاح الَّذي لا يستطيع شيطانُ الإنس ولا شيطانُ الجنِّ أن يَفُلَّه أو يكســـره، أنت الَّذي تكسر الشياطين وتقاومهم وتنتصر عليهم بفضل الله ﷻ، وبتقوى الله.

أســـأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا التَّقوى وأن يجعلنا من المتقين، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يغفر لنا ما مضى، ويصلح لنا ما بقي، اللهمَّ آمين، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أُحَدِّثكم في هذه الخطبة عن أمرين:

انتخابات مجلس الشعب المصري:

الأمر الأول أنَّ الجولة الثالثة انتهت تقريبًا إلَّا من بعض مراجعات بفوز الإسلاميِّين، ونحمد الله تبارك وتعالى على أن هذه الأمَّة لا تزال بخير، لا يزال الإسلام فيها هو المرجع الأول، والمُرجِّح الأول.

ظن بعض النَّاس أن هذه الأمَّة انتهت، غلبت فيها اللادينيَّة والعِلْمانيَّة، وأكلت أهلها، لا والله، ستظلُّ هذه الأمَّة أبدَ الدهر مستمسكة بدِينها، مستمسكة بقرآنها، مستمسكة بمحمَّدها، لا تحيد عن كتاب الله، ولا عن سنَّة رسول الله.

يمكن أن تعصي الله، يمكن أن تتغيَّر في جزئيَّات مختلفة، ولكن سيظل الإسلام هو الَّذي يمسك هذه الأمَّة، وقد حدث للأُمَّة انحرافات وتجاوزات، حدثت فيها مظالم ومآثم، وكبائر ومُوبقات، حاولت أن تسلخها عن جلدها، وأن تخرجها عن جوهرها، وأن تُحرِّف مسيرتها، ولكن أبَى الله ذلك، وأبقى الأمَّة على دينها.

الإسلاميُّون أصبحوا هم الأغلبيَّة بحمد الله، لم يستطع من فعل وفعل أن يُحرِّف أغلب الأمَّة أبدًا والحمد لله، وأنا أريد أن أُطمئن النَّاس أنَّهم سيكونون للأُمَّة، الإسلامي الحقُّ يعتقد أنَّه مبعوث الله لعناية الأمَّة، لإخراج الأمَّة ممَّا هي فيه، كانت الأمَّة قد ماتت، نريد أن نُحيي الأمَّة بالإسلام،

QaradawiBooks.com

بالإيمان، بالأخلاق الحيَّة، هذا ما نريده، والإسلام هو تسامح ويسر، ليس فيها عسر، وليس فيه إجْحاف بالناس، وهذا ما أرى عليه الإخوة الَّذين انتصروا من الإخوان، حتَّى من السلفيِّين، أراهم يتحدَّثون حديث العقلاء، يعلمون أنَّهم في أمَّة، لا يريدون أن يأخذوا النَّاس بالعصا أو بالقسوة، لا، النَّاس لحم ودم، وقلوب وعقول، تحتاج أن تُقاد من عقولها.

ولذلك أنا أرجو الخير كلَّ الخير لشعبنا في مصر؛ بهذه الأمَّة المُنْتَخبة، وبتعاونها مع الآخرين أيضًا، وهي تفتح أيديها وأذرعها للآخرين، لا ترفض أحدًا، تريد أن تتعامل مع الجميع، تقول للأقباط: نحن معكم، أنتم منا، ونحن منكم، لكم ما لنا، وعليكم ما علينا؛ إلَّا ما اقتضاه اختلاف الدين، نحن لا نريد أن نظلمكم ولا أن تظلمونا. لا بدَّ أن تتعايش الأمَّة بعضها مع بعض، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، هذا ما جاء به القرآن.

نحن نُهنِّئ الشعب المصري، نُهنِّئ المصريِّين في كلِّ مكان، ونُهنِّئ العرب في كلِّ مكان، ونهنِّئ المسلمين في كلِّ مكان بنجاح الإسلاميِّين، فنجاح الإسلاميِّين نجاحٌ للحقِّ، نجاحٌ للخير، نجاحٌ للعدل، نجاحٌ لكلِّ ما فيه برٌّ وقِسْط للأمَّة كُلِّها، هذه هي القضيَّة الأولى.

ثورة سوريا:

القضيَّة الثانية الَّتي أريد أن أتحدث عنها هي قضيَّة سوريا، سوريا الَّتي صار لها عشرة أشهر تبذل من نفسها، من أرواحها، من دمائها، من رجالها، من نسائها، من شيوخها، من أطفالها، بذلت أكثر من ستَّة آلاف، ولم يمسك أحد من الثائرين بقنبلة أو بعصًا، أو بحصاة أو بسِكِّين، لم يفعل ذلك أحد من أبناء سوريا.

QaradawiBooks.com

الَّذين قاموا بالمظاهرات في سـوريا هم أهل سـوريا كلِّها؛ إلَّا في بعض البلاد، مثل تُجَّار دمشـق، وتُجَّار حلب لم يخرجوا، ولكن النَّاس في دمشـق في حي المَيْدان، في أرياف دمشـق، في أرياف حلب، طلبة حلب، جامعة حلب، كلُّ هؤلاء خرجوا.

وأنا أدعو الجميـع أن يخرجوا في هذه المظاهـرات الحيَّة المُعبِّرة، الحاكمة المُحكَّمة، الَّتي تُعبِّر عن هذا الشعب، لا تضرب أحدًا، ولا تقتل أحدًا، ولا تعتدي على أحد، هذا ما يقوله الجميع.

اذهبوا إلى هؤلاء في كل مكان في سوريا: في درعا، في إدلب، في حماة، في دمشق، في دير الزور، في القامشلي، في حمص، أدعو الَّذين ذهبوا من الجامعة العربيَّة لسوريا أن يذهبوا ليروا هؤلاء وليس معهم أي سلاح، لا يحملون سلاحًا إلَّا ألسـنتهم، يهتفون بحناجرهم ومن أعماق قلوبهم: نريد إسقاط النظام. من حقِّ كل شعب أن يرفض من لا يريد من حكامه، لا يُفرض على شعب حاكم بعينه.

وما الَّذي يجعل بشَّار الأسد وعائلته يحكمون خمسين سنة، حكم أبوه ما حكم، وحكم هـو ما حكم، يكفي هذا، المفـروض الحاكم يحكم ثماني سنوات أو عشـر وينتهي، فهؤلاء حكموا ما حكموا ولم يعد لهم مكان، الأسر الَّتي تحكم البلاد الجمهوريَّة لا مكان لها، لا بدَّ أن يرحل هؤلاء.

ولذلك نحن علينا أن ننصر هذا الشـعب الَّـذي أصبح يجوع الآن، لا يجـد القوت، لأن لهم عشـرة أشـهر يحتجـون، والموظـف الَّذي لا يتقاضى راتبًا عشرة أشهر ماذا يفعل؟ هؤلاء النَّاس يحتاجون حتَّى إلى المأكل، يحتاجون إلى السـلاح إلى مَنْ يريد السـلاح، هم لا يريدون،

QaradawiBooks.com

ولكن هناك أناس انشــقوا من الجيش، وهذا أمر أنــا أدعو إليه وأؤيده، أنادي كل أفراد الجيش، كل الأحرار، كل المخلصين الأبطال في جيش سوريا، الَّذين ليسوا عبيدًا لأحد، ليسوا عبيدًا لبشَّار الأسد، ليسوا عبيدًا للنظام الحاكم، أدعوهم أن يكونوا شجعانًا وأن يخرجوا من هذا الجيش، حرام عليهــم أن يطلقوا رصاصة واحدة على إخوانهم من أبناء ســوريا، هؤلاء الأبطال المخلصين الَّذين بذلوا أرواحهم، ووضعوا رؤوسهم على أكفِّهم لله يبتغون الشــهادة، لا يريدون شــيئًا إلَّا أن يُحرروا شعوبهم من الطواغيت، من الظلم، أدعو هــؤلاء الأبطال من الضباط وصف الضباط والجنــود: أن يتخلوا عن هذا الجيــش الظالم، حتَّى لا يبــوؤوا بإثمه، لا يجوز لهــم أن يطلقوا رصاصة على إخوانهم من الشــعب أبدًا، حرامٌ عليكم أيُّها الضباط والجنود: أن تطلقوا الرصاص على إخوانكم وآبائكم وأقاربكــم وأهاليكم، حرام عليكم أن يكون هــذا الرصاص في أيديكم ولا تطلقوه على الظالمين، كيــف تطلقونه على النَّاس الطيبين إخوانكم الَّذين لا ذنب لهم ولا سلاح معهم؟

أدعو هؤلاء الضباط والجنود في الجيش وهم كثرة، وهم يستطيعون أن يفعلوا إذا خرجوا بقوة، واتفق بعضهم مع بعض، أدعوهم أن يخرجوا بالآلاف من هذا الجيــش، وأن ينضمُّوا إلى الجيــش الحر، هنالك لن تســتطيع الحكومة الظالمة الجائرة، الَّتي لم يعد للشعب عندها مكان، ولم يعد لها قلب، ولم يعد عندها رحمة ولا حياء، أدعو هؤلاء الضباط والجنــود أن يتركوا جيش النظام وينضموا إلى الجيش الحر، ويســندوا ظهره، ويشــدُّوا أزره، ويقووا عضده، وبذلك تنتصر سوريا إن شاء الله، ستنتصر سوريا بهؤلاء.

QaradawiBooks.com

يا شباب سوريا، يا ضباط الجيش وجنوده، أناديكم من فوق منبري هذا، والله ما أريد إلَّا وجه الله، ما أريد لأحد إلَّا الخير في دنياه وأخراه، من أراد الجنَّة ومن أراد الفـــردوس الأعلى، ومن أراد أن يأجره الله ﷻ، ومن أراد أن يحبه شـــعبه، ومن أراد أن ينتصر قومه، ومن أراد أن تنتصر أمَّته؛ فليذهب إلى الجيش الحر، والله ﷻ ســـيؤيدكم بـــروح من عنده، سيمدكم بمدد من جنده، سيهيئ لكم النصر العزيز والفتح المبين.

هذا ما أســـأل الله تبارك وتعالى أن يُهيئه لســـوريا العزيزة، ســـوريا الحبيبة، ســـوريا الَّتي نالت ما نالت، وأصابها ما أصابها، نســـأل الله أن يجبر كسرها، ويقوي أمرها، ويرفع عنها كل ما نزل بها، اللهمَّ آمين.

اللهم افتح لإخواننا في سوريا وإخواننا في اليمن فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتمَّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهمَّ إنَّا نسألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنـــا ودُنْيَانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ اســـترْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شـــمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا؛ إنَّك على كل شيء قدير، ربنا أتمم لإخواننا في مصر، وإخواننا في تونس، وإخواننا في ليبيا، وإخواننا في اليمن، وإخواننا في سوريا أتمم لهم نورهم، وأمدهم بنعمتك ورحمتك يا أرحمَ الراحمين، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصُرْنا على القوم الكافرين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

QaradawiBooks.com

٥

الإحسان[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحدَّثنا في آخر جمعة خطبنا فيها هنا عن تقوى الله ﷻ، وهي وصيَّة الله تعالى للأوَّلين والآخرين، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]. وهي وصيَّة المؤمنين لأصحابهم، كما قال أحدهم: عليك بآخر آية في سورة النحل، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. أي هم مع الله بالتقوى، ومع النَّاس بالإحسان.

وقد تحدثنا عن تقوى الله، ونتحدث اليوم عن الإحسان بالناس، والإحسان إلى الناس، والإحسان في ذاته، فهذا ممَّا أوصى الله تعالى به كثيرًا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، كل هؤلاء أوصى الله بالإحسان بهم.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٠ فبراير ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما معنى الإحسان؟

الإحســـان هو الإتقان، أن تعطي الشـــيء حقَّه من الحُسن والجمال والإتقان. وللإحسان معنيان: إحســـانٌ بالشيء أو إحسانٌ إليه، كالإحسان إلى الوالديـــن وذي القربى، واليتامى والمســـاكين، والجار ذي القربى، والجار الجُنُب، والصاحب بالجنْب، وابن السبيل، وما ملكت أيْمانكم، آية الحقوق العشرة في سورة النســـاء، كل هؤلاء يجب الإحسان بهم أو الإحسان إليهم.

وهناك إحسان للشيء نفسه، الإحسان في ذاته، الإتقان، إتقان العمل، هذا مطلوب إســـلاميًّا، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**»[(١)]. يُحكِم العمـــل، يجعله منضبطًا تمامًا، لا ينقص أي ناحية من نواحيه، فهذا هو الإحسان.

وهو الَّذي كتبـــه الله على عباده، ما معنى كتبه؟ أي فرضه، إحســـان العمل فريضة، لا تقل فقط: سأتقن الصلاة، وأتقن الصوم، وأتقن الزكاة، وأتقن الحج. لا، ليس هذا فقط، فإتقان كل الأعمال فريضة، سواء كانت الأعمال دينيَّة أم دنيويَّة.

روى مســـلم عن شـــدَّاد بن أوس أنَّ النبي ﷺ قـــال: «**إنَّ الله كتب الإحسانَ على كُلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْحَ**»[(٢)]. كتب الإحسان على كلِّ شـــيء، أي عمل من أعمال الدِّين أو الدُّنْيا، حتَّى أعمالك الدنيويَّة: الزراعة، الصناعة، التجارة، الاحتراف بأيِّ

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٤)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

حرفة، لا بدَّ أن تتقنها، كتب الله عليك إحسانها، أي لا بدَّ أن تصل بها إلى أعلى درجات الإتقان.

أنت بذلك تكون مُقلِّدًا لما يصنع الله ﷻ، لأنَّ الله لا يعمل عملًا إلَّا أحسنه، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، كل شيء خلقه الله أحسنه، ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [التغابن: ٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، كل شيء يخلقه الله يُحسنه، يجعله أحسن ما يكون.

ليس هناك أجمل ولا أحسن ولا أبدع ممَّا خلق الله، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، كلُّ خلق الله حسنٌ جميل، فأنت مطلوب منك أن تجعل أعمالك حسنة، جميلة، متقنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. ليس في عمل الله مستويات: مستويات تافهة، ومستويات ضعيفة، ومستويات جيِّدة، ومستويات جيِّدة جدًّا، لا، وإنَّما كل عمل الله مُتقن.

إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء:

وأنت مطلوبٌ منك أن تتقن كل شيء، عملك الدنيوي عليك أن تتقنه، لماذا نحن متأخرون في صناعاتنا؟ لسنا مثل الأمريكان، ولا الأوروبيِّين، ولا اليابانيِّين، ولا الصينيِّين، لماذا؟ لأنَّنا لا نتقن أعمالنا، أشياء يسيرة في ختام الأعمال نهملها، فيضيع العمل، ويسبقنا غيرنا ويتفوَّق علينا، هذه هي الحياة، الحياة سباق، النَّاس يتسابقون، وكل أحد يقدم خيرًا من الآخر ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، أمَّتنا متخلفة، ولذلك أصبحنا آخر الأمم.

QaradawiBooks.com

وإنَّما نسبق الأمم إذا سبقناها في إتقان أعمالنا، في إحسان أعمالنا، إذا قررنا ما قاله الحديث: «**إنَّ الله كتب الإحسانَ على كلِّ شيء**». كل شيء يجب أن تحسنه، يجب أن تتقنه، يجب أن تجعله في أعلى الدرجات، وفي أفضل المستويات، هذه هي أمَّة الإسلام، أمَّا مواقفنا نحن الآن فلا تبلغ ذلك.

الإحسان مع الحيوان:

المسلم يعمل عمله فيتقنه؛ لأنَّه يرضي به ربه ﷻ، لا يرضي المخلوقين فقط، بل يرضي الخالق، وهو لا يرضى منك إلَّا أحسن الأعمال، «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْح، وليُحِدَّ أحدكم شفرته، وليُرِحْ ذبيحته**»[1]. السكِّين الَّتي تذبح بها الشاة أو البقرة أو الناقة، أو الدجاجة أو البطة؛ هذه السكِّين لا بدَّ أن تكون حادَّة، ولا تحدّها أمام البهيمة؛ لأنك بذلك تقتلها مرتين، لا بدَّ أن تحدَّها بعيدًا عنها، ولا تذبح بهيمة أمام أخرى، أتريد أن تقتلها قتلات؟! رأي سيِّدنا عمر رجلًا يجر شاة من رجلها، فقال له: لا تقتلها مرتين، ويحك قدها إلى الموت قودًا جميلًا[2].

«**وليُحِدَّ أحدكم شفرتَه، وليُرِحْ ذبيحَتَه**»، يجلسها جلسة طيِّبة، فلا تكون البهيمة متألِّمة، لا تفارق الحياة وهي في ألم، اجعل آخر حياتها طيِّبة، حتَّى من يستحقُّ القتل قِصَاصًا، لا بدَّ أن يكون ذلك منه بأفضل وسيلة، لا يُقتل بأيِّ شيء، لا، بل يُقتل بالوسيلة الَّتي تريحه، وهكذا أُمرنا أن نذبح البهيمة بالوسيلة الَّتي تُريحها، لماذا فرض الإسلام أن نذبح من الرقبة؟ لأنَّه أسرع في مفارقة الحياة.

(١) الحديث السابق.

(٢) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٦٠٥)، موقوفا، وهو منقطع. ابن سيرين لم يدرك عمر.

QaradawiBooks.com

«**وليحدَّ أحدكم شفرته، وليُرِحْ ذبيحتَه**»، يريحها بالآلة الحادَّة، والجلسة المريحة، ولا تذبح كل البهائم في مكان واحد فيطلع بعضهم على بعض، لا، هذا حرام، بل يجب أن تُذبح كل واحدة بعيدًا على غير مرأى من الأخرى، فهي تحس بذلك، فلا تقتلها مرات.

هذا من الإحسان الَّذي جاء به النبيُّ ﷺ، وأمر به القرآن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، العدل أن تعطي كل ذي حقٍّ حقَّه، والإحسان أن تعطي الإنسان فوق حقِّه بما يريحه، وما هو مشتاق إليه، وما يحبه، لا تجبره على شيء يكرهه.

إحسان الله إلى عباده:

هذا ما جاء به الإسلام العظيم: الإحسان، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، الله يُحِبُّ من أحسن؛ لأنَّه تعالى مُحسن، صحيح ليس من أسمائه الحُسنى لكنَّه تعالى محسن، ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص: ٧٧]، الله يحسن إلى عباده.

كل هذه النِّعم يُحسن الله بها إلينا، النعم من الأرض، والنعم من السماء، كل هذه من الله ﷻ، ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ [لقمان: ٢٠]، من كل النعم، منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، فاستفد من هذه النعم وسخِّرها في خدمة الخلق وفي طاعة الرحمن ﷻ.

الترقّي في مدارج الحسن والكمال:

ومن الإحسان الَّذي جاء به الإسلام وحثَّ عليه: أن تنقل النَّاس من السيِّئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن، ومن الأحسن إلى ما هو

QaradawiBooks.com

أكثر حسنًا، ترقيهم في مدارج الحسن والكمال؛ لأن الدرجات لا تنتهي، كلما وجدت الإنسان وصل إلى درجة ارفعه إلى درجة أعلى، ما دام هذا في مُكنته، وما دام هذا في مقدوره؛ فلا تؤخره عن هذه الدرجة، ساعده أن يصل إلى أقصى ما يستطيع من الكمال البشري الممكن.

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]. ربنا سبحانه ينزل إلينا أحيانا فرائض ونوافل، الفرائض واجبة علينا، والنوافل محببة إلينا، هو يطلب منا بقدر الإمكان أن ننتقل من الفرض إلى النفل، وأن ننتقل من السيء إلى الحسن، وأن ننتقل من الحسن إلى الأحسن، نبلغ ما استطعنا من درجات الكمال، هذا ما يريده الإسلام.

والله تعالى يقول: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]. إذا كان يريد منك أن تأخذ بحقك فهو يريد منك أن تعفو، حاول أن تصل إلى الأحسن ما استطعت حتَّى تكون من المحسنين.

المحسنون الَّذين يُتقنون الأعمال ويتقرَّبون بها إلى الله أفضل ما تكون هؤلاء يحبهم الله تعالى، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والله معهم، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، والله يبشِّرهم، ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، ولهم عند الله درجات ومنازل عظيمة، ولهذا ينبغي أن نحرص أن نكون من المحسنين.

الذين كانوا مع سيِّدنا يوسف في السجن ويعرضون عليه رؤاهم كانوا يُحِسُّون بأنَّه رجل محسن، يقولون له: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]. وحينما ذهب إليه إخوته قالوا له:

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]. ومعنى أنَّه من المحسنين: أنَّه من النَّاس الَّذين عندهم أخلاق، وعندهم فضائل، ويعاملون النَّاس بالحُسنى، هذه الفضائل والمحاسن تظهر عليه في كل تصرُّفاته، في قوله وفعله وفي سره وجهره.

ولذلك كانت النتيجة أنَّ الله تعالى حفظ يوسف رغم ما أصابه من إخوته قديمًا، وما أصابه من امرأة العزيز، وما ابتلي به من السجن، وما دخل على حياته من آلام وأحزان، رغم هذا كله فإن الله ﷻ عوَّضه ومكَّن له في الأرض، حينما كشف عن نفسه لإخوته قالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]. الله لا يضيع أجر محسن، إن اتقيتَ الله وصبرتَ على البلاء يعوضك الله خيرًا، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

إحسان الأعمال الدينيَّة والدنيويَّة:

لا بدَّ أيُّها الإخوة أن نحسن أعمالنا الدينيَّة والدنيويَّة، أعمالنا الدينيَّة نحسنها حتَّى يتقبلها الله منا، لا تؤدِّ الصَّلاة أي أداء، تنقرها كما ينقر الديكُ الحَبَّ، لا ليست هذه هي الصلاة، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

أدِّ الصلاة كما ينبغي، والزكاة أدِّها كما ينبغي خالصة لله ﷻ متقنة أحسن ما تكون، والصيام أدِّه مستوفيًا، وهكذا تؤدِّي الحجَّ والعمرة، وذكر الله، وقراءة القرآن، وفعل الخيرات، أدِّ العمل طيبًا.

هذا ما يريده الإسلام منك أن تؤدِّي العمل كما يحبُّه الله منك، وكما

QaradawiBooks.com

يتقبلــه الله ﷻ، الله ﷻ يتقبَّل العمــل إذا أداه صاحبه ويربيــه له، يتقبل اللقمة الَّتي تؤدِّيها إلى فقير حتَّى تصبح كالجمل عند الله تبارك وتعالى، وهو لا يتقبلها إلَّا بيمينه، ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤]، هو يأخذها بيده بنفسه.

أتقن عملك، أدِّه كما يحب الله في غاية الإتقان، في نهاية الإحسان، في تمام الدرجات، لا تبخل على الله بشــيء، هذا ما يُطلب من المســلم في أعماله الدينيَّة وفي أعماله الدنيويَّة، أعماله المعيشيَّة، أعمال الدُّنْيا لا بدَّ أن تتقنها كما تتقن العمل الديني تمامًا، القرآن يسمِّيه الصالحات، كيف يكون صالحًا؟ إذا كان متقنًا، أدَّيته بإتقان وإحسان، بذلت فيه جهدك، بلغت فيه مرتبتك، كل إنســان تظهر مرتبته في عمله، هل يتقنه أم يهمله؟ هل يوفيه حقَّه أم لا يوفيه الحقَّ المطلوب؟ فالله ﷻ يطلب منا الإحسان في أعمالنا.

علو الهمَّة وطلب المعالي:

والنبيُّ ﷺ يقول: «**إذا ســألتم اللهَ الجنَّة، فاسألوه الفردوسَ فهو أعلى الجنان، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنَّة**»[1]. لا تقل: يا ربِّ أدخلني الجنَّة ولو في آخر دفعة أو آخر فوج. لا، بل اطلُبْ من الله أحسن شــيء، فأنت تطلب من أغنى الأغنياء وأكــرم الأكرمين، فاطلب أفضل شــيء، وحاول مع هذا بجهــدك، بعزيمتــك، بقوتــك: أن تكون من المفلحين وأن تكون من المحسنين.

هكذا يُعلِّم الإسلام المسلم أن يطلب المعالي دائمًا، لا يطلب الأشياء البسيطة والرخيصة، لا يريد منك أن تكون ضعيف الهمَّة، قاصر العزيمة، يريد أن تكون إنسانًا ذا شأوٍ، فابلغ في درجات الخير ما استطعت.

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هكذا ينبغي أن يكون الإنسان المسلم، يحسن عمله، يحسن إلى الناس، يحسن إلى كلِّ من يُحسن إليه، يحسن إلى الوالدين، إلى الأقربين، إلى اليتامى، إلى المساكين، إلى الجار ذي القربى، الجار الجُنُب، الصاحب بالجَنْب، ابن السبيل، ما ملكت أيمانكم، الخدم الَّذين عندك، كل هؤلاء أحسن إليهم.

حتى إلى الحيوان، إلى الطير، إلى البهيمة الَّتي لا تعقل ولا تنطق؛ ولكنَّها تتوجع ولا تكاد تُبين، ارحم هذه الحيوانات ليرحمك الله، «**الراحمون يرحمُهم الرحمنُ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء**»(١).

الإحسان بين المشاهدة والمراقبة:

هذا هو الَّذي جاء به الإسلام، جاء بالإحسان؛ حتَّى يكون المؤمنون والمسلمون محسنين، في حديث جبريل سأل النبيَّ ﷺ عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، الإسلام ما يتعلق بالأعمال الظاهرة، «**أن تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلًا**»، هذا هو الإسلام، والإيمان ما يتعلَّق بالعقائد في القلب، «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه**»، وسأله عن الإحسان، فقال: «**أن تعبد اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكُنْ تراه فإنَّه يراك**»(٢).

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفق عليه رواه البخاري (٥٠)، مسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إحسـان العمل أن تعبد الله كأنه أمامك وأنت رائيه، وأنت تعلم كل ما يجب له من صفات الكمال: العلم والقدرة والإرادة، والرحمة والخير، فإذا لم تكن تراه، إذا لم تبلغ درجة أن ترى الله أمامك؛ فتعبد للهِ تَعَبُد من يعلم أنَّه يراك ويرقبـك، ويلحظك في كل صغيرة وكبيـرة، بهذا تكون محسنًا، والله يحب المحسنين.

مقابلة الإساءة بالإحسان:

كن مُحسنًا في عملك، أحسن كما أحسن الله إليك، أحسن إلى النَّاس كل الناس، حتَّى من يكرهك أحسـن إليه، لا تقابل إساءته بإساءة، قابل إساءته بإحسان، هكذا يتعلم المؤمنون الأتقياء الأنقياء، الَّذين يحبون أن يكونوا عند الله بمكان عظيم، أحسـن إلى النَّاس كل الناس؛ حتَّى أعداء المسـلمين أحسـن إليهم، حتَّى وأنت تحاربهم، أنـت تحاربهم ولكن تعاملهم بالرفق، هكذا علمنا الإسلام أن نكون رفقاء مع من يكرهنا، أن نكـون أطباء لمن يريـد أن يقتلنا، نحن لا نقتـل إلَّا مضطرين، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، نحـن إذا قاتلنا نقاتل مكرهين للدفاع عن أنفسـنا وإلا ما قاتلنا، نحن نحبُّ السلام، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقـرة: ٢٠٨]، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

أسـأل الله ﷻ أن ينصر أمَّتنا على أعدائها، وأن ينصر شـعوبنا على خصومهم، وأن يجعل يوم أمَّتنا خيرًا من أمسها، ويجعل غدها خيرًا من يومها، إنَّه سميع قريب، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ثورة سوريا:

هذه الجمعة جمعة سوريا، جمعة الشعب السوري الحبيب، الشعب المظلوم، المفترى عليه، المجني عليه، الشعب الَّذي يصبر ويصابر، ويرابط ويجاهد، ويتقي الله منذ أحد عشر شهرًا.

هذه جمعة إخواننا السوريين، من حقِّهم علينا في قطر، ومن حقِّهم علينا في بلاد الخليج، ومن حقهم علينا في بلاد العرب، ومن حقِّهم علينا في بلاد المسلمين، ومن حقِّهم علينا في بلاد الله الَّتي فيها أحرار شرفاء: يقولون الحق، ويقاومون الباطل، ويدعمون المظلومين، ويقاومون الظالمين، من حقِّ إخوتنا في سوريا أن نكون معهم في هذه الجمعة، بل في كل جمعة؛ لأن نصرة الحق، ومقاومة الباطل، وإقامة العدل، ومطاردة الظلم: هذه الأمور لا تتقيَّد بجمعة من الجمع، ولا بزمان من الأزمنة، ولا بمكان من الأمكنة.

واجب المؤمن أن يكون مع الحق ضد الباطل، أن يكون مع العدل ضد الظلم، أن يكون مع النور ضد الظلام، أن يكون مع أهل الخير ضدَّ أهل الشر، أن يكون مع أهل الصلاح ضد أهل الفساد، هذا شأن المؤمن دائمًا.

ولذلك نحن منذ بدأت حركة الإخوة الأحبة في سوريا ونحن معهم، من أوَّل يوم نحن معهم، وإلى آخر يوم سنظل معهم، لن نخذلهم أبدًا، سنظل نقف معهم، ونشد أزرهم، ونقوي ظهرهم، وندفعهم إلى الأمام

QaradawiBooks.com

دائمًا، هكذا ينبغي أن يتواصل أهل الحق، أهل الإيمان، أهل الإسلام، أهل الخير، أهل العدل، يجب أن يكونوا جميعًا يدًا واحدة، لا يجوز لأهل العدل أن يتفرق بعضهم عن بعض، أن يخذل بعضهم بعضًا، وأن يقول كل إنسان: نفسي نفسي. لا، نفسك هي نفس أخيك، إذا لم تحمِ أخاك وقت الشدَّة من يحميك وقت الشدَّة؟ الَّذي يحميك وقت الشدَّة هو أخوك، «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**»[١]، «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعَى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر**»[٢].

رفض الشعب السوري لظلم الطغاة:

الشعب السوري قام على بَكْرة أبيه؛ إلَّا من كانت له ظروف دنيويَّة أو نحو ذلك، ونسي ما عليه، أو كان ضعيفًا لا يستطيع، قام الشعب السوري على بَكْرة أبيه، رأيناه في الإنترنت، في القنوات التليفزيونيَّة، وخصوصًا قناة الجزيرة، الَّتي يحاربها المحاربون، ويقف ضدها المعارضون لكلِّ حق وكل خير.

رفض الشعب السوري هذا العهد أو تلك العهود، الَّتي كان فيها أناس يفرضون أنفسهم على الشعوب، يعتقدون أنَّهم آلهة في هذه الأرض، لا يُحاسبون على ما يقولون، ولا يُسألون عما يفعلون، يَذبحون الناس، يقطعون الرقاب والأيدي والأرجل، ويهشِّمون الرؤوس، ويسيلون الدماء

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

في الأرض، يفعلون الأفاعيل، هؤلاء الحكام الظَّلمة المُظْلِمون، الفسدة المُفْسدون، البَّطَلة المُبطلون، هؤلاء فعلوا بشعوبهم ما فعلوا.

نقول لهؤلاء: لقد انتهت هذه العهود، وبدأ الربيع العربيُّ كما يسميه النَّاس وتسمُّونه أنتم، وكما نسمِّيه جميعًا، بدأت الشعوب تظهر في الربيع العربي وهي تمسك بالحقائق، ضد الأباطيل الَّتي يمسك بها هؤلاء الحكام الطغاة البغاة، الَّذين يفعلون بشعوبهم ما يفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، لن يتركهم الله، لن يتخلى عن الشعوب أبدًا.

أقبل الربيع العربي:

جاء الربيع العربي وقامت أوَّل ثورة في بلدنا العربي المسلم الحبيب تونس، وسقط الظلمة، وسقط زين العابدين بن علي، وفرَّ بما معه من مليارات، وبما سرق، فرَّ خارج البلاد، قامت ثورة تونس، والفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، فنشكر لإخوتنا في تونس.

ثم جاءت ثورة مصر، وكانت ثورة معلِّمة قامت في ميدان التحرير، علَّمت النَّاس كيف تكون الثورات، ثمانية عشر يومًا كانت كلها دروسًا في البذل والتضحية، والإخاء والفداء، رأينا كيف يتحمَّل الأخ عن أخيه كل ما يمكن دفعه عنه، يجوع ليطعم أخوه، ويسهر لينام أخوه، يتعرض للرصاص ليفتدي أخاه، رأينا ذلك حتَّى بين المسلمين والمَسيحيِّين، لم يكن هناك فرق بين مسلم ومسيحي، بين ليبرالي وإسلامي، بين غني وفقير، بين طالب وعامل، كلهم يطالبون بحقوقهم، في الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية، سُرقت من مصر مليارات وتريليونات، وذهبت إلى الخارج، والنَّاس يجوعون، لا يجدون ما يأكلون، وانتصرت ثورة مصر بعد ثمانية عشر يومًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة حاسوبية
QaradawiBooks.com

ثم انتصرت بعد ذلك ثورة ليبيا، ذاق أهل ليبيا على يد القذافي ما ذاقوا، وجاء بأناس من الخارج جعلهم جيشه، كتائب القذافي من خارج ليبيا، يعطيهم الملايين والملايير، وأهل ليبيا لا يجدون شيئًا يجعلهم من بلاد البترول الحقيقيَّة، وانتهى القذافي، وذهب إلى غير رجعة.

انتهى عصر الأسر الجمهورية:

وبقيت ثورتان في بلدين لا بدَّ أن ينتصرا: ثورة سوريا، وثورة اليمن، كلاهما يقوم بما يجب عليه، ظل إخوتنا في اليمن نحو سنة كاملة يعيشون على الأرض يتحمَّلون ما يتحمَّلون: رجالًا ونساءً، وشبابًا وشيوخًا ومن كل الطبقات، صبروا على ما صبروا عليه، ولا بدَّ للصابرين أن ينالوا حقَّهم، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، لا بدَّ أن ينال الصابرون حظَّهم من الحياة الطيبة، من النصر العزيز، من الفتح المبين، وهم نائلون إن شاء الله.

وإخوتنا في سوريا الَّذين قاموا ضد هذا النظام الظالم المظلم، الفاسد المفسد، الَّذي أراد أن يحكم النَّاس باسم أسرة واحدة، انتهى هذا العهد، عهد الأسر في النظام الجمهوري الَّتي تحكم الناس، أسرة الأسد، وأسرة علي صالح، وأسرة القذافي، وأسرة مبارك، وأسرة ابن علي، هذه الأسر انتهت، لم يعد لها وجود، هؤلاء يريدون أن يعيشوا عصرًا غير عصرهم، في مكان غير مكانهم، انتهى عصركم، أيتها الأسر الَّتي تريد أن تحكم النَّاس والعباد، انتهى عهدكم، لم يعد لكم مكان!

يا بشَّار الأسد، ويا من مع بشَّار الأسد، حتَّى من يظنون أنفسهم أنَّهم علماء وهم ليسوا بعلماء، ليس بعالم من يقف مساندًا للظالم مؤيدًا له، ويقول له: أنت البطل، وأنت المنقذ، وأنت وأنت. ليس هؤلاء بعلماء، أنا

QaradawiBooks.com

أقول هذا بحق: العالم هو من يقف مع الشـــعب، من يؤيِّد حقَّ الشعب، من حقِّ الشعب أن يحكم نفسه بنفســـه، كيف لأسرة أن تحكم الشعب، أسرة الأســـد، أقاربها، وأصهارها، وأتباعها، وليسوا كلهم علويين، هناك علويون لا يكادون يجدون ما يقتاتون به، هؤلاء ليس لهم مكان بينهم، وإنَّما الأمر للعلويين المحسوبين على النظام، الَّذين يؤيِّدون هذا الباطل، وهذا الظالم، وهذا الطاغية.

يجب أن يعود هؤلاء الطغاة إلى مكانهم، والشعب السوري قد أصر على ذلك، مـــن أوَّل يوم يلقى ما يلقـــى، رأينا ذلك بأعيننا، وســـمعناه بآذاننا، ونكاد نلمســـه بأيدينا، ووقفنا ضده من أوَّل يوم إلى هذا اليوم، وإلى كل يوم. لا بدَّ أن ينتصر الشعب الســـوري، الشعب الَّذي قدَّم من دمائه، ومن أرواحه، ومن أرواح أبنائه وبناته، وشيوخه وشبابه وأطفاله، حتَّى الأطفال لقي منهم مئات المـــوت على يد هؤلاء، وكم موت يُصبر عليه، وكم موت رأيناه على أيدي هؤلاء، يقتلون النَّاس بالطرق البشعة، بالتمثيل بالجثث، بتعذيب النَّاس قبـــل مماتهم، بصب أدوات الإحراق عليهم، بتمزيق أجســـادهم قطعة قطعة، رأينا هذا ممَّا نفتح أعيننا عليه؛ فلا نكاد نصبر على ما نراه منه، وبعضه لا يستطيع إخواننا أن يُروه إيانا من شدته وقسوته وهول مطلعه.

الشعب السوري أدَّى ما عليه:

هذا الشعب الســـوري أدَّى ما عليه، في كل يوم يُقَدِّم الشهداء، يوم السبت الماضي ثلاثمائة وخمسون قتيلًا في حِمْصَ في يوم واحد، وفي كل يوم يقتل هؤلاء ما يقتلون، مائة، مائة وخمســـون، تســـعون، خمسة وتســـعون، يقتلونهم بالدبابات، براجمات الصواريخ، بالمدافع الثقيلة،

QaradawiBooks.com

بكل ما عندهم من قـوَّة، وبالشـبِّيحة المجرمين.. يقتلـون ويدمِّرون، ويهلكون الحرث والنَّسل.

هؤلاء لن يتركهم الله أبدًا، سيأخذهم الله أخذًا أليمًا شديدًا، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليُمْلِي للظالم؛ حتَّى إذا أخذه لم يُفْلِتْه**». ثمَّ تلا قول الله تعالـى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][1]. سـيأخذهم من حيث يشـعرون أو لا يشعرون، أو لا يحتسبون، سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، سيأخذهم ولن يدعهم أبدًا، وسنشـهد قدرة الله فيهم، سـنرى هؤلاء الظالمين وقد أذلَّهم الله ﷻ، وفضحهم وعرَّاهـم أمام الناس، نحـن نرى هؤلاء السـارقين، الَّذين يسرقون بالمليارات والتريليونات، ولكن سيفضحهم الله ﷻ، ويتركهم مكشوفين عراة أمام خلق الله، وستنتصر سوريا العزيزة، سوريا الحبيبة، سـوريا المؤمنة، سـوريا المتضامَّة؛ بمسـلميها ومسـيحييها، وعربها وأكرادها، وإسـلامييها وليبراليييها، وبكل طوائفها، كل هؤلاء سيقفون وقفة واحـدة أمام الظلـم والظالميـن، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبـة: ٣٢]، سـيأخذ الله الظالميـن بمـا ظلموا، وسينزل على هؤلاء الطغاة ما يُنزل من عقوبات، يردع الله بها الظالمين والطغاة ويأخذهم بها.

أسـال الله ﷻ أن ينصر إخواننا في سوريا، وأن يُهيِّئ لهم من أمرهم رشدًا، ولا يكلهم إلى أنفسـهم طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مسـتقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتـك، وأنزل فـي قلوبهم سـكينتك، وانشـر عليهم فضلك

(١) سبق تخريجه صـ ٦٣.

QaradawiBooks.com

ورحمتك، اللهمَّ إنَّا نسـألك العفوَ والعافيةَ فـي الدين والدنيا والآخرة، اللهمَّ إنَّا نسـألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانا وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهمَّ خُذ هؤلاء الظالمين الغاصبين أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ يا منزل الكتاب، ويا مُجري السحاب، ويا سريعَ الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصُرْنا عليهم، اللهمَّ لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦

الإيمان في القرآن الكريم (١)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في المعاني والموضوعات الَّتي يشتمل عليها القرآن الكريم، والقرآن الكريم كتاب جامع، فيه آلاف المعاني والقيم والتشريعات والموضوعات الَّتي جاء بها هذا القرآن العظيم.

تحدثنا عن أسماء الله الحسنى الَّتي أمرنا الله أن ندعوه بها، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ونتحدث من اليوم عن بعض المعاني والموضوعات الكبيرة الَّتي اشتمل عليها هذا القرآن العظيم، وكل أمر يشتمل عليه القرآن، ويحث عليه، ويدعونا إليه لا بد أن له أثرًا كبيرًا في حياتنا، وأنَّ النَّاس محتاجون إلى أن يتعرَّفوا عليه، وأن يستمسكوا بعراه، وأن يهتدوا بسناه، وأن يعُرضوا عن ضده، من ذلك ما جاء به القرآن العظيم عن (الإيمان والمؤمنين).

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢ مارس ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

الإيمان بالله الخالق:

اشتمل القرآن العظيم عن معاني الإيمان، فما معنى الإيمان؟ الإيمان هو التصديق بأنَّ لهذا الكون الواسع بأرضه وسماواته وأفلاكه وبنباتاته وجماداته وحيوانه وإنسانه وملائكته، وبكل ما نبصر وما لا نبصر، كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]؛ أنَّ لهذا الكون ربًّا خالقًا.

لم يأتِ هذا الكون من تلقاء نفسه، ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، مستحيلٌ أن يُخلق شيء من غير خالق، كما لم يدَّعِ أحد أنَّه خالق هذا الكون، ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الطور: ٣٦]، لم يقل أحد: إنَّه خلق السماوات والأرض. حتَّى فرعون والنمرود، وهؤلاء الَّذين دعوا النَّاس إلى أن يؤلِّهوهم، وأن يتخذوهم أربابًا، لم يدَّعوا أنَّهم خلقوا السماوات والأرض.

الله وحده هو الَّذي خلق السماوات والأرض، حتَّى العرب المشركون حينما بُعث الرسول ﷺ إليهم كانوا يؤمنون أنَّ الله هو الَّذي خلق السماوات والأرض، حينما يُسألون: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]. خلقهنَّ الله الَّذي خلق الشمسَ والقمرَ والنجوم، وخلق هذه السماوات العالية، وخلق هذه الأرض المبسوطة، وأنبت النبات، وشجَّر الشجر، وأزهر الزهور، كل ما في هذا الكون اللهُ خالقُه.

أمَّا هذه الأصنام الَّتي كانوا يعبدونها فقالوا عنها: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. لم يخلقوا شيئًا،

QaradawiBooks.com

فلا بد من الإيمان بهذا الخالق الأعظم الَّـذي خلقنا، وخلق كل ما حولنا، ما عن يميننا وعن شمائلنا، وما فوقنا وما تحتنا، ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ٤، ٥]، هذا الرحمن الخالق العظيم لا بدَّ أن نؤمن به.

الإيمان بالعقل والقلب:

وعليك أن تؤمن بعقلك، وتؤمن بقلبك، فما جاء به الإسـلام ليس خارجًا عن العقل، لا يأتي إلَّا بما يقر به العقل، ليس في إيمان المسلمين شيء ينكره العقل ويقول عنه: مستحيل. فالمستحيل لا يجوز الإيمان به، لكن يجوز الإيمان بما هـو ممكن عقلًا، ثمَّ يأتـي الوحي فتصدق بما انتهى إليه عقلك إجمالًا، فالعقلُ يؤمن بالله إجمالًا، ولكن الوحي يأتي بالتفصيل، يأتي بأسـماء الله تعالى الحُسـنى، وبصفاتـه العُليا، بإرادته وقدرته، وعلمه وسمعه، وبصره وحياته، وبكل ما جاء به القرآن والسنَّة عن كمالات الله العظمى، فلا بد من الإيمان بالله.

والإيمان ضرورة عقليَّة، لا يمكن أن يكون هناك عاقل ولا يؤمن بأنَّ لهذا الكون ربًّا، ومن أين جاء الكـون إذن؟ لا يمكن أن يأتي بالصدفة! دعك من السـماوات، وانظر إلى الأرض، فالأرض بالنسـبة للسماوات شـيء صغير جدًّا، هذه الأرض إنَّمـا خلقها الله ﷻ علـى هيئتها لتثمر حياة.. ليصلح أن تقوم عليها حياة إنسانية وحيوانية ونباتية، واستلزم هذا آلاف الأشياء لتقوم هذه الحياة.

تبارك الله أحسن الخالقين:

فلو ابتعدت الأرض عن الشـمس أكثر من ذلك لتجمدت الحياة على الأرض، ولو اقتربت الأرض من الشـمس أكثر ممَّا هـي عليه لاحترقت،

QaradawiBooks.com

لا بد من هـذا البعد الَّذي قدَّره الله ﷻ، وكذلك بالنسـبة لسـرعة دوران الأرض، لو دارت بسرعة أبطأ لاحترقت، ولو دارت بسرعة أقوى لم توجد الحرارة اللازمة للحياة! رتَّب الله كل شيء ونظَّمه بإحكام لتوجد هذه الحياة على الأرض، الله هو الَّذي خلق هذا الكون ودبَّره تدبيرًا عظيمًا، لا يملك أحد أن يفعل ذلك إلَّا خالق أتقن في كونه كل شيء، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السـجدة: ٧]، لا بد أن نؤمن بهذا كله، أنَّ الله خلق هذا الكون، وأتقنه إتقانًا، وأحسنه إحسانًا، كل ما فيه مخلوق بإحسان بإتقان، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

لا بد أن نؤمن بالله، ولا بـد أن نؤمن بأنَّ هذا الإيمـان ممكن لنا، ولذلك يقول القرآن: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشـقاق: ٢٠]، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائـدة: ٨٤]. فبإمكان الإنسـان أن يؤمن، ولكن هناك أناس أغلقوا على عقولهم، وعلى أنفسـهم، وحالـوا بينهم وبين الإيمان، هم الَّذين حرموا أنفسهم من الإيمان، مع أن باب الإيمان مفتوح للجميع، هذا هو الإيمان الَّذي جاء به القرآن.

أمَّا الإيمان في المسـيحيَّة فليس من عمل العقل، ليس للعقل شأن بالإيمان، يقولون: آمن ثمَّ اعلم، اعتقد وأنت أعمى. لا تفكر في العقائد فليس لها علاقة بالعقل، لكن القـرآن يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقـرة: ١١١]. هـاتِ الدليل، فلا ينفـع إيمان بغير دليل، بغير أن تعمل عقلك!

وإذا كان القسيس يقول لأتباعه: أغلق عينيك ثمَّ اتبعني. فنحن نقول: افتح عينيك، وافتح عقلك، وانصب البرهان، فلا يقبل شيء إلَّا ببرهان، إن كان أمرًا حسيًّا فلا بد أن يكون البرهان المطلوب حسيًّا، ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]،

QaradawiBooks.com

وإن كان أمرًا تاريخيًّا فلا بد أن يكون البرهان تاريخيًّا، ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، وإن كان أمرًا عقليًّا فلا بد أن يكون البرهان عقليًّا، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، كل أمر لا بدَّ له من برهان من جنسه، يفضي إلى حتميَّة تصديقه عندما تكتمل أركانه ومقدماته.

وحينما يدخل هذا الإيمان القلب تخالطه بشاشة، ينشرح به الصدر، يطمئن به القلب، لأنَّه ليس شيئًا مناقضًا لأيِّ حقيقة عقلية، بالعكس بل هو ملائم للفطرة، موافق لبديهيات العقل، موافق لحقائق الكون، فهذا هو الإيمان الَّذي جاءنا به القرآن، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤]. فلا بد من الإيمان بالله تعالى.

الإيمان بالرسل والكتب:

ولا بد أن نؤمن بكل ما يتعلق به، نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه في اليوم الآخر، هذه خمسة أصول جاء بها القرآن الكريم، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

والسُّنَّة جعلتها ستَّة، أضافت الإيمان بالقدر، ولكن الإيمان بالقدر ضمن الإيمان بالله، أن تؤمن بأنَّ الله قدَّر المقادير خيرَها وشرَّها وحلوها ومُرَّها قبل أن تقع، وسجَّلها عنده، فهذا كله من الإيمان.

ومن هنا طُلِب منا أن نؤمن بكل ما جاء به القرآن، والقرآن جاء بوجوب الإيمان بكل الأديان السماويَّة السابقة، بأنَّ الله أنزل كتبًا على الأنبياء، وأرسل رسلًا وبعثهم مُبشِّرين ومنذرين بالهدى وبالحق، هكذا لم يرسل الله

QaradawiBooks.com

رسولًا بباطل أبدًا، لا بد أن تؤمن برسل الله جميعًا، خصوصًا الخمسة أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم، ومحمد: عليهم الصلاة والسلام، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أصحاب العزائم القويَّة، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فلا بدَّ أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل جميعًا.

والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ [غافر: ٧٨]. لم يقصص علينا قصص كل الأنبياء، قصَّ علينا قصص بعضهم، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤]. كل أمَّة لا بد أن يأتي إليها نذير من قِبَل الله يُعرِّفها بما يريده الله منها، كل الأمم جاءها رسول من عند الله، بعضهم عرفناه، وبعضهم لم نعرفه، لأن الله لم يطلعنا على كل شيء، مستحيل أن نعرف كل ما في الوجود، وكل ما في الحياة، وإنَّما عرفنا الله ما لا بد لنا منه.. ما نحتاج إليه، وما ننتفع به.

أرسل الله هؤلاء الرسل، ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥]، فلا بد أن نؤمن بهؤلاء، صحيح أنَّ رسالاتهم أصابها من التحريف والتبديل، ودخل عليها ما شوَّه التنزيه فأصبح في عداد التشبيه، وما شوَّه التوحيد فأصبح في عداد التثليث.. تشوَّهت عقائد الأنبياء من بعدهم، ولذلك جاء الإسلام يصحِّح عقائد الأنبياء الَّتي حُرِّفت، جاء هذا الدين مُهيمنًا كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

QaradawiBooks.com

جاء مهيمنًا على كل الكتب، يتحفَّظ عليها، يصحح منها ما لحقه الخطأ، ويصدق منها ما بقي سليمًا لا غبار عليه، فهذا هو موقف الإسلام من الأديان، ليس مُكذِّبًا لها، بل مُصدِّق لأصولها، ومؤكد على ما صح منها، ومنبه على ما أخطأ منها، هذه هي رسالة مُحَمَّد ﷺ، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، هكذا كان مُحَمَّد ﷺ حاكمًا بين الأنبياء، وبين الديانات، وبين الرسالات.

كمال الإسلام وصفائه:

جاء الإسلام دينًا نقيًّا صافيًا كاملًا، ليس فيه زيادة، وليس فيه نقصان، لأنَّ الرسول الَّذي جاء به أخذه عن الله مباشرة، فلا يمكن أن يُزاد فيه ولا أن يُنقَص منه، هكذا بعث الله محمَّدًا ﷺ بالكتاب الحق، بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم عصمه الله من كل تحريف لفظي أو معنوي، لا يمكن أن يزيد فيه أحد سطرًا، أو كلمة، أو حرفًا، فقد حفظناه كما جاء به مُحَمَّد ﷺ حتَّى حفظه مئات الألوف؛ بل حفظه الملايين.

قالوا لي في ليبيا: عندنا مليون من حفظة القرآن الكريم، ونحن الآن نسجل المليون الثاني. قلت لهم: أهذا معقول؟ قالوا: نعم هذا ثابت، لكل حافظ سجل فيه اسمه، وعمره، ووظيفته، وعنوانه. فالمليون الثاني من الحفاظ بدأ في ليبيا، مع قلة عدد سكانها، فانظر كم يكون عدد الحفاظ في مصر، وفي باكستان، وفي غيرهما من البلاد الكبرى؟ هناك ملايين يحفظون هذا القرآن.

ولذلك نحن المؤمنين بالإسلام لا يُخشى علينا أن نؤمن بدين مُحرَّف، مستحيل أن نؤمن بدين غير الدين الَّذي بعث الله به رسولَه، يمكن لبعض النَّاس أن يدخلوا بعض الأباطيل أو الأقوال غير الصحيحة

QaradawiBooks.com

أو بعض المبتدعات، ولكن الأمَّة كلها لا يمكن أن تجتمع على ضلالة، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

مثل هذا يُكشف ويُعرف، لأن سبيل المؤمنين معروف، وسبيل المجرمين معروف، والقرآن يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. فهناك سبيل المؤمنين، وهناك سبيل المجرمين، لا بدَّ أن يتَّضح السبيلان، وكل أحد يعرف طريقه منهما.

بيان النبي لكثير من التشريعات:

وقد جاء النبي ﷺ يوضِّح سبيل المؤمنين ويرسمها: عقائد، وعبادات، وفضائل أخلاقيَّة، وتشريعات تبيِّن لنا الحلال والحرام، فبيَّن لنا الإسلام كله، فبهذا عرفنا ديننا، عرفناه من نبيِّنا، ومن صحابة نبيِّنا، يأتي القرآن به أوَّلًا مجملًا، ثمَّ يبيِّنه الرسول ﷺ، يُخَصِّص العامَّ، ويُقَيِّد المُطْلَق، ويبيِّن المُبْهَم، ويُفَصِّل الأشياء ويُوَضِّحها، هكذا كان عمل النبيِّ ﷺ.

حينما يقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]. يقول النبي ﷺ: «**أُحِلَّت لنا ميتتان ودمان، أمَّا الميتتان فالسمكُ والجراد، والدمان الكبدُ والطِّحَال**»[1]. يجوز لك أن تأكل السمك بعد أن يموت ما دام طريًّا لم ينتن ويتغير، وكذلك الجراد، ويجوز أيضًا أكل الكبد والطحال، وهما دم مُتَجَمِّد، فهذا من بيان النبي ﷺ للقرآن، فأنت تأخذ القرآن مُبيَّنًا من رسول الله ﷺ.

(١) رواه أحمد (٥٧٢٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣١٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢١٠)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

والرسولُ ﷺ بيَّن هذا كلَّه لأصحابه، ولم يكن أصحابه قليلين، كانوا في حجَّة الوداع عشرات الآلاف، سمعوا النبيَّ ﷺ وهو يقول: «**أيُّها النَّاسُ، لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض، إنَّ دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرامٌ عليكم، كحرمةِ يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[1]. وكان من الصحابة العلماء والفقهاء والمفسِّرون والشُّرَّاح، ولذلك لا يوجد دين كالإسلام في وضوحه وفي بيانه: بيان أصوله، وبيان فروعه، وبيان حقائقه، فهو دين مشروح مُوضَّح مُبيَّن، بجملته وتفاصيله والحمد لله.

فليس في الإسلام شيء يخفى على كل الناس.. يمكن أن يخفى على بعض الناس، ولكن هيَّأ الله ناسًا يعلمون ما يخفى على غيرهم، فارجع إليهم واسألهم، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، ﴿فَسْـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٤]، لا تسأل جاهلًا، اسأل عالمًا، لكل أمر علماؤه وخبراؤه؛ فارجع إليهم لتتعلَّم دينَكَ أو دُنْيَاك.

الإيمان بالملائكة:

هذا هو الإيمان الَّذي جاء به مُحَمَّد ﷺ، إيمان بالله ﷻ، إيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، إيمان بما أرسل الله تعالى من رسل، وما أنزل عليهم من كتب، إيمان بالملائكة جنود الله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، يجنِّدهم الله فيما يشاء، وهي مخلوقات من نور، لا تستطيع بحكم كينونتك الإنسانيَّة أن تراها، إلَّا إذا أظهرها الله لك، فهي تتشكَّل كما ظهر جبريل عليه السلام ورآه الصحابة في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القَسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

أحد منهم، وسأل النبي ﷺ: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ ما أشراط الساعة؟ وأجابه النبيُّ ﷺ، وهو يقول له: صدقت. ممَّا أثار عجب الصحابة، حتَّى بيَّن لهم النبيُّ ﷺ أنَّه جبريل جاء يعلمهم أمور دِينِهم[1]!

فنحن نؤمن بملائكة الله ﷻ، وهم لأمره مطيعون، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨].

جعل الله من هؤلاء الملائكة من يقعد عن يمين الإنسان وعن يساره يحصون عليه أعماله، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

فهناك ملائكة تكتب ما يفعله الإنسان، وملائكة تحفظ الإنسان: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وهناك ملائكة تتعاقب على الإنسان في الصباح، وعند العصر، وهناك الملائكة الَّتي تؤيِّد المجاهدين في سبيله وتثبتهم، ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، وهكذا.

الإيمان باليوم الآخر:

علمنا الله تعالى حقائق الإيمان، أن نؤمن بالله، وبملائكته، وبكتبه، وبرسله، وأن نؤمن باليوم الآخر، أن وراء هذه الحياة حياة أخرى، فليست

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩٠)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الدُّنْيا نهاية المطاف، مَنْ ظَلم فيها ظَلم، ومن ظُلم فيها ظُلم، ولم تعد هناك قدرة على أن يأخذ المظلوم حقه، وأن يأخذ الظالم جزاءه، انفضَّ السوق وانتهت الحياة، لا، هيهات هيهات: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١، ٢٢]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]، يستحيل أن يكون المُتَّقون كالفُجَّار، والمؤمنون كالكُفَّار، هذا يتنافى مع حكمة الله تعالى وعدله.

آثار الإيمان:

هذا ما جاء به مُحَمَّد ﷺ في القرآن الكريم؛ ليُعَلِّمنا العقائد، فماذا وراء ذلك؟ إذا تعلَّمنا العقائد ماذا يحدث لنا؟ إذا آمنا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر كما جاء بها القرآن العظيم فما هي آثار ذلك؟

هناك آثار عظيمة للإيمان في حياتنا الدُّنْيا وفي الآخرة، وهذا ما سنتحدث عنه ـ إن شاء الله ـ في الجمعة التالية، نسأل الله تعالى أن يُهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يلقي السكينة في قلوبنا، وأن يرزقنا الطمأنينة في أنفسنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

احتفال بزواج الأسرى المحررين:

بالأمس حضرنا حفلًا لإخوتنا الأسرى الفلسطينيِّين في دار المناسبات القطرية، كانوا بضعة عشر صُنع لهم هذا العُرس القطري، هيَّأت لهم دولة قطر ـ جزاها الله خيرًا ـ هذا العُرس الَّذي حضره العرسان، وحضره رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلاميَّة (حماس) أخونا الأستاذ خالد مشعل وإخوانه، وكانت ليلة عظيمة، استبشرنا فيها بفرح هؤلاء الشباب الَّذين حُكِم عليهم بما شاء الله من السنين، مؤبد ومؤبدات طويلة عريضة، نجَّاهم الله منها، قضوا منها ما قضوا، ثمَّ أكرمهم الله ﷻ، وردَّهم إلى أهليهم وإلى إخوانهم، وهيَّأ لهم هذا الزواج الكريم، فنحمد الله ﷻ أن هيَّأ لإخواننا هذه الفرصة الكريمة.

ونحن نحب للمسلمين أن يفرحوا، فالفرح مطلوب، وحين يقول القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. فالمقصود بالفرح هنا الغرور، فرح المغرورين الَّذين يفرحون بالشرور، ويفرحون بالمظالم، ويفرحون بالمآثم، ويفرحون بانتصار الباطل على الحق، وبانتصار الظلم على العدل، هذا ليس فرحًا، هذا الَّذي قال فيه قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. فرح قارون بما اكتنزه من مال لا يحبه الله: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]، هذا الفرح لا يحبه الله.

QaradawiBooks.com

أمَّا الفرح الَّـذي يحبه الله هو ما كان بفضلـه ﷻ وبرحمته كما قال القرآن الكريم: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]. ومن ذلك أن يتزوَّج العازب، أن يُفرج عن الأسـير، أن يُفرج عن أكثر من خمسـة آلاف أسـير في سجون إسرائيل، نسـأل الله تبارك وتعالى أن يفك أسـرهم، وأن يجبر كسـرهم، وأن يتولـى أمرهم، وأن يعودوا إلى أهلهم، وإلـى ديارهم، كل فرح يفرح بـه المؤمنون بجلب الخير للناس، وإبعاد الشر عنهم فهو فرح محمود.

ومن الفرح المحمود: الفرح بنصر الله، ذكر لنا القرآن انتصار الفرس على الـروم، والفرس مجوس يعبدون النار، والـروم نصارى أقرب إلى المسلمين، ففرح المشركون وحزن المسلمون، فنزل القرآن يقول: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الـروم: ٢ ـ ٥]. الفرح بنصر الله، حتَّى وإن لم يكن الروم مسـلمين، لكنهم أقرب إلى المسـلمين، هم على الحق، والآخرون علـى الباطل، فنحن نفـرح بنصرة الحق فـي أيِّ مكان في الأرض، نفرح بنصرة العدل على الظلم في أي مكان.

ولذلك فرحنا بزواج الإخوة الفلسـطينيِّين، ودعونا لهم أن يبارك الله لهم، ويبارك عليهم، ويجمع بينهم وبين أزواجهم في خير، ويجعل هذا الزواج قرَّة لهم عين؛ كما دعا عبـاد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]. يدعون أن يكون من هذا الزواج انشـراح صدر لهم، وأن يكونوا للمتَّقين إمامًا في عمل الصالحات، واجتناب السَّيِّئات.

QaradawiBooks.com

ونحن نُهنِّئ إخواننا الأكرمين، ونسأل الله أن يجعل يومهم خيرًا من أمسهم، ويجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأن يُهيِّئ لهم نصرًا قريبًا إن شاء الله، حتَّى ندخل المسجد الأقصى مهلِّلين مكبِّرين، أسأل الله أن يكون لنا حظ من هذا اليوم، ندخل المسجد الأقصى نُهَلِّل ونُكَبِّر، ونردُّه إلى أهله، ونعيد المُقَدَّسات المغصوبة والمنهوبة، وهذه الأرض الَّتي اغتُصبت من أهلها، وبقي أهلها لا يجدون مكانًا يسكنون فيه.

جرائم الاستيطان:

تصوَّروا أهل القدس يُخرجون من بيوتهم، وقد قدَّموا على رخص ليبنوا بيوتًا فلا تُعطى لهم، تُعطى الأرض لهؤلاء الَّذين جاؤوا من آخر الدُّنْيا، لم يكن لهم شبر واحد في فلسطين، في أوائل القرن الماضي: القرن العشرين، لم يكن لهم شيء في فلسطين، ثمَّ بدؤوا يدخلوا شيئًا فشيئًا ويسرقون الأرض من أصحابها، ثمَّ بنوا مستوطنات وراء مستوطنات، وأهل البلاد الأصليون الَّذين ولدوا فيها هم وآباؤهم وأجدادهم وأجداد أجداد أجدادهم، الَّذين ورثوها من قرون: لا يجدون أرضًا يبنون فيها بيوتًا لأهليهم وأولادهم.

سوف يتغيَّر هذا كله، فالله ﷻ الَّذي يُشرف على هذا الكون قادر على ذلك، هذا الكون ليس سائبًا، هناك ألوهيَّة تشرف على هذا الكون وتدبر أمره وتنظمه، ولكن من أسماء هذه الألوهيَّة الصبور، يصبر الله على الأمور حتَّى ييأس النَّاس ويظنوا الظنون، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

QaradawiBooks.com

نحن نعتقد أن نصر الله آتٍ لا ريب فيه، الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

هذه تحيتنا لإخوتنا الفلسطينيِّين الَّذين أسأل الله تعالى أن يجعلَ فرجهم قريبًا، ونصرهم قريبًا، وإنَّه لقريب، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤]. البأساء في أموالهم، والضراء في أبدانهم، والزلزلة في نفوسهم، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. هذه هي الكلمة الأولى.

القضيَّة السوريَّة:

والكلمة الثانية عن إخوتنا في سوريا، هذا الشعب السوري، الشعب البطل، الشعب الأبيُّ، الشعب الشجاع، الشعبُ الَّذي خرج من بيته وليس معه عصا، ولا سكين، ولا حجر، ليس معه إلَّا لسانه فقط ينادي به على الظلمة أن يذهبوا، ينادي بالحرية، ينادي بالحق، ما أراد من الظالمين إلَّا أن يذهبوا ويتركوا الناس.

لماذا لا يذهب الظالمون؟ صار لهؤلاء ما يقارب الخمسين سنة يحكمون سوريا، لماذا تحكمون سوريا؟ يا بشَّار الأسد، ويا أعوانه، مَنْ حكَّمكم في سوريا؟ إذا كنتم حكمتموها باسم الشعب فها هو الشعب يطلب منكم أن تذهبوا وتتركوا البلد، ليس من حقِّ أُسَرٍ أن تتحكَّم في بلاد جمهوريَّة، سوريا بلد جمهوري، اختار لنفسه الجمهوريَّة وعاش حرًّا، عاش سنين طويلة يحكم نفسه بنفسه، لا أحد يتحكَّم فيه، رضي أن

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يسلم نفسه لعبد الناصر، بحث عن الوحدة ورضي بها، رضي الرئيس شكري القوتلي أن يكون المواطن الأول ويترك رئاسة الجمهوريَّة، ويصير الأخ شكري، ولكن للأسف لم يرعَ نظام عبد الناصر الحرمات، ولم يحافظ على الحريات، تعامل مع النَّاس في سوريا كما تعامل مع النَّاس في مصر بالظلم والقهر، فرفض النَّاس في سوريا هذا الظلم وهذا الذل، وثاروا على هذا النظام وخرجوا عليه.

وبقيت سوريا بعد ذلك سنوات قليلة، ثمَّ جاء هؤلاء فدخلوا على هذا الشعب دخول الشياطين، وحاولوا أن يمسكوا بزمام هذا الشعب، ولم يتركوا له فرصة، خنقوا هذا الشعب السوري الحر، ولم يتركوه يستطيع أن يتحدَّث، ولا أن يمشي ولا أن يتقدَّم ويتأخر إلَّا بإذنهم، أصبح مسجونًا، خمسون سنة أو ما يقاربها وهو سجين هؤلاء السجانين المعذَّبين، هؤلاء الشياطين، هؤلاء الطواغيت الَّذين لا يخشون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا، ليس عندهم قلوب تحس، وليس عندهم ضمائر تحيا، وليس عندهم عقول تفكر، هؤلاء وحوش مفترسة، بل هم أكثر من وحوش، فالوحش لا يأكل إلَّا إذا جاع، الأسد لا يأكل الإنسان إلَّا إذا لم يجد حيوانًا آخر وكان جائعًا، فهؤلاء أكثر من وحوش سلِّطت على هذا الشعب السوري.

الربيع العربي:

ثم جاء هذا الربيع العربي، قام في تونس، وقام في مصر، وقام في ليبيا، وقام في اليمن، وقام في سوريا، وقد انتصرت هذه الشعوب الأربعة، انتصرت تونس، وانتصرت مصر، وانتصرت ليبيا، وانتصرت اليمن، وبقي هذا الشعب السوري الَّذي أصبح له سنة كاملة يقدِّم كل يوم فيها ضحايا مقتولين بالعشرات وبالمئات!

QaradawiBooks.com

يقدِّم هؤلاء الضحايا من أبنائه، وهم ليسوا دجاجًا ولا عصافير، هم بشر مثلنا يذبحهم الجيش الَّذي صُنع بأموال الشعب السوري، كان يُفترض أن يدافع هذا الجيش عن الشعب الَّذي بُني بأمواله، وأن يستعيد الجولان الَّذي تحتله إسرائيل، لكنَّه لم يطلق رصاصة واحدة على إسرائيل وهو الَّذي يدعي أنَّه حامي الحمى، أي حمى؟! ما رأينا له معركة مع إسرائيل، وإسرائيل سعيدة جدًا بهؤلاء، هم يحمونها، يكفونها كل شر!

هؤلاء الجبناء، هؤلاء المُفَرِّطون في حقوق أمَّتهم وأوطانهم وشعوبهم، في حُرمات هؤلاء الناس، في دمائهم وأعراضهم، وأموالهم وممتلكاتهم، ونسائهم وأطفالهم.. هؤلاء النَّاس هم الَّذين يحكمون سوريا.. الجيش السوري الَّذي دفع الشعب السوري أمواله في تسليحه من روسيا ومن غيرها: أصبح يُقتل بهذه الأموال، يدفع الشعب أمواله لجيشه فيقتله بها، لم يكن جيش حافظ الأسد، ولا ابنه بشَّار الأسد، هذا جيش الشعب، ردوا الجيش إلى شعبه، ردوا الأسلحة إلى أهلها، لا تقتلوا الشعب بسلاح كان يُفترض أن يُقتل به أعداء الشعب، وخصوم الشعب، لا أبناء الشعب ولا جنود الشعب.

خرج الشعب السوري من كثرة ما طفح الكيل، وما اسود الليل، وما حاق الويل، خرج الشعب السوري بعد هذه السنين الطوال يدافع عن نفسه، عن كرامته، عن حريته، والحرية أمر فطري من حقِّ كل إنسان.. كل إنسان لا بد أن يشتاق إلى الحُرِّيَّة، لا يستغني أحد عن الحُرِّيَّة!

خرج الشعب السوري يقول لهذه الأسرة المستبدَّة: كفاكِ، اتركينا ننادي بالحرية، كما نادى النَّاس بها في تونس ومصر وليبيا واليمن، من حق النَّاس أن يطلبوا الحرية. ولكن هذا الحاكم الظالم الَّذي يتحكَّم في

QaradawiBooks.com

رقاب البشر، وفي ضمائر البشر، وفي ألسنة البشر، وفي أبدان البشر.. يتحكم في الناس: أبَى أن يستجيب لهم.

استخدموا كل الأسلحة ضد هذا الشعب المسالم، ألم تروه في الفضائيات؟ هل رأيتم أحدًا منهم يضرب أحدًا، والله ما رأيت أحدًا منهم يضرب أحدًا، لا بحجر، ولا بعصا، ولا بيده، ولا بأي شيء، هم يُضربون ويُقتلون، ومن حقِّ هذا الشعب أن يُسلَّح.

الآن ينادي الإخوة في السعودية وفي قطر، وفي كثير من البلاد العربيَّة: أن تُسلَّح المعارضة السوريَّة، لأن هؤلاء الظلمة يريدون أن يقتلوا هذه المعارضة، انظروا ماذا فعلوا بالمعارضة في حمص: البلد الَّذي قاد المقاومة، ولقي ما لقي، ضربت حمص بالأمس، وضربوا باب عمرو، جمعوا له من الأسلحة الثقيلة: الدبابات والصواريخ، والمدافع والشَّبِّيحة، وكل ما استطاعوا، واضطرَّ الإخوة الضبَّاط في المقاومة أن ينسحبوا تكتيكيًّا، ما هذا؟

هؤلاء النَّاس يضربون الشعب بكل هذه الأسلحة، وليس معهم سلاح واحد، فمن حقِّهم أن يُسلَّحوا، أو على الأقل يُسلَّح أبناء الجيش الحر، وأنا ناديت أبناء الجيش السوري، ولا أزال أناديهم، وسأظل أناديهم أن يتركوا هذا الجيش الظالم، كل من بقي في هذا الجيش ظالم، سيكتبه الله في الظالمين، سينال عقوبة الله في الدُّنْيا والآخرة، لا تبقَ أيُّها السوري في هذا الجيش الظالم، الجيش القاتل، الجيش المدمِّر الَّذي يدمِّر شعبه، ويدمِّر وطنه، ويقتل رجاله، ويقتل نساءه، ويقتل أطفاله، ويقتل الجميع!

لا تبقَ أيُّها السوري في هذا الجيش يومًا واحدًا إن استطعت، كلما واتتك الفرصة اخرج أنت وإخوانك، وانضموا إلى هذا الجيش الحر،

QaradawiBooks.com

كثِّروا عَدَده، قوُّوا عُدَده، قوُّوا أسلحته، قفوا في وجه المتجبرين، قفوا في وجه المفسدين، قفوا في وجه الظالمين، والظالمون لا بقاء لهم أبدًا والله، فالله معكم وليس معهم.

أيُّها الشعب السوري كن مع الله يكن الله معك، وكن مع هذا الشعب المظلوم تكن مع الله، لا تكن مع الظالمين.. الظالمون ذاهبون، ولا بد أن يذهبوا، لماذا يبقون؟ يكفيكم خمسون سنة أيُّها الظالمون، اتركوا الشعب يتحرَّر، ويُملي إرادته بنفسه، ويبني مستقبله بيده، هذا شعب أبِيٌّ لا يجوز أن يظلَّ شعبًا مستعبدًا لهؤلاء الظلمة، المستكبرين في الأرض بغير الحق، المتجبِّرين على عباد الله.

أسأل الله ﷻ أن ينصر إخوتنا في سوريا، اللهمَّ انصرهم نصرًا عزيزًا، وافتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، اللهمَّ أنزلْ عليهم سكينتك، وانشرْ عليهم فضلك ورحمتك، وهيِّئْ لهم من أمرهم رشدًا؛ إنَّك سميعٌ قريب.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٧

الإيمان في القرآن الكريم (٢)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نتحدث عن موضوع (الإيمان في القرآن) الَّذي بدأناه في الخطبة الماضية، وللإيمان في القرآن ساحة رحبة، ومساحة واسعة، هذا الإيمان العظيم الَّذي فتح الله لأصحابه الجنان، وأبعد عنهم النيران، فهم أهل الجنَّة، وهم أهل الفردوس الأعلى.

الإيمان الصادق المتكامل:

اهتم القرآن بالمؤمنين الصادقين، الَّذين يقولون ويفعلون، الَّذين يدَّعون الإيمان ويصدقون في هذه الدعوى، ليسوا من الَّذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨، ٩]. وإنَّما هم مؤمنون صادقون، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، هؤلاء المؤمنون هم الَّذين ذكرهم القرآن.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٩ مارس ٢٠١٢م

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

علماء السلف يقولون: العمل لا بدَّ منه للإيمان. يعتبرون العمل جزءًا من الإيمان، والمتأخرون يقولون: العمل جزء من الإيمان الصادق. والذي يهمنا هو الإيمان الصادق. أمَّا الإيمان غير الكامل، والإيمان غير الصادق فلا يهمنا، إنَّما يهمنا هو الإيمان المتكامل، الَّذي نرى الأخلاق والقيم والأعمال الصالحة جزءًا أساسيًّا منه.

ولذلك يصف الله تعالى المؤمنين فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٩]. كل هؤلاء هم المؤمنون.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

وخاطب الله الأعراب وناقشهم كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. لأن الإسلام يتعلق بالأمور الظاهرة، أمَّا الأمور القلبية فأصل الإيمان في القلب، كما يقول تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ويقول: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. فأسُّ الإيمان في القلب.

والله تعالى يُهيِّئ لنا هؤلاء المؤمنين بقلوبهم، وأحيانًا لا يظهر هذا الإيمان على ألسنتهم، يخفون هذا الإيمان، كما أخفاه مؤمن آل فرعون،

QaradawiBooks.com

وكما أخفاه أناس كثيرون عن أعداء الله، فالإيمان في القلب، كما قال الله للأعراب: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥]. لم يدخل إلى إيمانهم ريب ولا شكَّ ولا شبهة، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، هؤلاء هم الَّذين صدقوا في الإيمان، ليس في إيمانهم أي ريب أو زعزعة، ثمَّ صدَّقوا هذا الإيمان وأيَّدوه وكمَّلوه بالجهاد بالنفس والمال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

نحن نريد هذا الإيمان القرآني بأخلاقه، بأعماله، بحسناته، بصالحاته، ببذله، بتضحيته؛ ليكون معنا في الحياة سندًا لنا، إذا نزلت بنا محنة كان الإيمان هو الَّذي يقف معنا في هذه المحنة، إذا أحاط بنا عدوٌّ كان الإيمان هو الَّذي يشدُّ أزرنا، ويحمي ظهرنا في مواجهة هذا العدو.

في غزوة الأحزاب الَّتي هُوجمت فيها المدينة المنورة من جيش فيه أكثر من عشرة آلاف مقاتل، جاؤوا يغزون الرسول ﷺ وصحبه في عقر دارهم.. اختلطت القلوب بالفزَّاعات الَّتي تُفزِّع الناس: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

ولكن هذا الزلزال لم يُضيِّع الإيمان، ولم يُضعِف الإيمان، بل زاد الإيمان والحمد لله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. يزدادُ الإيمان في هذه الحالة ولا ينقص، يقوى ولا يضعف: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

غير مرخصة للطباعة

الإيمان سكينةٌ وطمأنينة:

والإيمانُ أيضًا طاقة روحيَّة هائلة، طاقة معنويَّة، تُعطي الإنسان السكينة والطمأنينة، قد يكون عند الإنسان المال، والأولاد، والخدم، والحشم، ويكون عنده من الدُّنْيا ما عنده، ولكنَّه لا يجد هذه الطمأنينة النفسيَّة.. يحتاج إليها.

هذه الطمأنينة، وهذه السكينة لا تُشتَرى ولا تُستَبْدَل، هي من داخلك لا من الخارج.. الإيمان هو الَّذي يعطي هذه السكينة، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، حينما تذكر ربك ولا تنساه، وتعرف أنَّه هو الَّذي يُعطي القوَّة للضعيف، ويُعطي السكينة للمضطرب، ويُعطي كل إنسان ما يتوق إليه، حينما تأنس إلى هذا الإلٰه العظيم تستروح من التعب.. تسكن نفسك.. يطمئن قلبك، هذا ما يعطيه الإيمان للبشر.

الإيمان قوَّة هادية حافزة:

الإيمان قوَّة هادية لكل مؤمن، يعطيه بوصلة تهديه إلى القبلة، إلى الصِّراط المستقيم، إلى الجهة الَّتي يريدها، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، هداية القلب من عمل الإيمان، فالإيمان ينبوع للهداية والنور.

والإيمان قوَّة حافزة، يُرغِّبك في الخير.. يُرغِّبك في البذل.. في التضحية بالنفس والنفيس، وبالغالي والرخيص. هذا عمل الإيمان

QaradawiBooks.com

الحقيقي: الإيمانُ بذل، والإيمانُ تضحية، والإيمان قوَّة حافزة تحفِّزك على فعل الخير.

غير مرخصة للطباعة

الإيمان قوَّة رادعة:

والإيمانُ قوَّة رادعة تردعك عن فعل الشر، قد يوجد الشر أمامك، لا تسعى أنت إليه، ولكنَّه يأتي إليه فيمنعك الإيمان عنه، كما منع يوسف عليه السلام، حينما راودته المرأة الَّتي هو في بيتها عن نفسه، هو عبد عندها، وهي تملكه، وتملك أمره، وهي الَّتي سعت إليه، وصارحته بما في نفسها، لم تلجأ إلى التلميح دون التصريح؛ لا بل صارحته، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ردعها بالرادع الديني، والرادع الأخلاقي، والرادع المصلحي، ليس من مصلحتي في مستقبلي أن أستجيب لكِ، لأني سأكون ظالمًا، والظالم لا ينجح في حياته أبدًا، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

فلما يئست المرأة منه استعانت عليه بمجموعة من النسوة، ودعتهنَّ إلى دارها، وأرتهنَّ هذا الرجل، حينما قالوا: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يوسف: ٣٠]. يتعجَّبون أنَّها تراود خادمها عن نفسه!

كانوا يتصورنه كأيِّ خادم، فصنعت لهنَّ طعامًا، وقالت ليوسف: ادخل عليهن. فدخل عليهن فجأة وهنَّ يُقطِّعن الفاكهة، فقطَّعنَ أيديهنَّ دون أن يدرين، ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ۞ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾ [يوسف: ٣١، ٣٢]، طلب العصمة لنفسه وأبَى، ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

نسخة ثانية

QaradawiBooks.com

ماذا يفعل يوسف أمام هذا التَّهديد الواضح الجلي؟ لجأ إلى ربِّه، لاذ بمولاه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

صرف كيد النساء عنه، ولكن لم يصرف السجن عنه: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، فالإيمان هو الَّذي يدفع الإنسان إلى الخير، يحفزه على عمل الصَّالحات، وعلى استباق الخيرات، وهو الَّذي يردعه عن السَّيِّئات، هو قوَّة حافزة، وقوَّة ضابطة.

الإيمان قوَّة هائلة:

الإيمان ـ أيُّها الإخوة ـ هو القوَّة الهائلة الَّتي تمدُّ الإنسان بمدد لا ينضب ولا ينفد، لأنَّه من عند الله، هذا المدد القوي الزاخر يستمر مع الإنسان ما دام عنده هذا الإيمان، ولذلك حينما يؤمن البشر يصبحون قوَّة هائلة.

خديجة بنت خويلد:

حينما آمن الرسول ﷺ أصبح قوَّة هائلة، وحينما آمنت خديجة بنت خويلد به، وعرفت أن ما أصابه ليس من الشيطان أبدًا صارت قوَّة هائلة، قالت له: إنَّك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكسب المعدوم، وتَقْري الضيف، وتعين على نوائب الدهر. وأخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وطمأنه وقال له: هذا الناموس الَّذي أنزله الله على موسى، هو الوحي الَّذي ينزل على الأنبياء من قبلك[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

إبراهيم عليه السلام:

الإيمانُ يعطي الشباب قوَّة هائلة، كما كان عند إبراهيم عليه السلام؛ حينما ذهب إلى الأصنام وحطَّمها، فلمَّا رأوها محطَّمة قالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩]. فقال بعض القوم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]. يهدِّد أن يأتيها ويحطمها ويجعلها جذاذًا، إبراهيم الفتى الشاب الصغير هو الَّذي هدَّم أصنام الكبراء من قومه، ولم يبالِ بهم، فالإيمان يعطي الشباب قوَّة.

فتية أهل الكهف:

وكما رأينا أهل الكهف الَّذين تحدَّوا قومهم، ورفضوا عبادة قومهم للأصنام، وعبدوا الله وحده، ولكن لم يقدروا على الوقوف ضد قومهم فذهبوا إلى كهف يأوون إليه: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، كان هؤلاء الشباب سبعة وثامنهم كلبهم، هذا أقصى ما قيل فيهم، قال الله فيهم: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣، ١٤]. وهجروا قومَهم، ووقفوا ضدَّ شركهم وعبادتهم للأصنام، فالإيمانُ حينما يدخل قلوب الشباب، ويخالط هذه القلوب ببشاشته وحلاوته يفعل الكثير.

امرأة فرعون:

انظروا إلى امرأة فرعون الَّتي ضربها الله مثلًا للَّذين آمنوا، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]، من فرعون الَّذي

QaradawiBooks.com

دَعَا النَّاس إلى عبادته: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، رفضت امرأتُه أن تتَّخذه إلهًا؛ فإلهها الله، آمنت بموسى، وبرسالة موسى، وكفرت بفرعون المُتألِّه الجبَّار، وقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

مؤمن آل فرعون:

وانظروا إلى مؤمن آل فرعون، رجل من آل فرعون، من عائلته، آمن وكتم إيمانه، ولكنَّه أظهره عندما لزم الأمر، حينما أعلن فرعون أنَّه يريد أن يقتل موسى، هنالك أظهر الرجل إيمانه، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۞ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٨، ٢٩].

هنا ظهر فرعون يكذب على قومه، ويُزيِّف دعواه لهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. وهو في الحقيقة لا يهديهم إلَّا سبيل الفساد، سبيل الغي والباطل.

وقف مؤمن آل فرعون يدعو فرعون وقومه إلى الحق: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٣٨ ـ ٤١]. إلى آخر هذه المقولة الفصيحة البليغة، الَّتي ظهرت من هذا الرجل المؤمن، الَّذي كان يكتم إيمانه، فللإيمان أثره القوي على أصحابه.

QaradawiBooks.com

سَحَرة فرعون:

انظروا إلى سَحَرة فرعون، هؤلاء الحواة الَّذين كانوا يظهرون على النَّاس بهذه الألاعيب والأباطيل الَّتي يسحرون أعين النَّاس بها، وعندما رأى فرعون عصا موسى قال: عندنا من هذا السحر آلاف من الناس، ﴿ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [يونس: ٧٩]. هاتوا لي أعظم السحرة من أنحاء مصر. وجاء بهم في يوم واحد، يوم الزينة، يوم العيد، يوم يجتمع عشرات الآلاف من الناس، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢]. لكم أجور، ولكم أموال، ولكم جاه، ولكم مناصب، ولكم قربى مني، ولكم ما تشاؤون.

فلمَّا جاؤوا إلى أرض المعركة قالوا لموسى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٥، ٦٦]، فلمَّا ألقوها على كثرة عددها، وجلبة أصواتها دخل في قلب موسى شيء من الخوف، قال له الله ﷻ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٨، ٦٩]. فماذا فعل موسى؟ ألقى عصاه، فإذا هي تلقف وتبلع كل ما يأفكون، كل هذه الحبال والعِصِيِّ بلعتها هذه الحيَّة.

هنا عرف هؤلاء القوم أن هذا الرجل ليس بساحر، فالساحر يبطل الأشياء وتبقى كما هي، أمَّا أن تُبتلع وتذهب فليس هذا عمل السَّحَرة، فعرفوا أنَّ موسى مؤيَّد بقوَّة أخرى ليست قوَّة بشريَّة، إنَّما هي قوَّة الله العظيم، فخرُّوا سجدًا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

فقال فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١]. يريد فرعون ألَّا تتحرَّك القلوب، وألَّا تقتنع العقول، وألَّا تعمل الدُّنيا إلَّا بإذنه، بتصريح منه، مَنْ

QaradawiBooks.com

يؤمن لا بد أن يؤمن بأمر فرعون، ومَنْ يكفر لا بـد أن يكفر بأمر فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طـه: ٧١]، كيف يكون كبيرهم الَّذي علَّمهم السحر وأنت الَّذي جئتَ بالسحرة من كل البلاد؟ لم يلقوا موسـى إلَّا في هـذه اللحظـة، لكن هذا شـغل الفراعنـة الجبابرة المسـتكبرين في الأرض، يقولون كلامًا غير معقول، كلامًا لا يسـتحق أن يُسمَع، كلامًا لا دليل عليه، فقط ليبرِّر تهديدَه ووعيدَه: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١].

فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢]. اتَّضحت عندنا الصورة فأصبحت واضحة المعالم، رأينا أنَّ هذا الرجل مُحِق، ليس ساحرًا، لو كان ساحرًا كنا غلبناه بقوَّتنا وكثرتنا، يحلفون بالله الَّذي خلقهم. لقد كانوا منذ دقائق فقط يقولون: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. فأصبحوا الآن يقولون: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢].

غيَّرهم الإيمان تغييرًا كُليًّـا، هذا الإيمان حينما يدخـل القلوب يُغيِّر الإنسان من أساسه، يقلبه قلبًا: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢]، ماذا تستطيع أن تفعل؟ كل ما تستطيع أن تفعله هو في هذه الأيام، وكلها أيام معدودة، وأنفاسٌ محدودة، ثمَّ نترك هذه الدنيا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣].

هذا السـحر الَّذي أكرهتنا عليه.. نحن مجبورون عليه، لأنَّنا لا نجد عيشًا، لا نجد مَنْ يُطعمنا، اضطررنا أن نفعل هذا السحر، فنحن مُكرَهون على أن يكون عملنا السـحر، نلاعب النَّاس به: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طـه: ٧٣ ـ ٧٥]. هؤلاء هم السَّحَرة حينما

QaradawiBooks.com

آمنوا، فئة من فئات الشـــعب آمنوا جماعة، وقُتلوا جماعة، قتلهم فرعون بجبروته وطغيانه، ولكنَّهم ذهبوا عند الله ﷻ.

أيُّها الإخوة الأحبَّة، الإيمان هو مصدر كلِّ خير، كل مَنْ يطلب الخير يجب أن يطلبه في الإيمان، آمِن بالله، املأ قلبك بالإيمان، اشـــحذ قلبك بهذا الإيمان، قـــوِّهِ بـــه، زِده كل يوم شـــيئًا ولو قليلًا؛ فيـــزداد إيمانك ولا ينقص، هذه ما نريده من المؤمنين.

نسأل الله ﷻ أن يملأ قلوبَنا إيمانًا، ويملأ قلوبَنا يقينًا، ويجعلنا ممَّن صدَقوا اللهَ ما عاهدوا عليه، اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نحن اليوم أمَّة إسلاميَّة كبيرة، كبيرة في الحجم، وكبيرة في العدد، بلغت ما يقرب من مليار وثلثي مليار من المسلمين في أنحاء العالم، ولكن هل نجد هذه الأمَّة بمساحتها، بضخامتها، بكثرة أعدادها تُمثِّل القرآن الكريم؟ تُمثِّل السُّنَّة النبويَّة؟ تُمثِّل الإسلام العظيم؟ تُمثِّل أئمة الإسلام طوال هذه القرون؟ لا أظن ذلك موجودًا تمامًا، فهذه الأمَّة تنقصها أشياء كثيرة.

ثورات الأمَّة تعبير عن حقيقتها:

ونحمد الله ﷻ أن ثوراتنا العربيَّة في السنة الأخيرة قامت تُحيي هذا الموات، وتجمع هذا الشَّتات، وتوقظ الأمَّة من هذا السُّبات، تُحيي المؤمنين والمؤمنات، العاملين والعاملات، المجاهدين والمجاهدات، الصادقين والصادقات، تحييهم وتجمعهم، وتقول لهم: ها أنتم هؤلاء تُدعَون لتعملوا وتجاهدوا وتنفقوا في سبيل الله، فلا تبخلوا على دينكم، ولا تبخلوا على أمَّتكم، ولا تبخلوا على جهادكم.

قامت الثورات العربيَّة في تونس، وفي مصر، وفي ليبيا، وفي اليمن، وفي سوريَّا، وثورات صغيرة في بقاع شتى، قامت كل هذه الثورات تعلن عن حقيقة الأمَّة، أمَّة الإسلام، أمَّة القرآن، أمَّة محمَّد عليه الصلاة والسلام: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، الأمَّة الوسط: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، قامت هذه الثورات تنادي الأمَّة أن ترد أبناءها إلى ذاتها، إلى قلبها، لا تشرد يمينًا وشمالًا، بل تعود إلى قلب الدائرة، تعود إلى القرآن، إلى السنَّة، هذا ما نريده من أمَّة الإسلام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ضرورة الحفاظ على ثورات الأمَّة:

نحن عندنا الآن ثورات، وأوَّل ما نطلبه من أمتنا أن تحافظ على هذه الثورات، وألا تفرط فيها أبدًا، لا يجوز لأحد أن ينتقص من هذه الثورات، هذه الثورات كاملة يجب ألا تنقص، هذه الثورات تعمل على الجمع لا على التفريق، على البناء لا على الهدم، على الإحياء لا على الإماتة.

ليبيا واليمن:

ولذلك نطالب ـ أوَّل ما نطالب ـ إخوتنا في ليبيا، إخوتنا في برقة، الَّذين اجتمع منهم بعض مئات أو ألف أو أكثر، وطلبوا أن يقيموا اتِّحادًا فيدراليًّا، يريدون أن تقيم برقة اتِّحادًا وحدها، وينضم إليها آخرون، لا، هذا لا يجوز، يجب أن تبقى البلاد على ما هي عليه، لا يجوز أن تُفرَّق هذه الديار، لا يجوز لبرقة ولا لغيرها أن تطلب الانفصال، أو تطلب اتحادًا فيدراليًّا لها، لا، بل يجب أن تبقى ليبيا هي ليبيا، يجب أن تظل بلدًا واحدًا، كل مَنْ يطلب أمرًا مثل هذا فأمره لنفسه، وليس معروضًا على أهله ولا على قومه، نحن ضد كل دعوة إلى الانفصال، لا نريد لليبيا، ولا لتونس، ولا لمصر، ولا لليمن، ولا لسوريا، ولا لأي بلد أي قدر من الانفصال أبدًا.

أنا أدعو الإخوة في برقة، أدعوهم باسم الله، باسم القرآن، باسم الإسلام، باسم مُحمَّد ﷺ، باسم أبي بكر وعمر والصحابة، باسم أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، باسم أئمة الإسلام، باسم أمَّة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، باسم الَّذين خاضوا هذا الجهاد، باسم الشهداء الَّذين قدَّموا أرواحهم في سبيل أمَّتهم، باسم الَّذين دخلوا السجون وبذلوا ما بذلوا، باسم هؤلاء جميعًا أدعو الإخوة في برقة أن

QaradawiBooks.com

يعودوا إلى أمَّتهم، أنْ يتركوا هذه الدعوة الانفصالية، ليست ليبيا بلدًا كبيرًا حتَّى نُقسِّمه، كله عدة ملايين، يجب أن يبقى بلدًا واحدًا.

صحيح أنَّ برقة لم تأخذ حقَّها، ويجب أن تأخذ حقَّها، يجب أن نسعى ليأخذ البرقيون حقَّهم، ويأخذ كل ذي حقٍّ حقَّه، لا بد من إقامة العدل، هذا ما ننادي به في كل بلد، وخصوصًا البلاد الَّتي قامت فيها الثورات، يجب أن نعمل على تحقيق العدل الاجتماعي فيها، نُوفِّي كل ذي حَقٍّ حقَّه، لا نظلم أحدًا، ولا نُعطي أحدًا فوق ما يستحق، لا، فهذه الثورات قامت تنادي بالقسط، تنادي بعدل الله لكل عباد الله في كل أرض الله، هذا ما ندعوكم إليه يا أهل برقة، لا نريد لكم، ولا لأيِّ بلد أن ينفصل بعضه عن بعض.

كما يريد بعض اليمنيين أن ينفصل الجنوب عن الشمال، لا، هذا أمر مرفوض تمامًا، يجب أن تبقى هذه البلاد واحدة، كما قامت هذه الثورات ودعت إلى ذلك، قوَّتها في وحدتها، الاتِّحاد قوَّة، فلا يجوز أن نضعف هذه البلاد بالفرقة، الفرقة فتنة، كل من يدعو إلى الفرقة أو إلى أيِّ شيء منها لا بد أن يُقاوَم.

الوحدة ونبذ الفرقة والاقتتال:

هذا ما أدعو إليه الإخوة في برقة والإخوة في اليمن، لا يجوز أن تظهر في اليمن فئات تقتل بعض الناس، فقد قُتل عشرات ومئات، إلى متى يقتل بعضنا بعضًا؟ كان أعداء الثورة هم الَّذين يقتلون الثائرين، لماذا يقتل النَّاس بعضهم بعضًا؟ يجب أن نقف ضدَّ هؤلاء، وأن نصونَ دماء الأمَّة، حرام أن يُقتَل فرد واحد بغير حق، الله تعالى يقول: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

QaradawiBooks.com

﴿أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. والنبيُّ ﷺ يقول: «**لزوالُ الدُّنْيا أهونُ على اللهِ مِن قتْلِ امرئٍ مسلمٍ بغير حقٍّ**»(١).

غير مرخصة للطباعة

سوريا:

ثم أقول للإخوة في سوريا، وقلوبنا معهم، نحن نتابعهم في الصباح وفي المساء، وفي الظهر، وفي ساعات الليل، وفي ساعات النَّهار، لأنَّنا نعلم أنَّه لا تمر ساعة إلَّا ويُقتل من أبنائها مَنْ يُقتل، أصبح هذا الشعب يُقدِّم أبناءه عشرات وراء عشرات، ومئات وراء مئات، وألوفًا وراء ألوف، وسينتقم الله من هؤلاء الَّذين يقتلون المؤمنين بغير حق، الَّذين يتصدون لأرواح البرآء، أرواح المدنيين، أرواح النساء، أرواح الأطفال، أرواح الشيوخ، أرواح الَّذين ليس معهم سلاح، ليس معهم عصا، ليس معهم حجر، ليس معهم شيء!

من أوَّل يوم شاهدناهم في الفضائيَّات، في قناة (الجزيرة)، وفي قناة (العربيَّة)، وفي غيرهما من الفضائيَّات، لم نرَ معهم شيئًا، يُقتلون ويُقتلون وهم وحدهم، حتَّى جاءهم أخيرًا إخوانهم في الجيش السوري الحر.

الجيش الحرُّ:

وأنا أدعو جميع الأحرار والشرفاء في الجيش الوطني، مَنْ لم يبيعوا أنفسهم لبشَّار الأسد وجماعته، مَنْ كان حر الضمير يأبى أن يكون عبدًا إلَّا لله، مَنْ لم يبع نفسه ببعض المال، أدعو هؤلاء جميعًا أن ينضمُّوا إلى الجيش الحرِّ، حتَّى يُحرِّروا أمَّتهم، حتَّى يحرِّروا هذه الأرض المسلوبة،

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا وموقوفًا ورجَّح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصحَّحه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦)، والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

نسخة مصورة

QaradawiBooks.com

حتَّى تُصبح سـوريا حرَّة حقيقة، سوريا مسلوبة الحريَّة، مسلوبة الإرادة، مسـلوبة الكرامة، والذي يفعل ذلك هو جيشـها، الجيش الوطني الَّذي أُسِّس بأموال سوريا، بمليارات من أبناء سوريا، أصبح هذا الجيش غريبًا عن الأمَّة، أصبح هو الَّذي يقتل الأمَّة، ويفعـل بها الأفاعيل، بالدبابات والجرافات والطائرات، والبوارج البحرية والمدافع الثقيلة، وبكل ما عنده من جنود وضباط وشبِّيحة وأسلحة هائلة.. يُقتل بها هذا الشعب، الشعب الَّذي لا يملك شيئًا.

يا بشَّـار الأسـد، ثِقْ بأنَّ الله لن يتركك، لا أريدك أن ترحل قبل أن تُحاكَم، لا بد أن يحاكمك الشعب على ما فعلته بالشعب السوري، وعن قريب سنرى ذلك، يظن هؤلاء أنَّهم في مَنْجاة، وهم الله ليسوا في مَنْجاة، هم فـي مَهْواة أي مهواة، وعن قريب سـينتقم هذا الشـعب، الشـعب المعزول، الشـعب الَّذي اسـتذله هؤلاء الطغاة، ولكنَّه لن يذل؛ لأن الله تعالى أعزَّه بالإيمان، فالمؤمن عزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقـون: ٨]، هـؤلاء المنافقون سـيأخذون جزاءهم، سنرى ذلك، وسيراه الَّذين يؤيدونهم.

لا زال هناك أناس يُسَـمِّيهم البعض علماء، ولكنَّهم ليسـوا بعلماء، علماء باعوا أنفسـهم، باعوا ضمائرهم، عميـت أعينهم، صُمَّت آذانهم، غلفت عقولهم وقلوبهم، تاهوا عن الحق، لم يعرفوا الحق من الباطل، لم يعرفوا العدل من الظلم، هؤلاء سيكشفهم الله للأمَّة.

يجب أن تقف الأمَّة السوريَّة مع ثورتها، هذه ثورةُ حقٍّ قامت بعد أن ملَّت ما ملَّت، أكثر من أربعين سنة وهذا الشـعب يهان ويهان، تحكمه أسرة واحدة بكل ما له، كل أموال الدولة تُجمع عندها، كل موارد الدولة

QaradawiBooks.com

تصبح عند شخص أو مجموعة من الأشخاص، هذا لا يُقبل أبدًا، لا بد للأمَّة أن تثور على هذا، وقد ثارت الأمَّة، ولا بدَّ لهذه الأمَّة أن تنتصر، وثقوا بأنها ستنتصر، سينتصر شعب سوريا على ظالميه، على الطواغيت المستكبرين في الأرض، على مَنْ يقتلون النَّاس بغير حقٍّ، على الَّذين أصبحت آثارهم في الأرض تشهد عليهم وتلعنهم، وتستجلب عليهم سخط الله وعذابه.

أيُّها الشعب السوري البطل الرافض للذل والهوان قف على رجليك ثابتًا، قف متشبثًا بالحق، مقاومًا للباطل، مُصرًّا على العدل، رافضًا للظلم، هذا ما نريده من الشعب السوري، وهو إن شاء الله واصل إلى ما يريد.

ونحن نريد من العالم أن يناصر هذا الشعب، لا بد أن يُنصر حقه بقوة، وبكل وسيلة، لماذا لا ينصرونه بالقوَّة؟ لماذا لا تُسلَّح المعارضة؟ الباطل مدجَّج بالأسلحة؛ فلماذا لا نقاوم السلاح بالسلاح؟ لماذا لا نقاوم القوَّة بالقوَّة؟ هل هذا حرام؟ هذا واجب، لا بد أن يُقوَّى المظلومون، فالذين يظنون أننا يمكن أن نقاوم هذا الطغيان بغير القوَّة واهمون، هذا مستحيل.

لا بدَّ أن نقاوم الظالمين الأقوياء بقوَّة مثل قوَّتهم، ولذلك يجب أن يُدعَم الشعب السوري بكل قوَّة، يجب على الأمم المتَّحدة أن تقول كلمتها، ويجب على روسيا وعلى الصين أن يتخلوا عن هذا الظلم الَّذي وقفوا يؤيِّدونه طوال هذه المدة، عليهم أن يعرفوا أنَّ الشعوب هي الباقية، لن تبقى الدولة الظالمة أبدًا، فسُنَّة الله أن يذهب الظالمون، فثقوا أيُّها الروسيون، وأيها الصينيون أنَّ الشعب السوري سينتصر، وستكونون أنتم

الضائعين، ضيَّعتم سوريا بمواقفكم، كتبت إلى (بوتن) رسالة أطالبه فيها أن يُغيِّر موقفه، إذا كان رجلًا قويًّا وانتصر في الانتخابات فليرنا انتصاره في هذه المعركة، وليرنا قولة الحق، والحق يجب أن يُتَّبع.

حكومة بنجلاديش:

وقبل أن أختم حديثي هذا لا بد أن أقول كلمة لإخواننا في بنجلاديش، هؤلاء الإخوة المسلمون في بلد مسلم كبير، بلد ضخم، إخواننا في باكستان، وإخواننا في بنجلاديش دولتان كبيرتان انفصلتا عن الهند لتقيم الإسلام، وكانت بنجلاديش من قبل تابعة لباكستان، باكستان الشرقيَّة، وباكستان الغربيَّة، انفصلت باكستان الشرقيَّة وسمَّت نفسها بنجلاديش، وهؤلاء فيهم حكومات قريبة من الإسلام، وحكومات بعيدة عن الإسلام، الشعب مسلم لا يريد إلَّا الإسلام، وحينما انفصل عن الهند الكبرى انفصل كي يقيم الإسلام، ولكن حكومة حزب (رابطة عوامي) ابتعدت بالشعب عن شريعة الإسلام، عن شريعة القرآن، عن شريعة محمَّد ﷺ، تريد أن تبتعد بالشعب عن الصِّراط المستقيم، صراط الحق الَّذي هداها الله إليه، ولبعدها عن العالم العربي تظن أنَّها بعدت عن العالم، وتريد أن تنفرد بهذا الشعب، وتقيم أشياء ما أنزل الله بها من سلطان.

ونحن نقول لهؤلاء: ثقوا أيُّها القوم أنَّ الأمَّة ليست بعيدة عنكم، ولا غريبة منكم، أنتم من الأمَّة، وهي منكم، لا يجوز أن تبتعدوا عن الأمَّة، لا يجوز أن تغربوا هذه الأمَّة عن الإسلام، الإسلام هو حياتكم، وهو حياة الأمَّة، ولا حياة للأمَّة إلَّا بهذا الدين، أمَّا أن تبتعد هذه الحكومة بشعبها عن طريق الإسلام، وتمشي في الطريق العلماني الَّذي

QaradawiBooks.com

لا يعترف بالإسلام تشـــريعيًّا، ولا يعترف بالإسلام أخلاقيًّا، ولا يعترف بالإسلام توجيهيًّا فهذا ما نرفضه.

اعتقل هؤلاء أحد الرجال الإسلاميِّين الكبار البروفيسور غلام أعظم، من أعظم شـــخصيَّات بنجلاديش، وهو رجل بلغ تســـعة وثمانين عامًا، ويعيش على كرســـي متحرك، ويعيش على أدوية مستمرَّة، اعتقلوه وهو لا يقدر على أن يعيش حياة الاعتقـــال، ظلم هؤلاء هذا الرجل، وأخذوه بغير حق، وأخذوه إلى السجن، وعاملوه معاملة غير كريمة.

نحن ننادي حكومة بنجلاديش أن تتَّقي الله في رعاياها، أن تتَّقي الله فيما اؤتمنت عليه، أن تتَّقي الله في هذا الإسلام العظيم، عليها أن ترعى هذا الشـــعب وحقوق أبنائـــه، وتفرج عن هذا الرجل غـــلام أعظم الَّذي عرفناه من خير المدافعين عن الإسلام وعن أمَّته.

تتهمه أنَّـــه كان ضد الانفصال، كل النَّاس كانـــت ضدَّ الانفصال، كل النَّاس كانوا يريدون أن تظلَّ باكستان بلدًا واحدًا بدل أن تكون بلدين، هل يحاسبونه على رأيه؟ هؤلاء النَّاس لا عقل لهم، ولا ضمير لهم، ولا ذمَّة لهم، نحن نناديهم أن يتقوا الله، أن يعدلـــوا في قومهم، وأن يخرجوا هذا الرجل من معتقله، وإذا حاكموه يحاكموه محاكمة عادلة، وليست محاكمة ظالمة، يسلقونها سلقًا ثمَّ يأخذونه ليقتلوه، لماذا تقتلون هذا الرجل، ماذا قتل حتَّى يُقتل؟ ماذا عمل حتَّى يُحكَم عليـــه بغير حقٍّ، هذا ما ننادي به إخوتنا في بنجلاديش، ونســـأل الله تعالى أن يلهمهم الرُّشـــد، ويلهمهم الصواب، ونســـأل الله أن يجمع كلمة الأمَّة على الهدى، ونفوســـها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل؛ إنَّه سميع قريب.

* * *

QaradawiBooks.com

٨

الأمومة والأُبوَّة في القرآن(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نتحدث عما اشتمل عليه القرآن من موضوعات، وقد اشتمل على آلاف الموضوعات: في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والاجتماعيات، والسياسيات، والاقتصاديات، ونتحدث اليوم عن موضوع (الأُمومة والأُبوَّة في القرآن)، بمناسبة ما احتفل به النَّاس منذ يومين بما يسمُّونه (يوم الأُمِّ).

يوم الأُمِّ:

اخترع النَّاس شيئًا سموه (يوم الأُمِّ)؛ لأنَّ العالم الغربي نسي الآباء، ونسي الأُمَّهات، ونسي الأسرة، وعاش كل إنسان لنفسه، فأحيانًا يترك الأُمَّ وحدها، وعندها أولاد، وعندها أحفاد، ولكنَّها تعيش في شقَّة وحدها في مدينة لا يعرفها أحد، إلَّا في يوم من السنة يسمونه (يوم الأُمِّ)، قد يحضر ليزور أمه، وقد يرسل إليها بهدية حتَّى لا يحضر لها.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ مارس ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد ماتت إحدى الأُمَّهات، ولم يعــرف جيرانها بموتها حتَّى بدأت رائحتها تظهر، وشمَّ النَّاس رائحة سيئة فأبلغوا الشرطة، فجاءت الشرطة وفتحت الباب، فوجــدت المرأة ميتة، وقالوا: إنَّهــا ماتت من عدَّة أيام. ولمَّا بحثوا عنها وجدوا لها أبناءً وبناتٍ وأحفادًا وحفيدات، ولهذا جعلوا يومًا للأم.

ولكن الإسلام اعتبر عمر الأُمِّ كله أيامًا لها، لا يجوز أن تجعل لأمك يومًا في السنة، ثمَّ إنَّ تخصيص يوم للأم يجعل النَّاس يتذكرون أمهاتهم اللاتي متن أو فُقِدن، فيكون هذا يوم شــؤم وحزن عليهم، مَنْ لا أم له، مَنْ طُلِّقت أمه من أبيه وتزوَّجت رجلًا آخر، أو لم تتزوَّج وعاشــت في بيت أبيها أو في أي بيت، ماذا يفعل هؤلاء الأبناء؟!

الأُمومة في القرآن:

لهذا نرى أنَّ موقف الإسلام هو الموقف العظيم، إنَّه يهتم بالأُمَّهات كما يهتم بالآباء، وأول أبٍ، وأول أُمٍّ ذكرهما القــرآن الكريم هما الأب الأول، والأُمُّ الأولــى: آدم، وزوجه حــواء عليهما السلام، الله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]. هؤلاء ـ بنو آدم، وبنو حواء ـ ينبغي أن يكونوا إخوة متحابين، لا متباغضين ولا متقاتلين.

أم موسى عليه السلام:

ثم يُذكِّر الإســلام بالأُمَّهات العظيمات، ذكَّرنا القرآن بأُمٍّ لها منزلتها عند الله، ومنزلتها عند الناس: أم موســى عليه السلام، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، لــم يذكر القرآن أبا موســى، ولم

QaradawiBooks.com

يحدِّثنا عنه، لكن حدَّثنا عن أم موسى، هي الَّتي حملت همَّه منذ وُلد في عهد فرعون، الَّذي أقسم أن ينتقم من بني إسرائيل؛ ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

ولمَّا وُلِد موسى خافت عليه أمه أن يقتله فرعون، وألهمها الله عن طريق الوحي بهذا الإلهام: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وفعلًا استجابت الأُمُّ لهذا الإلهام الإلٰهي، وصنعت لرضيعها صندوقًا، وألقته في نهر النيل، ولا تعرف: أين يذهب هذا الصندوق؟ ويشاء الله تعالى أنَّ الَّذي يلتقط هذا الصندوق هو فرعون الَّذي يُذبِّح الذكور، ويستبقي النساء لخدمته والعمل عنده، وعند بني جنسه.

وذهب فرعون ليرى هذا الطفل الَّذي جاءه؛ ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، فأراد فرعون أن يقتله، فقالت امرأة فرعون، وهي امرأة صالحة آمنت بموسى فيما بعد، وكان لها ما تحدثنا عنه في الأسبوع قبل الماضي، وقالت له: ليس عندنا أولاد؛ فلنتركه لنا، أو لعله ينفعنا في غير ذلك: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]. فحجزت عنه بأس فرعون.

لكن هذا الوليد يحتاج إلى غذاء، يحتاج إلى رضاعة، يحتاج إلى أم تعطيه صدرها، وتعطيه ثديها، وقالت أم موسى لأخته: ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]. تتبَّعي أثره، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١]، فوجدته عند فرعون، فعرضت على إحدى جواريه أو خادماته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]. ففرحوا بهذا.

وهيَّأ الله لموسى أن يرجع إلى أمِّه، بقي أيامًا عند فرعون ثمَّ عاد

QaradawiBooks.com

إليها، شاء الله تبارك وتعالى أن تقوم أمه بإرضاعه حتَّى يكبر، ويعود إلى بيت فرعون مرَّة أخرى، هذه أم موسى عليه السلام الَّتي هيَّأها الله لتحفظ هذا الطفل الَّذي قدَّر الله أن يزول على يديه ملك فرعون.

وكيف يزول على يديه ملك فرعون وهو لا يترك هؤلاء الأطفال يعيشون؟ شاء الله سبحانه وتعالى أن يُحفظ موسى بفضل هذه الأُمِّ الفاضلة، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

وهكذا كان للمرأة في حياة موسى دور: أم موسى، وأخت موسى، وامرأة فرعون، كل هؤلاء كان لهن في حياة موسى دور، ووصوله إلى الحد الَّذي أصبح فيه رسولًا من الله إلى فرعون الَّذي طغى وبغى، وقال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. فجاء موسى عليه السلام ليُعرِّفه قدر نفسه، وليقف به الموقف الصحيح، أنَّه بشر من البشر، ليس ربًّا، ولا إلهًا، هكذا كانت أم موسى عليه السلام.

امرأة عمران أم مريم:

ومن الأُمِّهات الخالدات اللاتي ذكرهنَّ القرآن في كتابه العظيم، وخلَّد ذِكرهنَّ: أم مريم ابنة عمران، وزوجة عمران.

ونحن لا نعرف عن عمران إلَّا اسمه، ذكر لنا القرآن: ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٥]، ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ [التحريم: ١٢]. لكنْ مَنْ هو عمران؟ لا نعرف عنه شيئًا، نعرف امرأة عمران الَّتي قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥].

نذرته ليكون خادمًا للمعبد، ويكون لله مع الصَّالحين من عباده،

QaradawiBooks.com

﴿مُحَرَّرًا﴾، خالصًا لله، مُجرَّدًا له، ليس فيه شركة لأحد، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥]، نذرته لله، وطلبت منه أن يتقبَّل منها نذرها؛ لأنَّه ليس من المهم فقط أن تعمل، ولكن أن يتقبَّل الله منك، قبول العمل هو المهم، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]، كانت تظن أنَّ ما في بطنها ذكر، ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فالذكر يخدم المعبد ويقوم بدوره، ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

انظر إلى الأُمِّ الواعية، الأُمِّ الصالحة الَّتي تُعيذ ذريتها، تعيذهم بالله من كل شيطان رجيم يحاول أن يغري هذه الذريَّة، ويأخذها إلى حيث لا يُحب الله، ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، زكريَّا عليه السلام، كان نبيًّا في ذلك الوقت، وكان زوج خالة المسيح عليه السلام، فكان يرعاها، ويدخل عليها المحراب، و﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، في الصباح، وفي الظهيرة، وفي المساء يجد عندها هذا الرزق، فتعجب ممَّا رأى، وسألها: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، من أين لك هذا؟ مَنْ الَّذي يأتيك بهذا الرزق؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، لا يحاسب أحدًا، ولا يحاسبه أحد في ذلك، ولا يأتي هذا الرزق بناء على تنظيمات وترتيبات معيَّنة من عند هذا الوزير، أو هذا الأمير، أو هذا الإنسان الصالح المرزوق، لا، الله يأتي بهذا الرزق بغير حساب، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ما دام أنَّ الله يرزق بغير حساب، ومن غير ترتيبات، ومن غير أبواب معينة، لماذا لا أطلب من الله ما أحتاج إليه؟ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. فاستجاب الله له، ووهب له

QaradawiBooks.com

يحيـــي، ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمـــران: ٣٩]، هـــذه أم مريم عليها السلام.

غير مرخصة للطباعة

مريم أم المسيح عليه السلام:

ومريم نفسها أمٌّ عظيمة، أم للمسيح عليه السلام، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، ليس له أب، جاء من غير أب، جاء يحيى من أب وأم، أصلح الله له أمه زوجة أبيه زكريا، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

لكن عيسى ليس له أب، جاء من عند الله، اختار الله مريم لتقوم بهذا الأمر الجلل، أن تُنْجب ولـــدًا لا يُعرف له أب، وهـــب الله غلامًا زَكيًّا، أرســـل إليها جبريل عليه السلام، ونفخ فيها مـــن روح الله عز وجل، وحملت بدون نطفة الأب، وجاءت بهذا الولد، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ١٩ ـ ٢١]، الله تعالى يخلق عادة بأسباب، ولكنَّه يخلـــق أحيانًا بغير أســـباب ليري النَّاس أنَّ هذه الأســـباب لا تســـتعبد صاحبها، بل خالقهـــا، ويمكـــن أن يتركها ويخلـــق بدونها، ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۞ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريـــم: ٢٢ ـ ٢٥]، وهكـــذا جاءت بالمسيح عيسى ابن مريم.

ورجعت به إلى قومها، ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]،

QaradawiBooks.com

افتريت علينا، كذبت علينا وجئت بهذا الولد، من أين جئت به؟ مَنْ أبوه؟ فسكتت، وأشارت إلى الطفل، ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، تشيرين إلى الطفل لنكلمه! كيف والأطفال في المهد لا يتكلمون؟!

ولكن الله أنطق الطفل: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

هذا هو عيسى ابن مريم، خلقه الله من غير أب، وأنطقه في المهد صبيًّا، بأنَّه عبد لله، ونبيٌّ من الأنبياء، ومبعوثٌ بالصلاة والزكاة، والبر بوالدته، وبكذا وكذا، هذه معجزة من المعجزات لم تذكرها الأناجيل، لم تذكر نطق عيسى في المهد، هذه معجزة قرآنية إسلاميَّة، ومثلها أنَّه كان يصنع من الطين طيرًا، وينفخ فيه، فيكون طيرًا بإذن الله، هذه أيضًا معجزة قرآنيَّة لا يعرفها المسيحيون.

كانت أم المسيح عليها السلام أمًّا عظيمة من أعظم الأُمَّهات، ولكنَّها لم تكن إلهةً، ولا تستحقُّ العبادة، كما ظنَّ بعض المَسيحيِّين أنَّها مؤلَّهة، وقاموا بعبادتها!

الله تعالى يقول: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥، ٧٦]. ومَنْ يأكل الطعام يحتاج إلى إفراز وإخراج، فليس مَنْ يأكل الطعام بإله، ولا ابن إلٰه، ولا ثلث إلٰه، وليس له بالألوهيَّة أي صلة، فهذه أمٌّ عظيمة ذكرها القرآن الكريم.

QaradawiBooks.com

الأُبوَّة في القرآن:

وكما ذكر الله لنا هذه الأُمَّهات في كتابه لتكون مثالًا لنا، نرنو إليه، ونقتبس النور منه، ونجعله في حياتنا عظةً وعبرةً: هيَّأ لنا أيضًا بعض الرجال ليكون عبرة للناس، نستفيد من حياتهم، ونأخذ قدوة من أخلاقهم.

نموذج عباد الرحمن:

من ذلك نموذج عباد الرحمن الَّذين ذكر الله لنا عنهم أنَّهم يقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. هؤلاء آباء يدعون ربَّهم: اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا، وتنشرح به صدورنا، وتبتسم له ثغورنا، وتطمئن إليه قلوبنا، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، اجعلنا نحن أئمة للمتَّقين، أن نكون أسوة لغيرنا، يقتدي بنا غيرنا، هذه هي الإمامة الحقيقيَّة، الإمامة للمتقين، لا أن تكون إمامًا للفجار، ولا إمامًا للكذَّابين، أو إمامًا للمنافقين.. لكل مجموعة من النَّاس إمام، ولكن المهم إمامة المتَّقين، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

هؤلاء الآباء هم نِعْم الآباء الَّذين يحاولون أن يكونوا لأبنائهم خير الناصحين، وخير المُعلِّمين، فالأب النابه هو الَّذي يكون مُعلِّمًا لابنه، يُعلِّمه الأدب، ويُعلِّمه مكارم الأخلاق، ويُعلِّمه كيف يتعامل مع أمِّه؟ وكيف يتعامل مع إخوته؟ وكيف يتعامل مع جدِّه وجدَّته؟ وكيف يتعامل مع أبناء أقاربه؟ وكيف يتعامل مع جيرانه؟ وكيف يتعامل مع أصدقائه؟ وكيف يتعامل مع أساتذته في المدرسة؟ يعلمه كيف يتعامل مع النَّاس

QaradawiBooks.com

جميعًا؟ هـذا ما يفعله الآبـاء الصَّالحون، والأُمَّهـات الصَّالحات أيضًا يشاركن الآباء في تعليم أبناءهن وبناتهن.

هؤلاء الآباء والأُمَّهات هم الَّذين يحفظون المواريث الأخلاقيَّة الَّتي تتناقلها الأمم، أجيـالًا وراء أجيال، بعضهم مـن بعض، لا يعيش جيل بالأخلاق وحده، ولكن يشـرك الأجيال معه فيها، كل جيل يشـرك مَنْ بعده، وبهذا تسـتمر الأخلاق، وتسـتمر الفضائل، وتسـتمر المواريث الأخلاقية، لا تنفصل بعض الأجيال عن بعض.

انفصال الأجيال الجديدة عن الأجيال الكريمة:

وإنَّما تفسد الأمم حينما تنفصل أجيال فيها عن الأجيال الكريمة العليا الَّتي تُورِّث الطيِّبات من كل شـيء: الأقوال الحسنة، والأخلاق الفاضلة، والتربية العالية، والآداب الراقية، هذه الأشـياء كلهـا يتوارثها الآباء عن الأبناء، والأحفاد عن الأجداد، واللاحقون عن السابقين، هكذا تهتم الأمم الحيَّة بمواريثها الفاضلة، والأساس في ذلك هم الآباء والأُمَّهات.

لا بد أن نأخذ ما عند الآباء والأُمَّهـات من فضائل، من مكارم، من قيم، من شـيم عالية، لا بدَّ أن نأخذها وإن كلَّفتنا.. هـذه القيم العالية، والآداب الرفيعة، والمُثل العليا تُكلِّف الأمم كثيرًا، لا ينبغي أن نرفضها لأنَّها تتطلَّب منا عزيمة صادقة، ونيَّة صالحة، بل ينبغي أن تحرص عليها كل الأمم، وكل الشعوب، تعض عليها بالنواجذ، أشياء مهمة جدًّا ينبغي أن يتوارثها الناس، ويحرصوا عليهـا، جيلًا بعد جيل، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. هكـذا وصف الله الأجيال: كيف يكون حالها بعضها مع بعض؟

QaradawiBooks.com

شكر النعمة:

ويقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾: حتَّى النِّعمة على الوالدين تعتبر نعمة على الأولاد، إذا كان أبوك في خير، وفي سعة، فهذا يكون نعمة عليك، إذا كان أبوك قد تزوج امرأة صالحة فستكون هذه المرأة الصالحة أمك، فهي خير عليك، إذا أنجب لك إخوة صالحين كلهم يعينونك على الخير، ويدعونك إلى الصلاح، فهذه نعمة عليك أيضًا، فالنعمة على الوالدين تُعتبر نعمة على الأولاد.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: فليس المهم أن تعمل صالحًا فقط، ولكن صالحًا يرضاه الله، صالحًا خالصًا لله، ليس فيه رياء، وليس فيه نفاق، ولكنَّه لله ﷻ.

الدعاء بصلاح الذريَّة:

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾: فكما أنَّك حمدت الله على ما كان عند والديك من نِعَم فاحمد الله على أن آتاك ذريَّة، ولكن ادعُ الله أن تكون هذه الذريَّة صالحة، فليس المهم أن يكون عندك أولاد، فقد يكون عندك أولاد، ولكنَّهم يقذفون بك إلى النار، والعياذ بالله، ولهذا ينبغي أن يكون عندك وقت لحسن تأديب أولادك، وحسن تربيتهم، أن تأخذهم إلى الصراط المستقيم، أن تُجنِّبهم طريق الجحيم، أن تُجنِّبهم

QaradawiBooks.com

غايات الشياطين من الجن والإنس، ابعد بهم عن هذا الطريق، حافظ على هذه الذرية.

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: تقول صادقًا: أنا يا رب تائب إليك، راجع إليك، أذنبت ولكنِّي تُبتُ إليك، كل إنسان يُذنب، «**كلُّ بني آدم خطَّاء، وخيرُ الخطَّائين التوَّابون**»[1]، ليس هناك أحد يستعصي على الشيطان، كل إنسان يكسب منه الشيطان شيئًا هو عند بعض النَّاس قليل، وعند بعضهم كثير، وعند آخرين أكثر، فالمُوفَّق هو مَنْ جعل حظَّ الشيطان منه أقلَّ القليل، حتَّى إنَّه ليطرده، فلا يستطيع أن يأخذ منه شيئًا.

﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: يفخر ويعتز بأنَّه من المسلمين، يمكن أن يقول البعض: وماذا في أن يقول المرء: أنا من المسلمين؟ لا، بل هو يقول ذلك صادقًا، معتزًّا مباهيًا، مفاخرًا: أنا من هذه الأمَّة، أمَّة الإسلام، أمَّة القرآن، أمَّة مُحَمَّد ﷺ. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]،

هكذا ينبغي أن يكون المسلم الَّذي يعتز بآبائه الكرام، إذا كان له أب صالح، أو جد صالح فإنَّه يعتز بهذا الصلاح، يأخذ منه أسوة، ويسير على ما سار عليه أبوه، كما قال الشاعر:

إنَّا وإن كَرُمَتْ أوائلُنا ... لسنا على الآباءِ نتَّكلُ
نسعى كما كانت أوائلُنا ... تسعى ونفعلُ مثل ما فعلوا[2]

(١) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

(٢) هو المتوكل الليثي. انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٣٦٥/٢)، نشر دار القلم، بيروت.

QaradawiBooks.com

نفعل مثلما كانوا يفعلون إذا كانوا طيِّبين، وإذا كانوا غير ذلك سرنا وحدنا، ولم نعتمد عليهم، هكذا يكون الأبرار الصالحون.

الأرحام القريبون والبعيدون:

هذه هي المهمَّة الَّتي جاءنا بها القرآن: أن نأخذ العبرة من أولياء الله، ووليات الله، من الأُمَّهات الصَّالحات الخالدات، والآباء الصَّالحين الخالدين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

ما أجدر كلمة الأرحام هنا أن تكون هي الأرحام الإنسانية البشرية الآدمية، هناك أرحام قريبون: أخوك وأختك، وابن عمك وبنت عمك، وابن خالك وبنت خالتك، وهناك أرحام بعيدون، أرحام إنسانيَّة، وهذه الآية تتحدَّث عن الأب الأول، والأُمِّ الأولى، عن آدم وحواء، وعما بث منهما من رجال ونساء، كلهم أرحام بعضهم لبعض، كما قال الشاعر:

إذا كَانَ أَصْلِي من تُـرَابٍ فكُلُّها بـلادي، وكلُّ العالَمِينَ أقاربي[1]

فهؤلاء هم أقاربُك، وهم أرحامُك؛ فارعَ هذه القرابة، وصِل هذه الأرحام، وأعطها حقَّها، واسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في هذه القرابة، وفي هذه الأرحام الإنسانيَّة، حتَّى تأخذ ما لها، وترعى ما عليها.

اللهم هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، واغفر لنا؛ إنَّك أنت الغفور الرحيم، ادعوا الله يستجب لكم.

* * *

(١) من شعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، كما في وفيات الأعيان (٢٤٤/١)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

واجب العون لأهل سوريَّا:

أوَّل ما أوصيكم به: ما أوْصى به الإخــوةُ الَّذين يطلبون المعونات المالية، والمساعدات المادية لإخوانهم في ســوريا، إخواننا في سوريا الَّذين بدؤوا في الســنة الثانية لمرحلة جهادهم مــع الطغاة والجبابرة، الَّذين لا يخشون خالقًا، ولا يرحمون مخلوقًا، بشَّار الأسد ومَنْ معه من الزبانية ممَّن أعمى الله بصائرهم، وطمــس على أعينهم، وأبقى قلوبهم على الضلال.

بقي هؤلاء يظلمون الناس، ويبغــون في الأرض بغير الحق، في كل يوم يقتلون مقتلة، ويجزرون مجــزرة بالثمانين، والتســعين، وبالمائة، وما هو أكثر، كل يوم يقتلون الكثير، حتَّــى صار القتلى أكثر من ثلاثين ألفًا، وما يكشــف عنه الغد أعظــم، قد نجد أناسًــا مدفونين ولا نعرف عنهم، فهؤلاء النَّاس جبابرة، لا يخشون الله، ولا يخشون أحدًا.

هؤلاء المجاهدون ضد هذا الطغيان والاســتكبار صار لهم اثنا عشر شهرًا، وبدؤوا في الشهر الثالث عشر، في الأســبوع الماضي ذهبنا إلى القاهرة لنحتفل بمرور اثني عشر شــهرًا على ثورة سوريَّا، ولا يزال هذا الشعب صابرًا على ما ابتلاه الله به، لا يزال صابرًا على جبروت هؤلاء، معهم جيش كبير جاء بأموال الشعب، هذا الشعب يُضرب الآن بالجيش الَّذي دفع فيه أمواله، يُضرب في كل مكان، تُهدَّم بيوته، تُخرَّب المنازل العامرة، يُضْــرَبُ النَّاس بالمدافع الكبيــرة، وبالراجمات، وبالصواريخ،

QaradawiBooks.com

وبالبوارج الحربية، وبالطائرات، يُضرَب هذا الشعب بالجيش كلِّه برًّا، وبحرًا، وجوًّا، ولم يسجد الشعب إلَّا لله، لم يحنِ ظهره إلَّا لله، لم يقل: انتهيت. لا، لم ينتهِ، لا زال مُصرًّا على الصمود والمقاومة.

ومن حقِّ هذا الشعب علينا أن نسانده، ندفع له من أموالنا ما استطعنا، ادفع لهذا الشعب من زكاتك، فهو يستحق أن يأخذ منها، لأنَّه لا يجد القوت، ثمَّ هو يجاهد في سبيل الله، ثمَّ هو غارم، وهو ابن سبيل، وهو فقير ومسكين، فهو يستحقُّ الزكاة من أكثر من جهة، فادفع له من الزكاة.

وادفع لهذا الشعب من الصَّدقات، فليس هناك صدقة يضاعف الله أجرها مثل هذه الصدقة الَّتي تُدفع لهؤلاء المجاهدين المقاتلين في سبيل الله، تملأ بطن أحدهم، أو قليلًا من بطنه، تغطِّي عورة أحدهم، تُهيِّئ له أو لزوجته أو لأطفاله، لأبنائه وبناته وأحفاده من أمرهم يسرًا، ادفع لهؤلاء من الزكاة، ومن الصدقات.

وادفع لهذا الشعب من أموال الوصايا، هناك أناس أوصى آباؤهم أو أجدادهم وصايا للخير، فهؤلاء يستحقون منها، وادفع من الأوقاف، وادفع من الأموال الَّتي فيها شبهة، إذا كانت عندك أموال مُحرَّمة ادفع منها، أحيانًا يكون عند بعض النَّاس أموال تأتيهم فوائد من البنك، هذه الفوائد لا تأخذها لنفسك، ولكن ادفعها لهؤلاء، هي حرام عليك، وليست حرامًا عليهم، فادفع لهم ما استطعت.

ادفعوا من أجل هؤلاء الإخوة في سوريَّا، ادفعوا إلى الَّذين يطلبون منكم مساعدتهم، سواء في الصناديق أو غير الصناديق، هذا ما أوصي به أولا.

QaradawiBooks.com

التصويت في الانتخابات المصريَّة:

وهناك أمر آخر: سألني بعض الإخوة ـ هنا في قطر ـ من المصريِّين الَّذين لهم حق التَّصويت، وسيُطلب منهم التَّصويت في انتخابات الرئاسة في الأيام القادمة، وسألني إخوة كذلك حينما كنت في مصر: لِمَن أعطي صوتي؟ وهذا سؤال مشروع، وارد، فكل إنسان يحب أن يعطي صوته لمن يستحق هذا الصوت.

وأنا أحب أن أقول أيُّها الإخوة: الأصل في الانتخاب أنَّه شهادة من الفرد لمن يصلح أن يكون مُنتَخَبًا، فأنت تقول: هذا الشخص هو أصلح المرشحين لينوب عني. كما يقول الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]. هذا أمر من الله، فالشهادة واجبة، ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فلا يصح أن تبتعد عن الشهادة.

ربما كان ذلك ممكنًا في الزمن الماضي لأنَّهم كانوا يُزوِّرون شهادات الناس، فما كان النَّاس يسألون عنهم، ولا يذهبون، إلَّا خمسة أو ستَّة في المائة، (٥٪ أو ٦٪)، لكن النَّاس الآن بعد ثورة الحُرِّيَّة تذهب لتعطي صوتها، لأنَّهم أحسوا أن لصوتهم قيمة وأهمية.

اختيار القوي الأمين:

ومن هنا اختر الشخص الَّذي تستطيع أن تشهد أمام الله أنَّه خير الَّذين يُمثِّلونك، إذا كان الانتخاب لمجلس الشعب فاختر أحسن مَنْ يمثِّلك في هذا المجلس، ونحن الآن في انتخابات الرئاسة فاختر أحسن مَنْ يصلح رئيسًا لجمهوريَّة مصر العربيَّة، لا بدَّ أن يكون هذا الشخص أهلًا لاختيارك، أن يكون قويًّا أمينًا، كما قالت ابنة الشيخ الكبير: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

QaradawiBooks.com

ومعنى قوي: أي قادر على عمله، عنده من العلم، ومن الخبرة، ومن التجارب ما يُؤهِّله أن يكون في هذا الموضع، ومعنى أمين: أي أن عنده من التَّقوى ما يخشى به الله، ويؤدِّي فرائضه، ويؤدِّي واجباته، بحيث يكون أمينًا على الناس، أمينًا على الأموال، أمينًا على الأعراض، أمينًا على المُمْتلكات، أمينًا على كل شيء، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، فابحث عن الشخص القوي الأمين.

اختيار الحفيظ العليم:

وكما قال سيِّدنا يوسف لملك مصر: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. أنا أستطيع أن أكون على خزائن الأرض، وأُحسن التصرف فيها؛ لأني حفيظ عليم، حفيظ: أي أمين أستطيع أن أحفظ الأمانات، ولا أضيِّع منها شيئًا، وعليم: أي عندي خبرة بما أقوم به.

ولهذا عليك ـ أيُّها الناخب ـ أن تختار الشخص صاحب الخبرة والعلم، وصاحب الخلق والأمانة الَّذي لا يُفرِّط في حقوق الناس، ولا في أموال الشعب، اختر هذا الشخص، أمامك أناس يُسمَّون إسلاميِّين، يدعون إلى الحل الإسلامي، مرجعيتهم إسلاميَّة، فهؤلاء أولى من غيرهم ممَّن يقول: أنا لا أدعو إلى الإسلام، أنا أدعو إلى الليبرالية، أدعو إلى العِلْمانيَّة. لا.. بل اختر مَنْ يختار الإسلام، فهذا واجب عليك، اختر مَنْ تعرف أنَّه صادق، فربما وجدت مَنْ يقول: أنا أريد الإسلام. ولكن إذا بحثت عنه تجده لا يريد الإسلام، بل يريد الضحك على الناس، يريد الكذب على الناس، فلا بد أن تطمئن أنَّه يريد الإسلام فعلًا، وهل هو يفهم الإسلام أم لا؟ فلا بد أن تطمئنَّ إلى هذا أيضًا، هل الشخص الَّذي يدَّعي هذا يفهم الإسلام، ويعرف حقيقته أم لا؟ ما هو الإسلام الَّذي

QaradawiBooks.com

يدعو إليه: هل هو إسلام شـــامل، هل هو إسلام وســـطي، أم هو إسلام عنيف يريد أن يقاتـــل الناس؟ لا، بل لا بدَّ أن يكون الإســـلام الصحيح الَّذي جاء به مُحَمَّد ﷺ، لا بدَّ أن تطمئن إلى هذا، وتسأل في ذلك أهل العلم، تقول: هذا ينادي بالإســـلام، ويقول كذا؛ فهل هذا صحيح؟ اسأل العلماء، اسأل الدعاة، اســأل الخبراء العارفين، لا بدَّ أن تطمئن على هذا.

إذا وجدت إســـلاميِّين حقيقيين؛ فأيهم تختار؟ اختر أفضلهم، الَّذي يكون أكثر حرصًا على الناس، أكثر قبولًا عند الناس، أكثر تيســـيرًا على الناس، أكثر مقربـــة من الناس، أكثر فهمًا للإســـلام، أكثر تحريضًا على الخير، أن تقارن بين النَّاس بعضهـــم وبعض هذا هو عمل الَّذي ينتخب من بين الناس، هو الَّذي يختار، هو المسؤول عن هذا.

بعض النَّاس يقولون: إذا وُجِد عندنا إســـلامي وغير إسلامي نختار غير الإسلامي. لا، هذا لا يجوز، إلَّا إذا كان في اختيار الإسلامي خطر، كما قال بعض الناس: نحن نخشـــى أن يأتي مَنْ يقـــول لنا: أنتم أخذتم مجلس الشعب، ومجلس الشورى، ورئاسة الحكومة، وستأخذون الرئاسة أيضًا، ويُخشـــى أن يكون في هذا خطر على البلد مـــن المتربصين بها، فنحن نختار واحدًا لا يكون إسلاميًّا.

فإذا كان هذا حقيقيًّا فعلًا، فلا مانع من أن نختار واحدًا غير إسلامي، لكن يكون قريبا من الإسلام، ولا يكون ضد الإسلام، هذا وارد.

ولكن الَّذي رأيناه في مصر أنَّ النَّاس لا يخافون من الإسلاميِّين، فلم يعد الإســـلاميُّون يخيفون الناس، أصبحوا قريبين مـــن الناس، عاملهم النَّاس وعرفوا أنَّهم طيبون، وعلى أخـــلاق كريمة، وعلى آداب صالحة، وعلى قيم عليا، فلم يعد النَّاس يخافون من الإسلاميِّين.

QaradawiBooks.com

فأنت ـ أيُّها الأخ المسلم ـ المسؤول عن صوتك، فضعه حيث ترى أنَّه مَرْضِيٌّ عند الله، لا تخشى أن يسألك الله: لماذا اخترت هذا؛ كان هناك مَنْ هو أفضل منـــه؛ لأنَّه كذا وكذا؟ لا بدَّ أن يكـــون عندك جواب لكل سؤال يسألك الله عنه، أو تسألك الملائكة عنه، حضِّر للسؤال جوابًا.

هذا ما أفتي به إخواني هنا في قطر من المصريِّين، وإخواني في مصر من المتسائلين، أن يختاروا مَنْ هو أقرب إلى أداء الأمانة المطلوبة منه، مَنْ هو أكثر فهمًا وتقديرًا لمسؤوليَّة الرئيس القادم، هناك أناس أكثر فهمًا من أناس، وأكثر قُربًا من الشـــعب من أناس، وأكثر حرصًا وإشفاقًا على الضعفاء من النـــاس، يفهمون هذه القضيَّة جيدًا، ويشـــفقون على النَّاس بالفعل، لا بدَّ أن تراعي هذه الأمور كلها.

أســـأل الله تبارك وتعالى أن يُوفِّق أمتنا إلى ما فيـــه الخير، وأن يُهيِّئ لهم من أمرهم رشدًا، وأن يختار لمصرنا العزيزة خير مَنْ يُمثِّلها، وخير مَنْ يحرص علـــى أبنائها وبناتها، وعلى حقوقهـــم، وعلى حُرماتهم؛ إنَّه سميع قريب.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٩

علاقة الأبناء بالآباء في القرآن الكريم(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نعمل ونخطب ونتحدَّث حول القرآن الكريم، حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الموضوعات الَّتي يتحدَّث عنها، ويتحدَّث فيها، ويفصل فيها القرآن الكريم، تحدثنا في الجمعتين السابقتين عن علاقة الآباء والأُمَّهات بالأبناء والبنات، علاقة الوالدين بالأولاد في القرآن الكريم، ونتحدَّث اليوم عن علاقة الأولاد بوالديهم في القرآن الكريم، عن علاقة الأبناء والبنات بالآباء والأُمَّهات، كيف عرض القرآن لهذه القضيَّة؟

يهتمُّ القرآن بكلِّ موضوعٍ يبحث عنه، ويُوَسِّع معانيه وآفاقه، ويصله بالأنفس والضمائر، ويصله بالقيم والمبادئ، بالإيمان وبالأخلاق.

حقيقة البنوَّة:

وموضوع العلاقة بين الأبناء والبنات والآباء والأمهات موضوع مهم، يبدؤه القرآن من حيث كيف تكون الأبوة والبنوة؟ لأن بعض النَّاس

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٣ أبريل ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يظنون أنَّه يكفي أن يقول الإنسان: هذا ابني. فيصبح ابنًا له بالتبني، هكذا كان الأمر في أمم كثيرة قبل الإسلام، الجاهليات المعروفة في العالم كانت تعتبر التبنِّي بمنزلة البنوَّة، من تبنَّى إنسانًا فهو ابنه، يتعامل مع زوجته ويتعامل مع بناته، ويتعامل مع أخواته، ويتعامل مع هؤلاء جميعًا كأنه من الحقيقة المعروفة للبنوة ومقتضياتها، وهذا ليس بصحيح!

ولذلك جاء القرآن يقول: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤، ٥].

وأراد القرآن أن يحقق هذا الأمر ويثبته عمليًّا فجعل الرسول ﷺ، هو الَّذي يتعرض لهذا الأمر، كان الرسول قد تبنَّى زيد بن حارثة في الجاهليَّة، وأصبح يُعرف بزيد بن محمد، وجاء زيد وتزوج زينب بنت جحش: ابنة عمة النبي ﷺ، وأراد الله تعالى لرسوله أن يتزوج زينب: امرأة زيد بن حارثة، ولم يكن هناك وفاق بين الزوجين قبل ذلك، ونزل القرآن الكريم يبين هذا الأمر: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

كان لا بدَّ أن يجري هذا على مُحَمَّد ﷺ، وكان هذا أمرًا شديدًا جدًّا على نفس الرسول ﷺ، ولكنَّه فعله ليبيح للمسلمين أن يتزوَّجوا زوجات أولادهم من التبني، الَّذين ليسوا من أصلابهم، أمَّا زوجات الأبناء من

QaradawiBooks.com

أصلابهم فهي محرمة عليهم، قال تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣]. فهؤلاء من صلبك، لكن هذا ليس من صلبك، هذا جاء بمجرد كلام، والكلام لا يخلق الحقائق، الحقائق تخلقها وقائع، فلا بد أن تكون البنوَّة ثابتة.

التساهل في مسألة التبني:

يمكن أن تأخذ من الملجأ أو حتَّى من الطريق ولدًا، لا يُعرف له أب ولا أم، وتضمه إلى نفسك وتطعمه وتكسوه وتعلِّمه وتربيه، ولكن هذا لا يجعله ابنك حقيقة، هب له من مالك وأعطِه ما تعطيه، ولكن لا تنسبه إلى نفسك، حيث يعامل زوجتك على أنَّها أمه، وهي ليست أمه، وابنتك على أنَّها أخته، وهي ليست أخته، فلا بد أن تثبت البنوَّة الحقيقيَّة بنِكاح صحيح، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

بعض النَّاس يتساهلون في هذا الأمر، ثمَّ يكتشفون هذا، وتصبح مصيبة عندهم، حدثني أحدهم أنَّه كان سفيرًا، وتبنى ولدًا وبنتًا، وكانت امرأته لا تنجب، وجاء إلى أهله وأخبرهم أنَّه أنجب وهو مسافر في أمريكا، وأصبح بعد ذلك يقول: ماذا أفعل؟ ماذا أقول لأهلي؟ مصيبة كبيرة، فلا بد أن تثبت البنوَّة الحقيقيَّة.

الحقوق المُتَعَلِّقة بالبنوَّة:

وإذا ثبتت البنوَّة الحقيقيَّة؛ فلا بد أن تثبت وراءها الحقوق والواجبات المتعلقة بها، كل ابنٍ لا بدَّ أن يبرَّ أباه، ولا بدَّ أن يبرَّ أمه، ولا بدَّ أن يصل رحمه، ولا بدَّ أن يؤدي الحقوق إلى أهلها، من كان له أمٌّ

QaradawiBooks.com

برَّ أمه؛ كما فعل المسيح عليه السلام، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، ومن كان له والدان برَّ والديه كما حكى القرآن عن سيِّدنا يحيى ابن خالة سيِّدنا المسيح عليه السلام، قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]. ومن كان له والد برَّ والده، ومن كان له والدة برَّ والدته، ومن كان له خالة برَّ خالته بعد والدته.

وهكذا جاء الإسلام ببر الآباء والأمهات، وشدَّد في ذلك أكثر من تشديد الديانات السابقة.

يحدثنا القرآن الكريم عن بني إسرائيل فيقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]. لم يقل: وبذي القربى. لأنَّ الباء تدلُّ على التأكيد، لكن حينما قال القرآن: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]. أكَّد هنا بالباء في الآية الَّتي يسميها العلماء آية الحقوق العشرة، حقّ الله وتَسَع حقوق للبشر ولغير البشر، لأن ما ملكت أيمانكم تشمل الحيوانات وتشمل حتَّى الجمادات، كل ما ملكت يمينك لا بدَّ أن تُحسن إليه.

وصية القرآن بالوالدين:

القرآن يوصي ببرِّ الوالدين، بعد حق الله سبحانه وتعالى يأتي حق الوالدين، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، فبرُّ الوالدين

QaradawiBooks.com

مطلوب في كل وقت، ولكنَّه أشد ما يكون طلبًا، وأعظم ما يكون التزامًا في حالة الكِبَر والشيخوخة، حين يكون الوالدان أشد تأثرًا بأي كلمة تُقال، بأي نظرة، بأي شيء، لديهم حساسية مفرطة، فلا بد أن تُراعى هذه السن، وتُراعى هذه الحالة.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾، أصبحا عندك، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، حتَّى كلمة (أُفٍّ)، قالوا: لو علم الله أن هناك شيئًا أدنى من (أُفٍّ) لمنعه وحرَّمه. لا تتأفف، لا تُظهر التضجر من والديك في حالة الكبر، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، القرآن يكره الذُّلّ، ويَنْفر ويُنَفِّر من الذُّلّ، ولا يحب الأذلَّاء، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ولكن الذُّل في مقام البنوَّة للأبوة وللأمومة محمود، ليس الذُّل هنا مكروهًا ولا مُنفَّرًا منه.

كما مدح الله الذِّلّة على المؤمنين، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، مدح الذُّل أيضًا للوالدين، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٤، ٢٥]، الأوابون: الَّذين يرجعون إلى الله، كلما أذنبوا ذنبًا أو أحسوا أنَّهم فرَّطوا في حق من حقوق الله: استغفروا الله ﷻ، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

حقوق الوالدين:

جاء الإسلام، وجاء القرآن ليؤكد على حقوق الوالدين، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وصَّى الله بالوالدين وأشار إلى حقِّ الأمِّ، الأمُّ هي

QaradawiBooks.com

الَّتي لها ثلاثة أرباع البِرِّ، «**أمُّك، ثُمَّ أمُّك، ثمَّ أمُّكَ، ثُمَّ أبوك**»[١]، الأبناء عادة أكثر اجتراءً على أمهاتهم، وأكثر جورًا عليهن، وهن أشد حاجة إلى البرِّ من الآباء، ولذلك اشتدت الوصية من الله ورسوله بالأمهات، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، يهتم بأن يَصْلُح أولاده من بعده، ويدعو الله بصلاح هذه الذُّرية.

القرآن يهتم ببر الوالدين، ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، كما تشكر لله اشكر للوالدين.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ [لقمان: ١٥]، كلمة الجهاد هنا تشير إلى أنَّ الوالد يبذل جهدًا غير عادي، يستفرغ فيه وسعه لدعوة ولده إلى الشرك، ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٥]، الطاعة في الشرك مُحَرَّمة، لكن المصاحبة بالمعروف واجبة وإن كفر، وإن أشرك، وإن حاول أن يفتنك، مع هذا صاحبهما في الدُّنْيا بالمعروف، ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]، هذا ما جاء به الإسلام في علاقة الأولاد بالوالدين.

ابن نوح عليه السلام:

وحينما نقرأ القرآن نجد مواقف الأولاد وأولادهم، انظر إلى سيِّدنا نوح عليه السلام، وقد ظل ألف سنة إلَّا خمسين عامًا يدعو قومه ليلًا ونهارًا،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٤٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فلم يزدهم دعاؤه إلَّا فرارًا، ويقول: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]. أي لا نريد أن نرى وجهك، ولا نريد أن نسمع صوتك.

ثمَّ أخيرًا دعا الله عليهم: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]. العَصَا من العُصَيَّة، والحية لا تلد إلَّا حُيَيَّة، كل جيل أسوأ ممن قبله، فلا بد أن تتغير هذه الدُّنْيا، ويأتي أناس جدد، وكان لا بدَّ أن ينفذ الله أمره، وأن ينزل الطوفان؛ فيأخذ هذه الأقوام الَّتي كفرت وطال كفرها!

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، تعال اركب السفينة، سفينة الإنقاذ هي الوحيدة الَّتي ينجو بها الناس، ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣]، سأصعد إلى مكانٍ عالٍ فلا تصيبني المياه، ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]، من لم يركب السفينة غرق ولا بدَّ.

وصعب على نوح أن يغرق ابنه فدعا ربه، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]، هنا عرف نوح قدره، وعرف مكانه، وأعطى لربه حقه، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، هنالك سمح الله له وتركه مع قومه، حتَّى يأتي أوان الله، هذا نوح عليه السلام مع ابنه.

أولاد يعقوب عليه السلام:

ونجد أيضًا سيِّدنا يعقوب مع أولاده، عاملهم معاملة حسنة، ولكنَّه بالغ في حُبِّ أحدهم أو اثنين منهم، أكثر من غيرهم، والقرآن يذكر لنا

QaradawiBooks.com

هذه القصة لنعتبر بها، لنأخذ منها الموعظة، نستفيد منها لحياتنا، فلا يجوز لأبٍ أن يعطي بعض أبنائه من الحب والعاطفة والاهتمام أكثر من إخوانهم فيُشعرهم بالغيرة، ويشعرهم بالغضب، هؤلاء أولاد أنبياء، ولكن حتَّى أولاد الأنبياء تحكم عليهم غرائزهم ودوافعهم النفسية.

ماتت أم يوسف وأخيه بنيامين، فيعقوب معذور إلى حدٍ ما، قيل لأعرابي: أي أولادك أحبُّ إليك؟ قال: صغيرهم حتَّى يكبر، وغائبهم حتَّى يحضر، ومريضهم حتَّى يُشفى. فهذان أصغر أولاده فهو يحبهما أكثر، أمهما ماتت، فهم يستحقون قدرًا من الحب أكثر من الَّذين لهم أمٌّ، وهما اثنان، والآخرون عشرة ما شاء الله (عِزْوة).

ولكن هذا أدَّى إلى أنَّ الأولاد حينما شعروا بأن أباهم يعقوب وهب جُلَّ عواطفه لابنيه الصغيرين، وخصوصًا ابنه يوسف، كانت هناك هذه الغيرة وهذا الحسد، ﴿قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۞ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٨، ٩]، انظروا الأمر وصل إلى حد التآمر على القتل، يريدون أن يتخلصوا من هذا الولد الَّذي أخذ أباهم منهم.

وظلوا يتحايلون على الأب حتَّى يأخذوا يوسف معهم، وفعلًا استطاعوا أن يأخذوا يوسف معهم، وجاؤوا بعد ذلك يقولون: أكله الذئب. ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ۞ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٦، ١٧]، وطبعًا سيِّدنا يعقوب عليه السلام لم يصدقهم، ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، أتوه بقميص يوسف مليئًا بالدم، فنظر إليه وتعجب كيف يأكله الذئب

QaradawiBooks.com

ولا يمس قميصه بسوء، المفروض أن يكون القميص مُقطَّعًا، ولكن كثيرًا ما ينسى المجرمون أشياء بسيطة تدل على جُرمهم، وكان من أمر يوسف ما كان، سنتحدث عنه حينما نتحدث عن الإخوة في القرآن كيف يتعاملون بعضهم مع بعض؟

كل ما نريد أن نبينه هنا أن أباهم يعقوب عليه السلام ظلَّ يذكر يوسف حتَّى ذهبوا إلى مصر في أيام القَحْط، وقابلوا يوسف، وطلب منهم أن يأتوا له بأخٍ لهم من أبيهم، وهم لم يعرفوه طبعًا؛ لأن شكل الإنسان يتغير من الصغر إلى الكبر، هو يتذكر شكلهم لأنَّهم كانوا كبارًا؛ لكن شكله تغير، ولم يخطر ببالهم أن يأتي يوسف إلى مصر، ثمَّ يكون هو عزيز مصر.

وذكَّرهم أبوهم بما كان من قبل، وهم تذكروا ما كان من قبل، وسمح لهم أن يأخذوا بنيامين معهم، وعاهدهم أن يحافظوا عليه، وهم تعهدوا بذلك، ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، وأخذوا بنيامين، وحدث ما حدث هناك، وقالوا ليوسف: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٨، ٧٩]. فعرفوا أنَّه لا فائدة، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ٨٠ ـ ٨٣].

QaradawiBooks.com

بل سولت لكم أنفسكم:

لم يكن يعلم الغيب، قال في المـرَّة الأولى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨]. وكان تسـويل النفس صحيحًا، أمَّا هذه المرَّة فلم يكن صحيحًا، ما سولت لهم أنفسهم شرًّا، كانت القضيَّة قضيَّة يوسف وأخيه، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٣ ـ ٨٧].

وحدث ما حدث، وكشف يوسف عن نفسه، وقالوا لأبيهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٧، ٩٨]. واستغفر لهم أبوهم، وعفا عنهم يوسف، سنتحدث عن ذلك بالتفصيل حينما نتحدث عن الأخوة في القرآن، هكذا كان يعقوب عليه السلام وموقفه من أولاده.

والد إبراهيم عليه السلام:

نجد كذلك إبراهيم عليه السلام، إبراهيم نبي مؤمن، وأبوه كافر، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، هذا الأب الكافر ظل إبراهيم يدعوه إلى التوحيد، إلى الإيمان، إلى الإسلام، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ظلَّ يدعوه إلى هذا الإسلام، ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]،

QaradawiBooks.com

عندي علم ليس عندك، من ليس عنده علم يجب أن يتبع من عنده علم، هذا هو المنطق الحق، فالجاهل يَتْبع العالم.

وظل إبراهيم يدعو أباه بهذه الكلمة (يا أبتِ)، أي أنت أبي، أنا معترف بأبوَّتِك، لا أنكر أبوَّتك ولا أجحدها، من واجب الابن أن يعترف بأبوة أبيه حتَّى ولو كان الأب مشركًا أو كافرًا لا يؤمن بالله، هو أب، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۞ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۞ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٣ ـ ٤٥]، إلى آخر هذه الدعوات الصالحات من ابن لأبيه، يريد له النجاة بأن يعتصم بعقيدة سليمة، عقيدة صحيحة في الله، ولكن آزر أبا إبراهيم أبَى أن يسمع لابنه، ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٦]، توعده بأن يرجمه بالحجارة، وأمره أن يبتعد عنه مدة طويلة من الزمن، هكذا كان تشبث الضالين بضلالهم، وتشبث المشركين بأصنامهم الَّتي لا تبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تضر ولا تنفع، وليس لها من دون الله حول ولا قوَّة، كان إبراهيم يجرها بحبل ويقول: مَن يشتري من لا يضر ولا ينفع. هذه الآلهة الَّتي يعبدها النَّاس للأسف.

قال إبراهيم لأبيه: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ۞وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧، ٤٨]. وحينما عرف إبراهيم أنَّ الاستغفار لا يجوز لمشرك تبرأ من أبيه، ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤].

QaradawiBooks.com

إسماعيل عليه السلام :

ونجد من تعامل الأولاد مع آبائهم، تعامل سيِّدنا إسماعيل عليه السلام ، فقد كان لإبراهيم ولدان؛ كلاهما نبي من أنبياء الله، ورسول من رُسُل الله العظام، هما إسماعيل وإسحاق، كما قال إبراهيم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. كلاهما جاءه في كبره وفي شيخوخته.

أولهما إسماعيل، وأمه مصريَّة: هاجر الَّتي أهداها إليه ملك مصر، فلما أنجبت ابنه الأول ذهب بها إلى مكة، وتركها هناك وودَّعها، قالت له: إلى أين؟ فلم يستطع أن يجيبها، قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يُضَيِّعنا[1]. ما دام ربُّنا هو الَّذي أمرك فسيحفظنا، وصبرت إلى أن هيَّأ الله لها الماء، ونبعت زمزم في ذلك الوقت، وحدث ما حدث، وابنه الثاني هو إسحاق عليه السلام ، جاء بعد أن صبر على ابنه إسماعيل.

جاء ابنه إسماعيل وكبر، وكلما كبر إسماعيل كبر حب أبيه في قلبه، نما هذا الحب وتوسَّع، وأصبح إبراهيم عليه السلام مشغوفًا بهذا الفتى، الَّذي جاءه بعد الكبر، بعد ثمانين سنة جاءه إسماعيل، فتعلق به، أراد الله أن يختبر قلب خليله إبراهيم، وإبراهيم هو خليل الله، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، تخلل حب الله في قلبه، فأراد الله أن يمتحنه في ولده؛ فرآه في المنام بعد أن بلغ معه السعي، وأصبح فتًى يذهب معه إلى الأماكن، ويؤدي الأشياء، ويقضي الحاجات، قال له: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢]؟

(١) رواه البخاري في الأنبياء (٣٣٦٤)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أراد إبراهيم أن يُشرك ابنه معه، وكان صريحًا معه في أن ما جاءه كان في المنام، لم يأته به جبريل في اليقظة، وهنا انبرى هذا الفتى ليُظهر فعلًا أنَّه ابن إبراهيم، والولد سِـرُّ أبيه، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢]. حتَّى لم يقل له: افعل بي ما تُؤمر. لم يذكر نفسه، وكأنَّه يقول لأبيه: إن كان عندك أوامر نفِّذها، لا تسألني، عندك أمر من الله فلا تتأخر فيه، ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٢، ١٠٣]، أسلم إبراهيم ولده، وأسلم إسماعيل عنقه، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، صرعه على جبينه، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤ ـ ١١١]، هكذا استجاب إبراهيم، واستجاب إسماعيل، وكان هذا هو المقصود أن يمتثلا لأمر الله، ليس المقصود أن نذبح الغلام.

كان هذا موقف إسماعيل من أبيه إبراهيم، موقف الولد من الوالد، وبشره الله بنبيٍّ آخر مكافأة له هو إسحاق، الَّذي جاء بعد إسماعيل، ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، إسماعيل هو الذبيح، حرَّف اليهود، وجعلوا الذبيح إسحاق، مع أن إسحاق لا علاقة له بالموضوع، فالموضوع كان في مكة، وإسماعيل هو الَّذي ذهب إلى مكة من طفولته.

وقف إسماعيل مع أبيه في مكة، يبني البيت الحرام، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

QaradawiBooks.com

ويدعوان الله تعالى أن يسخر أمة العرب للإسلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

هكذا كان موقف الأنبياء وأولادهم، وموقف المؤمنين وأولادهم، كانوا جميعًا عبادًا لله صالحين، وكانوا يربون أبناءهم أن يكونوا بررة بآبائهم وأمهاتهم، لا يعقُّون أبًا ولا أُمًّا، ولا يصدر عنهم قول ولا فعل يؤذيهم، هذا ما جاء به القرآن الكريم من البِرِّ الَّذي لا بِرَّ فوقه، ولا بِرَّ مثله، ولا بِرَّ يُدانيه.

داود وسليمان، وزكريَّا ويحيى:

ذكر القرآن أيضًا موقف داود وسليمان، وموقف يحيى وزكريَّا، ذكرنا موقف يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]. ونذكر موقف داود عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]. وجاء سليمان وهيَّأ الله له الأسباب، وكلمه النمل والطير، وقال فيما قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

الكل يسأل الله عز وجل أن يُدخله في عباده الصالحين، أن يُدخله الجنَّة دار الرحمة، أن يرحمه الله ويرحم والديه، ويعتبر النعمة على الوالدين هي نعمة على الأبناء، ما أنعم الله على والديك هو نعمة عليك؛ فاشكر الله تعالى على نعمه.

هكذا ينبغي أن يكون المؤمنون الصالحون بَرَرَة بآبائهم، بَرَرة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بأمهاتهم، بَرَرة بأجدادهم، بَرَرة بجداتهـــم، لأن الجد هو الأب الثاني، والجدة هي الأم الثانية، وهكذا، هذا هو البَرُّ الَّذي جاء به الإسلام وجاء به القرآن.

نسأل الله ﷻ أن يهدينا إلى الَّتي هي أقوم، وأن يجعلنا من عباده الأبرار، ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله لي ولكم فاســتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تشريع قانون بعزل الفلول:

في مصر حاول أنـــاس أن يعكروا صفـــو الثورة المصريَّـــة العظيمة المُعلِّمة، الثورة الَّتي كانت أســـوة للعالم، وقدوة للناس، الثورة لم تطل كثيرًا كما طالـــت بعض الثورات، ولكنَّها في أيامها القليلة كانت أســـوة حسنة، كانت قدوة طيبة، علَّمت النَّاس التضحية، وعلَّمت النَّاس الفداء، وعلَّمت النَّاس البذل، وعلَّمت النَّاس الأُخوَّة، كيف يفدي بعضهم بعضًا، وكيف يحمي بعضهم بعضًا، وكيف يبذل بعضهم لبعض.

هذه الثورة العظيمة أراد كثير من النَّاس للأسف أن يفترسوها، وهي لا تزال طرية، لا تزال بكرًا، لا تزال في طفولتها، فأرادوا أن يأتوا بالذين قاوموا الثورة، ووقفوا ضد الثـــورة، وقاتلوا أبناء الثورة، وقتلوا منهم من قتلوا، وفعلوا بهم ما فعلوا، أتوا بهؤلاء ليرشحوا أنفسهم رؤساء لمصر! هذه مصيبـــة كبيرة، ما كنـــا نظن أن يحـــدث هذا، ولكنَّـــه حدث، لأن المجلس العسكري الَّذي أُعطي ولاية مصر بعد مبارك لا يزال كثير من أبنائه يحمل فكر مبارك.

كنا نود أن يحرموا هؤلاء من قيادة الثورة ورياستها، والأشياء المهمة جدًّا عشر سنوات على الأقل، ولكن لم يفعل ذلك المجلس العسكري، وأباح لأمثال عمر ســـليمان رئيس المخابرات، الَّذي عُيِّن نائبًا للرئيس، وكان أحد أركان النظام السابق، كيف يُسمح له أن يترشح ليكون رئيسًا لمصر؟ هذا شـــيء غريب جدًّا، وأمثال أحمد شفيق الَّذي جاء به مبارك

QaradawiBooks.com

رئيسًا للوزراء، يأتي هؤلاء ليرشحوا أنفسهم أمام أبناء الثورة الإسلاميِّين وغير الإسلاميِّين!

ولكن الإخوة في مجلس الشعب أصدروا بالأمس قانونًا يمنع هؤلاء لمدة عشر سنوات من الاقتراب من هذه المناصب القيادية الحساسة، وأعتقد أن هذا هو فصل الخطاب، وهو العدل الحقيقي، وكان يجب أن يتم هذا قبل ذلك.

وأنا أعتقد أن مثل هؤلاء ـ عمر سليمان، وأحمد شفيق ـ لو رشَّحوا أنفسهم لن يحصلوا إلَّا على خمسة في المائة، ولكن لا نريد أن يحدث هذا، لا يجوز أن يصل هؤلاء إلى الناس، ممكن أن تُزوَّر الانتخابات، كل شيء جائز، في مثل هذه الأمور تحدث أشياء غريبة، ويعلنون هذا، ويقولون: ما يعلن عنه لا يُغيَّر. هذه مشكلة كبرى، لا نريد أن ندخل البلد في هذه المتاهات، ولهذا حُسِم هذا الأمر.

لا يمكن أن نسمح لهؤلاء بأن يعودوا، فكل العرب، وكل المسلمين، وكل المصريِّين يرفضون هذا، ومن حقهم ـ بل من واجبهم ـ أن يرفضوا هذا الظلم، أن يأتي المفسدون في الأرض، هؤلاء الظالمون الَّذين أكلوا حقوق الناس، وتعدوا حدود الله، ولم يتركوا للنَّاس فرصة، هؤلاء الأفاكون الظالمون الباغون الطاغون، لا يجوز أن يُترك لهم الأمر، هذه كلمتي الأولى.

ثورة سوريا:

والكلمة الثانية الَّتي أريد أن أقولها بالنسبة لإخواننا السوريين: السوريون ثورتهم ثورة حقيقيَّة، ثورة عادلة، ثورة تريد أن تنتزع الحكم

QaradawiBooks.com

من أســـرة، هي أســـرة واحدة تريد أن تنتزع جمهوريَّة كبيـــرة، تحكمها بنفسها، هي أسرة وليست طائفة، فليس كل العلويين معها، هناك علويون مظلومون وهم مع أهل السنة ومع أهل البلد.

أســـرة واحدة من عدة أشـــخاص معروفين بأســـمائهم، يريدون أن يحكموا بلدًا كبيرًا، هذا لا يجوز، انتهى هذا الأمر، انتهى زين العابدين ومبارك، والقذافي وعلي صالح، انتهى عهد الأفراد الجمهوريين، الَّذين كانوا يحكمون بلادهم، ولا بدَّ أن تعود هذه البلاد الجمهوريَّة إلى أهلها، الثورة السوريَّة تريد أن تعود سوريا إلى أهل سوريا، سوريا ليست أسدية، سوريا ســـورية، ليست ملك الأســـد ولا أهله ولا أســـرته، فهذه الثورة تصحيح لا بدَّ منه، ولذلك جُنَّ جنون هؤلاء.

الأمر أمر واضح، ليس هناك طائفيَّة، ســـوريا للكلِّ، ولكن هناك من يريد أن يجعلوهـــا طائفيَّة، ويأتي من إيران ومن لبنان ومن روســـيا: مَنْ يدعم فكرة المذهبيَّة وفكرة الطائفيَّة، وهذا كله مرفوض!

وأخيرًا جاء كوفي عنان باقتراحه الأخير إلى النظام، وأنا ليس عندي ثقة بهذا النظـــام، هؤلاء ليس عندهـــم دين، ليس عندهـــم إيمان، ومن لا إيمان له لا عهد له، ولا خُلق له، لا تضمن أخلاقه، لا تضمن عهده، لا تضمن كلمتـــه، يقول الكلمة اليوم وينقضها غـــدًا، يقولها في الصباح وينقضها في المساء، فلا تســـمع لهؤلاء، هؤلاء ظلُّوا يقتلون النَّاس في هذه الأيام أكثر ممَّا قتلوهم فيما مضى، أعطوهم مهلة وراء مهلة، وفرصة وراء فرصة؛ ليقتلوا ويذبحوا، ويزدادوا تقتيلًا وتذبيحًا، إلى متى هذا؟

سنرى اليوم، اليوم يوم الجمعة، ومن حق النَّاس أن يتظاهروا، الكل مجمع علـــى أنَّ التظاهر الَّذي لا ســـلاح فيه حق للشـــعوب كلها، هل

QaradawiBooks.com

يسمحون للسوريين أن يتظاهروا دُون أن يُضيَّق عليهم ولا أن يُقتلوا، ولا أن يُضربوا؟ لن يسحبوا الآليات العسكرية: الدبابات، والمدافع، وكل هذه الأسلحة الضخمة لن يسحبوها.

على كل حال لا زلنا نرجو لكوفي عنان ومن معه من مندوبين أن يُوفَّقوا، عسى الله أن يوفقهم، نحن نريد منع سفك الدماء، ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، هؤلاء لا يبالون بسفك الدماء، ونحن نتمنى أن تعود سوريا إلى الأمان، لا يُذبح أحد، لا يُقتل أحد، رجلًا أو امرأة، شيخًا أو شابًّا أو طفلًا، النَّاس يُضربون ولا يستطيع أحد أن يصل إليهم ليحملهم ويسعفهم، يُترك هؤلاء حتَّى يموتوا.

نسأل الله ﷻ أن ينصر إخواننا في سوريا، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، يا أرحمَ الراحمين.

اللهم عليك بأنصار الظلم، اللهمَّ خُذهم أخذًا أليمًا شديدًا، اللهمَّ خُذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ رُدَّ عنَّا كيدَهم، وفُلَّ حدَّهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنَّك سميع قريب مجيب الدعوات يا ربَّ العالَمِين.

اللهمَّ انصُرْ إخوانَنا في مصر، وانصُرْ إخوانَنا في ليبيا، وانصُرْ إخوانَنا في تونس، وانصُرْ إخوانَنا في اليمن، وانصُرْ إخوانَنا في الأردن، وانصُرْ إخوانَنا في باكستان، وانصُرْ إخوانَنا في الجزائر، وفي المغرب،

QaradawiBooks.com

وفي موريتانيا، وفي نيجيريـــا، وفي كل مكان، اللهـــمَّ انصر العاملين الصادقين للإسلام، اللهمَّ أيِّدهم بروح من عندك، واحرُسْهم بجند من جندك يا ربَّ العالَمِين.

اللهم خُذْ بيد هذا البلد الكريم، وهيِّئ له من أمره رشدًا، اللهمَّ ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل الســفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا، سخاءً رخاءً وســائر بلاد المســلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنــا، وانصُرْنا على القوم الكافرين، وصلِّ اللهمَّ وســلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٠

الأُخوَّة في القرآن الكريم (١)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، ومن هذه الموضوعات ما تحدثنا عنه في الأسابيع الماضية عن الآباء والأمهات في القرآن، والأبناء والأولاد في القرآن، واليوم نتحدث عن الأُخوَّة والإخوة في القرآن الكريم.

جاء القرآن ليعلي من شأن الأخوة ويرفع من قدرها، ويجعلها أم العلائق بين النَّاس بعضهم وبعض، خصوصًا بين الإخوة الَّذين تجمعهم عائلة واحدة، أُبوَّة وأمومة، حينما يكون الإنسان أخًا للإنسان فعليه أن يرعى حقه، ويؤدي واجبه، ويقدم له كل خير، ويمنع عنه كل شر، وينصره في الملمات، ويبعد عنه الأضرار والأذيات، هذا شأن الأُخوَّة.

قصة ابني آدم:

حكى القرآن عن مجموعة من علاقات الأُخوَّة، بعضها علاقات سيئة، وبعضها علاقات حسنة، من العلاقات السيئة الَّتي ذكرها لنا

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٧ أبريل ٢٠١٢م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القرآن، قضيَّة من أقدم قضايا البشـــر، أخوان من أبناء آدم، أحدهما يُمثِّل الخير والحيـــاة الطيبة والأخـــلاق الكريمة، والآخر يُمثِّل القوة والشـــر والعدوان، سمتهما الإسرائيليات قابيل وهابيل.

وقصَّ القرآن علينا قصتهما في ســـورة المائدة؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائـــدة: ٢٧]. كل واحد من الأخوين قرَّب قربانًا، هذا عنده خِرَاف وأشياء فقدَّم ما عنده، وهذا عنده زُرُوع وأشـــياء فقدَّم ما عنده، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، ولماذا تقتلني؟ هل أنا الَّذي أقبل القرابين؟ الله هو الَّذي يقبلها، لماذا لا تبحث في نفســـك: لماذا لا يقبل الله منك؟ ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨]، خوف الله هو الَّذي يمنعني من ذلك، ليس ضعفًا، ولكنَّه خوف الله.

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، خَّوفه بالنار، وبعذاب الله، ولكن هذا الأخ الشـــرير لم يبالِ بهـــذا التخويف، غلبت عليه شـــقوته وأبَـــى إلَّا أن يَقْتل أخاه، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

بعض علماء الاجتماع الَّذين يبحثون في الجرائم وأصولها وأسبابها يقولون: إنَّ المجتمع هو الَّذي يصنع الإنســـان ويتسبب في الجرائم. أي مجتمع؟! لم يكن هناك مجتمع، إنَّمـــا هما أولاد آدم، لم يوجد مجتمع بعد، ولكـــن النفس هي الأمَّـــارة بالسُّـــوء، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾، لم يلزم هذه النفس بتقوى الله، الآخر اتقى الله، ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

QaradawiBooks.com

وبعد أن قتل الأخ أخاه لم يدر كيف يدفنه، لم يُدفن أي إنسان من قبل، هذا أوَّل قتيل في الأرض، ولذلك النبي ﷺ قال: «**لا تُقتلُ نفسٌ ظُلمًا، إلَّا كان على ابنِ آدم الأول كِفْل من دمها؛ لأنَّه أوَّلُ من سنَّ القتل**»(١). «**مَنْ سنَّ سُنَّة سَيِّئة فعليه وِزْرها ووزرُ من عمل بها، لا ينقص من أوزارهم شيئًا**»(٢)، ماذا يفعل في هذه الجُثَّة؟ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، رأى غُرَابًا مع غرابٍ آخر ميتٍ، يحفر في الأرض ليدفنه، فنظر وقال: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

حمله مُدَّة وهو حائر ماذا يفعل؟ ثمَّ حَفَر له أوَّل قبر في هذه الأرض، هذا نوع من الأُخوَّة السيئة من هذا الأخ الَّذي سمَّوْه (قابيل)، ونوع من الأخوة الطيِّبة من الأخ الخيِّر الَّذي سمَّوْه (هابيل) الَّذي لم يلقَ أخاه بشرٍّ ولا بسوء، وتركه يفعل فعلته وينتهي إلى ما انتهى إليه.

إخوة يوسف:

ويذكر لنا القرآن قصَّة أخرى، قصَّة إخوة يوسف الصِّدِّيق عليه السلام، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، ولذلك سمَّاه الرسولُ ﷺ الكريمَ ابنَ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابن الكريم(٣). مُعرِق في الكرامة، مُعرِق في الخير، سليل النبوة، ولكنَّه ابتُلي بإخوته، ﴿قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]، نحن الإخوة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٥)، ومسلم في القسامة والمحاربين (١٦٧٧)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٩٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

العشـــرة من أمٍّ واحدة، نزرع الأرض، نحن الَّذين نبحث ونعمل، ونجدّ ونكسِب؛ فما بالُ أبينا يحب أخوينا الصغيرين أكثر منا؟

والإنسان عادة يحب الأولاد الصِّغار أكثر، كما سُئل أعرابي: أي أبنائك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتَّـــى يكبر، وغائبهم حتَّى يحضر، ومريضهم حتَّى يُشـــفى. ولكن يبدو أن ســـيِّدنا يعقوب بالغ بعض الشـــيء في هذا الحب، فكان له تأثيـــره في أنفس أبنائه هـــؤلاء، وقالوا: ﴿ٱقْتُلُوا۟يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوســف: ٩]. إذا قتلتموه وأخفيتموه عنه يخلو لنا وجه أبينا!

ما لك لا تأمنا على يوسف:

ودائمًا حينما يذكر القرآن المجتمعات يذكر العنصر الخيِّر فيها؛ لأنَّ النَّاس ليسوا كلهم أشرارًا، النَّاس فيهم دائمًا العناصر الخيِّرة، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠]، يأخذه بعض المسافرين ويذهبوا به بعيدًا عنا، ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۞ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۞ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوســف: ١١ ـ ١٤]، نحن عشـــرة فكيف يأكله الذئب؟! وطمأنوا أباهم؛ فأرســـله معهم، ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۞ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٦، ١٧]، لن تصدقنا ولو كنا صادقين، فنظر سيِّدنا يعقوب إليهم وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

QaradawiBooks.com

جاؤوا علـى قميصه بدمٍ كذب، ذبحوا عنزة أو شـاة وملؤوا قميصه بدمها، ولكنَّهـم غفلوا أن يمزقوا القميص، هل هناك ذئب يأكل إنسـانًا ويترك قميصه سليمًا هكذا؟! ليس معقولًا هذا، فعرف أبوهم أن أنفسهم سولت لهم أمرًا.

يوسف عليه السلام في مصر:

وجاءت جماعة وأخذت يوسف من البئر إلى مصر، وباعوه إلى عزيز مصر في ذلك الوقـت، وقال العزيز لامرأتـه: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسـف: ٢١]. وظلَّ يوسـف عندهمـا إلى أن جرى ما جرى ودخل السجن، وبقي في السـجن سنين ثمَّ خرج منه، وقال له الملك: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥]. وجعله على خزائن الأرض، أصبـح عزيز مصـر، وأصبح التخطيـط والزراعـة والتموين والاقتصاد، كل شيء في يد عزيز مصر: يوسف بن يعقوب!

وجاء إخوة يوسـف من بلاد فلسـطين؛ فدخلوا عليه، يحتاجون إلى الطعام، كانت المنطقة كلها في قحط، وهو الَّذي وضع الخطة للخروج من هذا القحط، وأصبح الخيـر موفورًا في مصر، ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، كان طفلًا؛ فلما كَبُر تغيَّر شكله، ولكنَّهم كانوا كبارًا حين فارقهم؛ فهو يحفظ أشكالهم، فقال لهم: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ [يوسف: ٥٩ ـ ٦١].

أراد أن يأتي بأخيه ابن أمه وأبيه: شـقيقه بنيامين، كانوا اثنين أشقاء وعشـرة من امرأة أخرى، فأراد أن يأتي بأخيه ليكون معه، بدل أن يكون

QaradawiBooks.com

هناك وحده وقد يؤذونه، ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]. ردَّ إليهم بضاعتهم الَّتي جاؤوا ليشتروا بها، كل واحد يأتي بما عنده من بضاعة، فهناك من عنده جِلْد، ومن عنده خشب، ومن عنده حديد، وهكذا يأتون بها ليشتروا بها، فأمر فتيانه أن يرد إليهم بضاعتهم في أكياسهم، ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٣ ـ ٦٥]، وأقسموا له أنَّهم سيحفظونه ولا يفرِّطون فيه، وأنَّهم وأنَّهم، وأخيرًا ائتمنهم بعد أيمان وأقسام.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، وعمل الحيلة الَّتي استبقى بها أخاه معه، حيث وضع الصاع في رحله، وسألهم الجنود: ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ۞ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٤، ٧٥]. الشخص الَّذي تثبت عليه الجريمة يأخذونه فدية لها، وهكذا أُخذ بنيامين إلى أخيه يوسف.

واحتاروا حتَّى قال كبيرهم: لن أرجع معكم، لا أستطيع أن أواجه أبي، ماذا أقول له؟ ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۞ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [يوسف: ٨١، ٨٢]. فقال سيِّدنا

QaradawiBooks.com

يعقوب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ٨٣]. ارتكبوا قبل ذلك خطأ؛ فاتهمهم هذه المرَّة، ولم يكونوا فيها مخطئين، ولكن حسب ما يظهر للإنسان، لم يوحَ إليه بشيء، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]. يوسف وبنيامين.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]. وأمرهم أن يرجعوا إلى مصر ليأتوا بأخيهم: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ولما ذهبوا إلى يوسف قالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]. ليس لها قيمة، ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]. فقال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]. هل نسيتم ما عملتوه بيوسف وأخيه، ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

المحسنون أصحاب الأخلاق، الَّذين يتحلون بمكارم الأخلاق، من يتقِ الله ويتحلَّ بِخُلق الصبر لا يمكن أن يضيع أبدًا، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩١ ـ ٩٣].

وذهبوا إلى يعقوب عليه السلام، وألقوا عليه القميص، وارتدَّ بصيرًا، وذهب عن عينه كل ما كان فيها، وجاؤوا إلى مصر: الأب، وزوجته، وأولاده

QaradawiBooks.com

وأحفاده، جاء بنو يعقوب كلهم إلى مصر، ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [يوسف: ٩٩، ١٠٠]، يشير إلى رؤياه في أوَّل قصته: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۞ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٤، ٥].

سُجود الشمس والقمر والكواكب لك؛ كلها دلائل على أنَّ الله يهيئ لك أسباب الخير، وأسباب الفتح، وأسباب العظمة، فلا تقصَّ هذا على إخوتك؛ فيكيدوا لك كيدًا، ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

لم يقل: أخرجني من الجب؛ حتَّى لا يُذكِّر إخوته بما فعلوه، لا يريد أن يثير الأمور القديمة، يريد أن تبقى القلوب سليمة ومُقْبلة على المستقبل الطيب؛ فلم يذكر إلَّا السجن، ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]، هكذا قال يوسف عليه السلام.

أخت موسى عليه السلام:

وهناك أُخوَّة ذكرها القرآن أيضًا في قصَّة موسى عليه السلام، فقد وُلِد موسى في عهد فرعون، الَّذي كان يُقتِّل الأبناء، ويستحيي النساء، ولما وُلد موسى عليه السلام أوحى الله إلى أمه: ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [القصص: ٧]، ضعيه في صندوق وألقيه في اليم، ﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، عملت هذا ورمته في

QaradawiBooks.com

النيل، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١]، تتبعي أثره، انظري أين يذهب. فتتبعته حتَّى وجدت آل فرعون قد أخذوه، وذهبت إليه، ووجدت الطفل وقد امتنع عن المراضع، ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، فلا يقبل أي مرضعة، فقالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]؟

فقبلوا، وكانت امرأة فرعون قد منعتهم من أن يقتلوه وقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]. لم يقتلوه، ولم يشعروا أنَّه سيكون لهم عدوًّا وحزنًا، فأعطوه لأخته، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: ١٣]، فهذه هي أخت، وهي تعمل على رعاية أخيها منذ ولادته.

موسى وهارون عليهما السلام:

وفي قصَّة موسى أيضًا نرى موسى وأخاه هارون، حينما قال الله لموسى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]. قال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥]. ما دام أنا ذاهب إلى هذا الطاغية المتجبر في الأرض، المستكبر بغير الحق، الَّذي يقول للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. فدعا موسى ربه، والإنسان إذا كان مكلفًا بمهمة كبيرة يدعو الله أن يعينه عليها، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥]، أوَّل أمر انشراح الصدر؛ لأنَّه هو الَّذي يسهل عليك المهمة، ويجعل صعوبتها متعة لك، ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٦]، اجعل الأمور المعسَّرة ميسَّرة لي، لا تجعل في حياتي مشقة ولا عسرًا، ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٧، ٢٨]. كانت هناك حبسة في صوت سيِّدنا موسى، فأراد أن تحل عقدة لسانه.

QaradawiBooks.com

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طـه: ٢٩ ـ ٣٥]، أنا وأخي أقدر على التسبيح، إذا نسي أحدنا ذكَّره الآخر، إذا ضعف أحدنا قوَّاه الآخر، إذا غفل أحدنا نبَّهه الآخـر، ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦]، أصبح أخوك هارون معك رسولًا إلى فرعون، ولذلك قال الله لهما: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طـه: ٤٣، ٤٤]. لا تشـددا عليه في القول، فالكلمة الطيبة تؤثر في الإنسان، حتَّى فرعون، هكذا قال الله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾.

اخلُفْني في قومي:

كان هارون نعمَ العون لأخيه موسى، كان يشـدُّ أَزْرَه، ويُقَوِّي ظهره؛ حينما ذهبا إلى فرعون، وحينما ذهب موسى إلى لقاء ربه بعد ذلك: كان هارون هو الَّذي يخْلُف أخاه، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وحينما ذهب موسى صنع بنو إسـرائيل عجلًا من الزينة الذهبية، الَّتي تركهـا المصريُّون، وأصبح للعجل خُوَار، يدخل فيه الهواء فيكون له صوت، فُتِن بنو إسرائيل وعبدوا هذا العجل، وحاول سيِّدنا هارون أن يردهم عن عبادة هذا العجل، ﴿قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩٠، ٩١]، فلما رجع موسـى وجد قومه يعبدون هذا العجل؛ فغضب وثار، وأمسك بلحية أخيه وبرأسه وجرَّه إليه، ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤]، أنا نهيتهم عن عبادة هذا العجل، ودعوتهم إلى

QaradawiBooks.com

عبادة الله، ولكنَّهم لم يسمعوا كلامي، فلم أرضَ أن أتخذ معهم موقفًا فصلًا فينقسموا عليَّ، وأنا أريد أن أبقيهم فرقة واحدة، وأمة واحدة حتَّى تجيء، ونفصل في الأمر معًا، ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، هكذا كان موسى شديدًا قويًّا منفعلًا، وكان هارون قويًّا أيضًا، ولكن في حالة هدوء، يكمل بعضهما بعضًا.

لا أملك إلَّا نفسي وأخي:

وذهبا إلى سيناء، وقال موسى لبني إسرائيل: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]. فقالوا له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ماذا قال موسى؟ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥، ٢٦]. وهكذا ظل موسى وهارون إلى أن توفي هارون ثمَّ موسى، وحدث ما حدث، فهذه أخوة ذكرها الله في القرآن الكريم.

إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة:

وهناك أخوة ذكرها الله في قصَّة سيِّدنا داود، حينما قال: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۞ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢١ ـ ٢٥].

QaradawiBooks.com

هذه قصَّة تاه فيها بعض المفسرين، وذكروا أساطير وأباطيل نقلوها ممَّا يسمونه (الإسرائيليات)، وفيها أشياء لا أساس لها في الإسلام، ولا يقرها القرآن، ولا تقرها السنة، ولا يقرها العلماء والمحققون.

القصة واضحة، داود وسليمان عليهما السلام من خيار الأنبياء، وهما عند اليهود من الملوك فقط، يمكن أن يرتكبوا أفظع الأشياء، ولكنَّهما عندنا من الملوك الأنبياء معًا، فهم ملوكٌ ورسل.

وداود من خيرة الأنبياء ومن أعظم الأنبياء. حينما تقرأ في القرآن سورة سبأ، وسورة ص، والسور الَّتي تُذكر فيها قصَّة داود تجد نبيًّا عظيمًا، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۞ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٨ ـ ٢٠]، فسيِّدُنا داود نبي عظيم.

وفي سورة البقرة حينما قتل داود جالوت قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وآتاه الله فضلًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]. هو من أنبياء الله العِظَام، كان يُضرب به المثل في الصيام، «**أحبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا**»[1]، فهذا نبيٌّ عظيم.

كان داود مقسمًا أيامه، أيام للناس، ويوم يدخل فيه المحراب ليتعبد لله، ويتلو المزامير، كان صوته شجيًّا، الجبال تسبح معه، والطير تتجمع عليه؛ حينما يُسبِّح ويرتل بصوته الجميل، كان النبيُّ ﷺ يقول

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجُّد (١١٣١)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

لأبي موسى الأشـــعري، وكان جميل الصوت: «**لقد أُوتِيتَ مِزمارًا من مزامير آل داود**»(١).

خصمان بغى بعضنا على بعض:

كان هذا الرجل المتعبد المُسَـــبِّح البكَّاء الخاشع لله ﷻ يخلو بعض الأيام في محرابه، وفي يوم من الأيام دخل عليه اثنان، ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، نحـــن اثنـــان متخاصمـــان ظلم أحدنا الآخر، بيننا قضيَّة متخاصمان فيها، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾، ضمها إليَّ، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾، غلبني في الكلام.

هذان الخصمان من الملائكة أم من البشـــر؟ لم يقولا: إننا ملكين. الملائكة الَّذين ذهبوا إلى ســـيِّدنا إبراهيم أخبروه أنَّهم ملائكة، والَّذين ذهبوا إلى سيِّدنا لوط أخبروه أنَّهم ملائكة، لكن هذين لم يقولا له: إننا ملكين. فالظاهر أنَّهما بشـــر، جاءا في يوم خلوته ودخلـــوا عليه وقالوا: لا تخفْ. وحكـــى أحدهما لـــه القضيَّـــة، ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾، وهنا أخطأ داود عليه السلام، أنَّه بمجرَّد أن ســـمع هذا الرجل تأثَّر به وحكم له!

المفروض لا تحكم فـــي أي قضيَّة إلَّا إذا اســـتمعت إلى الطرفين، النَّاس يقولون: إذا جاءك أحـــد الخصمين وقد فُقئت إحدى عينيه فانتظر حتَّى ترى الآخر؛ لعله فُقئت عيناه الاثنتان. فكان المفروض على داود أن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٤٨)، ومســـلم في صلاة المسافرين (٧٩٣)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

يتأنى في الحكم ويتريَّث، ويسمع الطرف الآخر ماذا يقول، فلعله قال له: ما الَّذي يجعلك يا أخي تسرح بنعجة واحدة وتتعب نفسك، أنا أسرح لك بها، ونتحاسب فيما بعد بالحق. ربَّما قال هذا، وخاصَّة أن خصمه قال عنه: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾. أي عنده حجة وقوة في الخطاب، فلعله كان عنده منطق.

قال دواد: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾، الشركاء، ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يظلمون، كل واحد يحب أن يأخذ حقه، ولا يغصب حق غيره، يعطي لكل إنسان حقه كما يحب هو أن يأخذ حق نفسه.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، لداود زُلفى وقربى عند الله، وحسن مرجع عند الله، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]، على القاضي أن يحكم بالحق، وليس بالعواطف، فهو تعاطف مع قول الرجل صاحب النعجة الواحدة وحكم ضد صاحب النعاج التسع والتسعين، لا، ليس هكذا، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

إنَّما المؤمنون إخوة:

هذه هي الأخوة الَّتي جاء بها القرآن، الأخوة الخاصة، ولكن القرآن جاءنا أيضًا بالأخوة العامة، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، الأخوة الدينيَّة، والأخوة القومية، والأخوة

QaradawiBooks.com

الوطنية، والأخوة الإنسانية، وأنواع هذه الأخوات لن نستطيع أن نؤدي حقها في هذا اليوم؛ فنؤجلها إلى الخطبة القادمة إن شاء الله.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يجعلنا نحسن فهم كتابه، وسنة رسوله ﷺ، وصلِّ اللهمَّ على سيِّدنا محمد، وادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الذكري (٦٤) لقيام دولة بني صهيون:

في هذه الأيام يحتفل الإسرائيليُّون بمرور أربع وستِّين سنة على قيام دولة إسرائيل، ويقيم الفلسطينيُّون أيضًا ذكريات على هذه النكبة الضخمة، عندما قامت إسرائيل كنا نسميها (إسرائيل المزعومة)، هكذا كنا نكتبها بين قوسين في صحف ذلك الوقت، وظللنا كذلك نحو سنتين أو ثلاث نقول: المزعومة. ثمَّ وجدنا هذه المزعومة ترد على الدول العربيَّة؛ فتضرب هذه، وتركض وراء هذه، وترفس هذه، وتفعل الأفاعيل بالدول العربيَّة كلها؛ فاستحيينا من أنفسنا وحذفنا كلمة (المزعومة) بعد أن كدنا أن نكون نحن المزعومين.

نحن أصحاب الحق، وأصحاب الأرض أصبحنا غُرباء في أرضنا، ضيوفًا على غيرنا، أصبحت إسرائيل تتحكم في الفلسطينيِّين، هؤلاء الصهاينة الَّذين جاؤوا من بلاد (واق الواق)، هؤلاء شذاذ الآفاق جاؤوا من روسيا ومن أوروبا ومن الحبشة ومن غيرها في الشرق والغرب؛ ليقيموا لهم دولة في أرضنا.

في أوَّل القرن الماضي لم يكن لليهود وجود في هذه البلاد، كانوا مجرد آلاف معدودة، ثمَّ تسللوا كما تتسلل الميكروبات إلى الأجسام الصحيحة، وتدخل فيها دون أن تدري، هم دخلوا دون أن ندري، كانت الأمة في حالة مرض.

QaradawiBooks.com

دخلوا هذه البلاد وبدؤوا يشترون أراضٍ من غير المسلمين أولًا، ثمَّ يشترون أراضي حكومية خصوصًا بعدما أصبح الإنجليز هم الحكام على فلسطين، وأصبح بعض الفلسطينيِّين يبيعون لهم ممن لا دين لهم، ولا أمان لهم، وشرعوا يقيمون فيها مستعمرات حتَّى أصبح لهم كيان كبير.

ثم بدؤوا بعد ذلك في إقامة العصابات الإسرائيلية المقاتلة، الأرجون والهاجاناه وهذه الأسماء الَّتي يذكرونها، والتي كانت تقاتل أهل البلاد، وليس مع أهل البلاد سلاح، الإنجليز يمنعونهم من أي سلاح، وهؤلاء مسلحون بكل شيء، وظلوا هكذا حتَّى جاء شهر مايو سنة ١٩٤٨م. وأقاموا دولتهم الَّتي سموها (إسرائيل)، وإسرائيل اسم لقب يعقوب عليه السلام، سموها اسمًا دينيًّا؛ ليكون له عبق، وله إيحاء في نفوسهم.

قبل ذلك عرضوا على العرب التقسيم؛ فرفضه العرب لأنَّه يعطي اليهود أكثر ممَّا يعطي العرب، بعد ذلك قالوا: ليتنا قبلنا. وكلما توسعت إسرائيل قالوا: ليتنا قبلنا كذا. ماذا للعرب الآن؟ معظم الأرض الفلسطينيَّة أصبحت في أيدي اليهود، وحتى الأرض الَّتي في يدنا نحن، الضفَّة الغربيَّة وغزة قطعتان غير متصلتين.

والقدس الشريف مسرى رسول الله ﷺ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١]، ربط الله بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، هذا أوَّل الإسراء وهذا منتهى الإسراء، ربط بينهما ليبين لنا أنَّهما في قداسة واحدة، لا يجوز التفريط في أحدهما، وأن من فرَّط في المسجد الأقصى يمكن أن يفرِّط في المسجد الحرام.

QaradawiBooks.com

قامت إسـرائيل، وتمكنت من الفلسـطينيِّين، وأصبحت القدس الآن مهددة، وفكرة الدولتين مهددة، أي دولة هذه وهم في كل يوم ينشئون مُدنًا وأجزاء من مدن تُبنى على أرضنا وضدنا ورغم أنوفنا؟ ونحن مستسلمون لهذا، ماذا فعلنا إزاء هذا؟ أين البلاد العربيَّة؟ أين البلاد الإسـلاميَّة؟ أين الَّذين يغارون على القدس؟ أين الَّذين يغارون على فلسطين؟

هل تستطيع فلسطين وحدها أن تقاتل الإسـرائيليِّين؟ الإسرائيليُّون معهم أسـلحة تقاتل العرب جميعًا، كيف يستطيع الفلسطينيُّون وحدهم أن يقاتلوهم؟ لماذا لا يقاتل العرب مع إخوانهم؟ نحن نطالب الجميع أن يتكاتفـوا، أن يقولوا على الأقل للفلسـطينيِّين: نحـن معكم، نحن وراءكم، كونوا مقاومين، كونوا مجاهدين، لا تقبلوا الذُّل والهوان. أليس هذا من واجبنا يا قوم؟ كيف نُسـلِّم إخواننا لأعدائنا؟ كيف ندعهم أمام هذا الغول المفترس؟

واليهود في أنحاء العالم كلهم ـ إلَّا فئة قليلة ـ مع إسرائيل، ينصرونها بالمال، وينصرونها بالسياسة، وينصرونها بالإعلام، وينصرونها بكل قوَّة ممكنة في الأرض، ونحن لا ننصر إخواننا!

إنَّ إسرائيلَ تظنُّ أنَّها قد مُكِّن لها في الأرض، ونحن نقول: لا والله، لن يُمكَّن لكم يا إسرائيليُّون في أرضنا أبدًا، سـتظلون غُرباء، ستظلون مهاجرين من بلادكم، سـتظلون تشـعرون أنَّكم اغتصبتم غير أرضكم، أنَّكم تعيشون في غير بلادكم، أنَّكم غُرباء ولستم أصلاء أبدًا، سيظلُّ هذا ديدنكم طوال حياتكم؛ حتَّى ترجعوا إلى بلادكم.

ولا بد أن يرجع هؤلاء اليهود إلى بلادهم، نحـن نوقن بهذا، أنَّهم لا يمكن أن يستقر لهم وجود في فلسطين، وأهل الدين منهم يعرفون أن

QaradawiBooks.com

بقاءهم مقيد بمدة من الزمن، ولكنَّها لن تدوم أبدًا، سيزول الإسرائيليُّون حتمًا، ويخرجون من هذه البلاد، ونحن لهذا اليوم بالمرصاد.

علينا أن نُهيِّئ أنفسنا، علينا أن نعد شبابنا، لن نستسلم أبدًا، لن نترك هؤلاء يقتلوننا كل يوم، ويهدمون منازلنا كل يوم، ولا يسمحون لأهلنا أن يبنوا بيوتًا، إنهم يسمحون للإسرائيليِّين أن يبنوا بيوتًا، ويوسعوا ويزدادوا توسعًا؛ وأهلنا لا يجدون أي بيت، الفلسطيني يظل في بيته ويكثر أولاده ويكثرون، ولكنَّه لا يستطيع أن يبني بيتًا آخر.

من سنن الله ألا يستمر هذا الظلم، لا بدَّ أن يزول الظلم، ولا بدَّ أن يزول العدوان، ولا بدَّ أن يذهب هؤلاء، نحن موقنون بذلك إن شاء الله، الله معنا، الله مع أهل البيت، أهل فلسطين، أهل الدار، أهل الحق، الله معهم ولن يترهم أعمالهم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُهيِّئ لإخواننا في فلسطين من أمرهم رشدًا، وأن ينصرهم على عدو الله وعدوهم، وأن يأخذ أعداءهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ خُذ هؤلاء الظالمين أخذًا أليمًا شديدًا، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ أذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، اللهمَّ افتح لإخواننا فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

اللهمَّ انصُرْ إخوانَنا في سوريا، اللهمَّ هيِّئ لهم من أمرهم رشدًا، اللهمَّ لا تكلهم إلى أنفسهم طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ خذ أعداءهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهمَّ خُذ بأيدي إخواننا

QaradawiBooks.com

المؤمنين المستضعفين في الأرض، اللهمَّ قوِّ ظهرهم، يا ربَّ العالَمِين، ولا تكلهم إلى أنفسهم طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

اللهم عليك بالظَّلمة المجرمين، اللهمَّ عليك بالمستكبرين في الأرض، اللهمَّ عليك بالجبارين، اللهمَّ عليك بالظالمين.

اللهم إنَّا نسألك أن تعز الإسلام وتنصر المؤمنين، اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العُليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السُّفْلى، اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

اللهمَّ انصُر إخوتنا في مصر، وانصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في سوريا، وانصر إخوتنا في الأردن، وانصر إخوتنا في العراق، وانصر إخوتنا في أفغانستان، وانصر إخوتنا المجاهدين في كل مكان يا ربَّ العالَمِين، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصُرْنا على القوم الكافرين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١١

الأُخوَّة في القرآن الكريم (٢)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في موضوعنا الَّذي نتحدث فيه من العام الماضي وهو موضوعات القرآن الكريم، يشتمل القرآن الكريم على مئات وآلاف الموضوعات، في شؤون الدين والحياة: الحياة الفردية، والحياة الأسرية، والحياة الاجتماعية، والحياة الدولية، والحياة الإنسانية، يشتمل القرآن على هذه الموضوعات، ويضع فيها تشريعاته المُحكمة، وتوجيهاته النيِّرة، ويضع للنَّاس المعالم الَّتي يحتاجون إليها، فإذا رجعوا إليها يجدون فيها القيم، ويجدون فيها التعاليم، ويجدون فيها النور الَّذي لا نور في غيرها.

وقد تحدثنا في موضوع (الأُخوَّة في القرآن)، تحدثنا عن الأخوة الخاصة، أخوة النَّاس الَّتي تأتي من قِبل الولادة، أخوة لأب وأم، وأخوة لأب، وأخوة لأم، هذه الأُخُوَّات كل منها لها حقوقها، ولها ثمراتها، حتَّى في الميراث الأخ لأب وأم له حكمه، والأخ لأب له حكمه، والأخ لأم له حكمه، هكذا وضَّح القرآن الكريم في آياته.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٨ مايو ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

واليوم نتحدث عن الأُخوَّة العامة، الأُخوَّة الدينيَّة بين المسلمين، والأُخوَّة الوطنية والقومية بين غير المسلمين، والأُخوَّة الإنسانية العامة لبني آدم كلهم، فلا شك أنَّ الأخوة الأصلية هي الأخوة الَّتي تأتي من الولادة من الدم، ولكن الله تعالى عطف عليها هذه الأخوة، فهي مثلها، هناك رابطة تربط بين أصحابها.

الأُخُوَّة الإيمانيَّة:

أعظم هذه الروابط الَّتي تربط بين النَّاس بعضهم وبعض هي الإيمان، الدين الَّذي يربط بين أبنائه برباط العقيدة، فليس هناك رباط أقوى من رباط العقيدة، وليس هناك عقيدة أقوى من عقيدة الإسلام، وهذه هي الأخوة الَّتي قال الله عنها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وفي قراءة أخرى: (**فَأَصْلِحُوا بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ**). هذه هي الأخوة الدينيَّة، أُخُوّة مبنية على عُروة الإيمان، العروة الوثقَى الَّتي لا انفصام لها، وأوثق عُرَى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله.

الله تعالى بعد أن ذكر لنا أنَّ المؤمنين قد تحدث بينهم انشقاقات وخلافات، حتَّى إن بعضهم يعارض بعضًا، بل يعادي بعضهم بعضًا، بل يقاتل بعضهم بعضًا، ولكن لا ينبغي لأهل الإيمان أن يتركوا هذا الأمر يستفحل، لا بدَّ أن يعملوا على وأده، لا بدَّ أن يصلحوا بين المتخاصمين، فهذا من حقوق الأخوة بين النَّاس بعضهم وبعض، النبيُّ ﷺ يقول: « **أَلَا أدلُّكم على أفضلَ من درجةِ الصلاة والصيام والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: «**إصلاحُ ذاتِ البَيْن؛ فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْن هي الحالقة**»[(١)]،

(١) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩١٨)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: حسن صحيح. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

«**لا أقول: تحلقُ الشعر؛ ولكن تحلق الدِّين**»[١]. ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. لا بدَّ أن يُقام العدل بين المتخاصمين، ويُعطَى كلُّ ذي حق حقه، ويغرم كل إنسان ما أتلفه على غيره، تقوم محكمة وتحكم بين الجميع بالعدل، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

هذه هي الأخوة الدينيَّة، وهي الَّتي ذكر الله فيها قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ذكر نعمة الله هنا مرتين، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. بالإسلام الَّذي ألَّف بين هذه القلوب المتباغضة، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. عزيزٌ غالب، لا يغلبه أحد إذا أراد شيئًا، وحكيم يضع الأمر في موضعه، هذا التأليف بين القلوب هو الأخوة الَّذي اعتبرها الإسلام نعمة لا تعادلها نعمة بعد نعمة الإيمان.

هما نعمتان إحداهما مترتبة على الأخرى، الأولى نعمة الإيمان، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، هذه نعمة الإيمان، وتثمر هذه النعمة نعمة

(١) سبق تخريجه صـ ٧٧.

QaradawiBooks.com

أخرى هي نعمة الأخوة على الإيمان، أخــوة المؤمنين بعضهم لبعض، فهذه أُخوة عظيمة بنت الإيمان، وأخت الإيمان، النبيُّ ﷺ يقول: «**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلمه**»(١). لا يُسْلمه أي لا يُفرِّط فيه، لا يتركه للظَّلمة يعتدون عليه، ويأخذون مالــه، ويعتدون على حُرُماته، لا يتخلَّى عنه أبدًا، «**ومــن كان في حاجةِ أخيه، كان الله فــي حاجته**»(٢)، «**واللهُ في عون العبد، ما دام العبدُ في عون أخيه**»(٣).

أخوة الإيمان توجب المحبة والإيثار:

هذه هي أُخــوة الإيمان الَّتي تجمع بيــن المؤمنين بعضهم وبعض، فيرى كل منهــم أن أخاه في العقيدة هو أخوه الحق، يُؤْثره على نفســه، يجود له بالشيء وهو محتاج إليه، يسهر لينام أخوه، يتعب ليرتاح أخوه، يقدم له الأمر الَّذي هو في أشــد الحاجة إليه، يفضله به ويؤثره به؛ كما وصف الله تعالى الأنصار في كتابه حينما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشــر: ٩]. يفضِّلون إخوانهم على أنفســهم، ولو كان بهم مجاعة وحاجة شديدة!

هذا هو الإيمــان الَّذي يصل بالمرء إلى الإيثــار، هناك إيمان يجعل بعض النَّاس الَّذين يحبهم من المؤمنين مثل قريبه، وبعضهم يجعله مثل

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

نفسه، «**لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه مثل ما يحبُّ لنفسه**»[١]، وأيضًا يكره لأخيه ما يكره لنفسه، وهناك مرحلة الإيثار يقدمه على نفسه، هذه درجات، فالإسلام أقام الأخوة الإيمانيَّة فأصبح النَّاس يؤثرون بعضهم على أنفسهم.

في بعض الغزوات عُرِض الماء على بعض من أصيبوا فقال له: أسمع أخي يئن فأعطه الماء. فيذهب إليه فيقول له: أسمع أخي يئن أعطه الماء. فيتركه ويذهب إليه، وهكذا يؤثر كل واحد أخاه، فعاد إلى الأول فوجده قد مات، فذهب إلى الثاني فالثالث فوجدهم ماتوا، وبقي الماء[٢]، كل منهم آثر أخاه بالماء، وهو في أشدِّ الحاجة إليه!

هذا ما جاء به الإسلام في هذه الأخوة الدينيَّة العامة، أُخُوَّة العقيدة، أخوة الإيمان، كونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله، «**لا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا**»[٣]، لا يعطي كل واحد قفاه للآخر، لا، أقبلوا بعضُكم على بعض، فقد وصف الله أهل الجنَّة بقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. ما معنى متقابلين؟ كل واحد يُقبل بوجهه على صاحبه، ولكن إذا كانوا كارهين بعضهم لبعض، كل واحد يعطي ظهره للآخر، لا يريد أن يراه، وليس هذا في الجنَّة، هكذا يريد الإسلام بهذه الأخوة الإيمانيَّة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨٠/٣٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣) (٢٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

آثار الأخوة الإيمانيَّة:

وهذه الأخوة الإيمانيَّة ظهرت آثارها في حياة المسلمين، وفي غزوات المسلمين، وفي فداء المسلمين بعضهم للآخر، ففي غزوة بدر أسر المسلمون سبعين مشركًا، كان منهم أبو عزيز بن عمير، أخو سيِّدنا مصعب بن عمير، أحد المهاجرين الأولين الأبطال، فلما استعرض النبي الأسرى، وجاء عند أبي عزيز بن عمير؛ قال له أخوه مصعب: إن أمه ذات مال كثير. أي شدِّد عليه لتدفع فيه مبلغًا يناسب ما لديها، وكان الَّذي يأسره واحد اسمه أبو اليسر. فقال له أبو عزيز: أهذه وصاتك بأخيك يا مصعب؟ فقال له: إنَّه اليوم أخي دونك[1]. أخي هو هذا الأنصاري، أمَّا أنت فمشرك، شركك يُنافي توحيدي، وكفرك يُنافي إيماني، وهو أصبح أخي، وأنا أريد له الخير، أريد أن يأخذ مبلغًا جيدًا، هكذا تكون الأخوة الإيمانيَّة!

صنع الإسلام أخوة الإيمان، هذه الأخوة العظيمة الَّتي يجب أن يعطيها النَّاس حقها، أخوة الإيمان لها حقها، حقها من المساواة، «**المسلمُ أخو المسلم**»[2]، لا فرق بين مسلم وآخر: غني وفقير، قوي وضعيف، متعلم وجاهل، كلهم مؤمنون، ينبغي أن يتساووا في مرتبة الإيمان.

التناصر من حقوق أخوة الإيمان:

وكلهم ينبغي أن يتناصروا، «**انصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». كانوا في الجاهليَّة يأخذون هذه الكلمة على ظاهرها، ابن القبيلة انصره مُحِقًّا كان أو مُبْطِلًا. فقالوا: يا رسولَ الله، ننصره مظلومًا فكيف ننصره

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٦٤٦/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٥.

QaradawiBooks.com

ظالمًا؟ قال: «**تمنعُه من الظلم، فذلك نصرُك له**»[١]. تنصره على هواه، وتنصره على شيطانه، تنصره بحيث يكون مع الحق لا مع الباطل، مع العدل لا مع الظلم.

التناصر مطلوب بين المسلمين بعضهم وبعض، أن ينصر بعضهم بعضًا، لا يجوز للمسلمين أن يتركوا إخوانهم في سوريا يُقتَّلون كل يوم، كل يوم يُقتل منهم العشرات، هؤلاء الجبابرة الظالمون الَّذين يقتلون الأسرة الواحدة، يضربون البيت بالصواريخ؛ فيقع على من فيه، تقتل الأم والأب والإخوة، فعلى المسلمين أن ينصروا إخوانهم المستضعفين، هذا ما يوجبه الإسلام عليهم، ولذلك نطالب من العرب ونطالب من المسلمين: أن يقفوا مع المظلومين ضد الظالمين.

نحن نرى للأسف بعض البلاد تقف مع الظالمين، إيران تقف مع الحكم الظالم في سوريا وتمده بالمال، وتمده بالسلاح، وتمده بالرجال عن طريق حزب الله في لبنان، تمد هؤلاء الظلمة بكل قوَّة، ونحن لا نمد إخواننا المستضعفين المقتولين المذبوحين، المضحين بأنفسهم وبأموالهم، فالتناصر مطلوب بين المسلمين بعضهم وبعض.

التكافل من حقوق أخوة الإيمان:

والتكافل مطلوب بين المسلمين بعضهم وبعض، أن يكفل بعضهم بعضًا، كل واحد يكفل إخوانه، ما معنى «**لا يُسلمه**» في قوله ﷺ: «**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمُه ولا يُسْلِمُه**»[٢]؟ كيف تترك أخاك عريانًا

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٥.

QaradawiBooks.com

ولا تكسوه؟ كيف تترك أخاك جائعًا ولا تطعمه؟ كيف تترك أخاك مشردًا ولا تؤويه؟ كيف تترك أخاك مريضًا ولا تداويه؟ كيف تترك أخاك جريحًا ولا تعالج جراحه؟ هذا ليس من الإسلام في شيء.

لا بدَّ أن يكفل المسلمون بعضهم بعضًا؛ لأنَّ المسلمين كالجسد الواحد، إذا اشتكى بعضُه اشتكى كلُّه، كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعَى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى**»[(١)]، «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا**»[(٢)]، هكذا قال النبيُّ ﷺ وشبَّك بين أصابعه، «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتِهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم**»[(٣)]. هكذا تتكافل الأمة: القوي يأخذ بيد الضعيف، والغني يُطعم الفقير، لا يُترك إنسان في ديار الإسلام يهلك جوعًا، وهناك من يجد الطعام، لا بدَّ أن يشترك النَّاس فيما عندهم، هذا هو المجتمع الإسلامي، «**ليس مِنَّا من بات شبعانَ، وجارُه إلى جنبه جائع**»[(٤)]، ليس بمؤمن، ليس منا، ليس من أمة الإسلام، كيف يشبع وبجواره جارٌ جائع، يكفي الإنسان نصف بطنه، ويعطي النصف الآخر لإخوانه من حوله، هذا هو التكافل الَّذي جاء به الإسلام.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٠٠.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠٠.

(٣) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

محبة أهل الإيمان:

بل جاء الإسلام بالمحبة، أنَّه يجعل الإنسان محبوبًا لأخيه، كل مسلم يجب أن يحب أخاه، وجعل النبي ﷺ هذا من الإيمان، «**لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[1]، لا يكون هذا الحبُّ إلَّا من الإيمان الحقيقي، لا يكون إيمانك كاملًا إلَّا إذا أحببت لأخيك ما تحب لنفسك، إذا كنت تحب لنفسك الشِّبَع فيجب أن تُشْبع أخاك، وإذا كنت تحب لها السِّتر فيجب أن تستره، وإذا كنت تحب لها الغِنَى فيجب أن تُغنيه.

وهكذا لا بدَّ من الأخوة الإيمانيَّة: الأخوة الإسلاميَّة بين أهل الإسلام جميعًا، أمة الإسلام الَّتي بلغت أكثر من مليار وثلثي المليار في العالم، هذه الأمة بعضهم لبعض إخوة، كل واحد أخٌ للثاني، لا يجوز لإنسان أن يقول: وماذا أفعل له؟ لا، هو أخوك، هو ينبغي أن يبحث عنك، وأنت ينبغي أن تبحث عنه، هذا مُقتضَى الأخوة الإسلاميَّة.

الأخوة القومية:

جاءنا الإسلام بهذه الأخوة الدينيَّة، ومع هذا جاء الإسلام بأخوة أخرى، نعتبرها الأخوة القومية أو الأخوة الوطنية، أنَّ النَّاس إذا كانوا من قوم أو من وطن واحد هم إخوة في الوطن أو إخوة في القومية، وإن لم يكونوا إخوة في الدين، ولذلك القرآن يقول: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، كيف يكون أخاهم، مع أنَّهم كفروا به

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٦.

وكذَّبوه، ولم يؤمنوا برسالته؟ ولكنَّه أخوهم لأنَّه من قومه، ولذلك يقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

القرآن يقول: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦]، ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢]، ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١]. كذبوه والقرآن يقول: أخوهم. أخوهم في القومية!

ثم قال: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]. لم يقُل: قال لهم أخوهم شعيب؛ لأن شعيبًا لم يكن منهم، ذهب إليهم بالدعوة؛ لكنَّه لم يكن منهم، ولذلك لم يناديهم بقومه، **وإنَّما** كان من قوم مدين، ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]. فهكذا بين لنا القرآن أن هناك صِلات تقوم على الأُخوَّة القومية، ولذلك حين أنكر عليَّ بعضهم أنِّي قلت: إخواننا الأقباط في مصر. قلت: هذا ما جاء به القرآن، فالأخوة هنا لأنَّنا من بلد واحد، من أصل واحد، فهناك الأخوة القومية والأخوة الوطنية.

الأخوة الإنسانية:

وهناك الأخوة الإنسانية العامة، أننا جميعًا أبناء أب واحد وأم واحدة، ألسنا جميعًا أبناء آدم وحواء؟ ولذلك القرآن يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٧]. والنبي ﷺ في حجة الوداع يقول: «**أيُّها الناس، إنَّ أباكم واحد، وإنَّ ربَّكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ،**

QaradawiBooks.com

ولا لعجميٍّ على عربي، ولا لأسودَ على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلَّا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]»[(١)].

الرب واحد كلُّنا عباده، والأب واحد كلنا بنوه، فنحن إخوة تجمعنا الآدمية، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. والأرحام هنا يمكن أن تكون الأرحام الطبيعية، أقارب الإنسان، أخوه وأخته، وعمه وعمته، وخاله وخالته وأبناؤهم، ويمكن أن تكون الأرحام الإنسانية، كما يقول الشاعر:

إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها بلادي وكلُّ العالَمِينَ أقاربي[(٢)]

هذا ما جاء به الإسلام في الأخوة الدينيَّة، والأخوة القومية والوطنية، والأخوة الإنسانية، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلا بد لنا أن نرعى العلائق فيما بيننا، سواء كانت علائق دينيَّة، أم علائق قومية ووطنية، أم علائق إنسانية عامة، فكل النَّاس بعضهم لبعض أقارب.

ولذلك لماذا يتعادى الناس؟ لماذا يتجافى الناس؟ لماذا يتقاتل الناس؟ وهناك لُحَم تشدهم بعضهم إلى بعض، فينبغي أن يستوثق الناس، وأن يعودوا ليتفاهموا وليتعارفوا، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، ليعرف بعضكم بعضًا، ويفهم بعضكم بعضًا، لا ليقاتل بعضكم بعضًا، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

(٢) وفيات الأعيان (٢٤٤/١).

QaradawiBooks.com

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

هناك عدة قضايا لا بدَّ لي أن أقول كلمة عن كل منها:

١ ـ زيارتي لتونس:

القضيَّة الأولى هي زيارة تونس، في الجمعة قبل الماضية زرت تونس حوالي ستَّة أيام، ومعي وفد من أكثر من عشرين عالمًا من علماء الأمة، بعضهم من مصر، وبعضهم من الكويت، وبعضهم من باكستان، وبعضهم من الصين، إخوة من كل البلاد ومن الخليج.

زُرنا تونس الشقيقة والحبيبة، وهي زيارة تستحق أن نتحدث عنها حديثًا أطول، ولكنِّي أقول: إنِّي وجدت تونس بخير، وجدت تونس الإسلاميَّة، أوَّل ما ذهبنا إليه تونس العاصمة، ذهبنا يوم الخميس، وفي ليلة الخميس اجتمع عدد هائل من النَّاس في الملعب الكبير (الإستاد) ما شاء الله، تونس مقبلة على الإسلام إقبالًا يسرُّ مَنْ نظر إليه، ابتسمت له ثغورنا، وانشرحت له صدورنا، واطمأنت به قلوبنا.

وذهبنا في اليوم التالي ومعي الأخ الشيخ راشد الغنوشي رئيس حزب النهضة الإسلامي، الَّذي أقام هذه الدولة الجديدة، وصنع هذه الثورة مع إخوانه المؤمنين، ذهبنا إلى جامع عقبة بن نافع بمدينة القيروان، وهو جامعٌ هائل كبير، امتلأ المسجد بكلِّ ما فيه، والآلاف خارج المسجد، وصلَّيْنا الجمعة، وجدنا النَّاس مشتاقين إلى من يتحدَّث عن الإسلام، يقبلون علينا بقلوبهم، وبألسنتهم الناطقة، وبثغورهم المبتسمة، وحمدنا الله تبارك وتعالى.

QaradawiBooks.com

وتركناهم إلى مدينة سوسة فوجدنا النَّاس في سوسة أعظم من النَّاس في القيروان، هنـــاك جامع ضخم جدًّا، امتلأ الجامـــع في الليل، وامتلأ ما حول الجامع، المدينة على بَكْـــرة أبيها أقبلت علينا، وتجد في وجوه النَّاس البشاشة والفرحة، وفي ثغورهم الابتسامة، مقبلون علينا، يريدون أن يســـمعوا عن الإســـلام، وأن يتعرفوا عن الإســـلام، وهكذا امتلأت صدورنا فرحًا وسرورًا.

ثم ذهبنـــا إلى مدينة قابس حيث الملعب أو الإســـتاد شـــيء هائل، ما وجدنا بلدًا إلَّا وهي أكبر ممـــن قبلها، ونحمد الله ﷻ أن تونس بخير أيُّها الإخوة، ثِقوا أن تونس إســـلاميَّة، كنا نظن أن هؤلاء أفسدوا البلاد، ولكنَّها غنية بالإسلام، الإسلام هو الأســـاس، فسرعان ما يعود الإسلام إلى أهلـــه إذا وجد الفرصة. أقبـــل النَّاس على الإســـلام، وذهب هؤلاء الطواغيت بآثامهم، لـــن يذهب أمرهم عنـــد الله، الله لا يضيع حقًّا أبدًا، سيأخذهم الله بما عملوا، ولكن بقي الشعب المسلم، فنحمد الله ﷻ.

وأقام الإخوة فـــي العاصمة مؤتمرًا، أقامه «الاتِّحـــاد العالمي لعلماء المســـلمين» حيث أقمنا هناك فرعًا للاتِّحاد الَّذي أصبـــح هنا في قطر، وأقمنا فرعًا له في ليبيا، وفرعًا له في مصر، وفرعًا له في لبنان، وفرعًا له في ماليزيا، وفروعًا في كثير من البلدان، وسينعم كل بلاد الإسلام؛ بأن يكون فـــي كل منها فرع للاتحاد العالمي لعلماء المســـلمين، فنحمد الله تبارك وتعالى على هذا، أقام هذا الفرع للاتحاد الَّذي افتتحناه بحمد الله مؤتمرًا لتجديد الفقه السياسي في الإسلام، اشـــترك فيه العلماء والَّذين جاؤوا من بلاد شتى وظلَّ ثلاثة أيام، واستأذناهم في أن نرجع في مساء اليوم الثالث.

QaradawiBooks.com

نحمد الله أيُّها الإخوة أن إخوانكم فـي تونس بخير، ثِقوا أنَّهم بخير والحمد الله، وسـيزدادون خيرًا، فالمؤمن بحكم الإيمان ومقتضاه: يزداد من خير إلى خير، حتَّى يكون منتهاه الجنَّة.

٢ ـ وقف الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين:

الأمر الثاني أننا أقمنا هنا في دولة قطر في الأسـبوع الماضي عشاء خيريًّا للرجال والنسـاء، لمـاذا؟ لأنَّنا أقمنـا الاتِّحـاد العالمي لعلماء المسلمين، وقام خلال السنوات الماضية على التبرعات من أهل الخير، وما أكثـر أهل الخير والحمـد لله، ولكنَّا أحببنا أن يكـون لهذا الاتِّحاد ما كان يصنعه المسـلمون في حضارتهم الإسـلاميَّة، أنَّهم إذا أرادوا أن يقيموا مشـروعًا كبيرًا جعلوا له وقفًا، فيسـتثمر الوقف ويُنفق من ريعه وعوائده على ما يقتضيه المشـروع، هكذا كان المسلمون، المشروعات العلميَّة والثقافيَّة، والصِّحِّيَّة والطِّبِّيَّة، المستشفيات، المدارس، الجامعات، الجوامـع، كل هذه الأشـياء كان لها أوقـاف، امتلأت الدُّنْيـا بأوقاف المسلمين، حتَّى جعلوا أوقافًا للخيول الَّتي تحارب، إذا شاخت وأحيلت للتقاعد يكون لها وقف ينفق النَّاس عليها منه، وأوقافًا للكلاب الضالة، وأوقافًا للقطط العمياء والمعُوقة، كل ما يخطر في بالك من الخير وقف المسلمون له أوقافًا.

ولذلك دعونا النَّاس في قطر وفي بعض البلد الأخرى مثل الكويت وغيرها من بـلاد الخليج، دعوناهم إلى أن يشـاركوا فـي هذا الوقف الخيري، والحمد لله حضر معنا في وقف الرجال نائب الأمير وولي العهد الشـيخ تميم بن حمـد آل ثاني حفظـه الله، وكان له ولمـن حضر من الإخوان مواقف طيِّبة في شراء أشياء جاء بها الإخوان ليُعقد عليها مزاد.

QaradawiBooks.com

وجمعنا والحمد لله أكثر من عشـرين مليونًا للرجال، وما يقرب من ذلك للنسـاء، ففي اليوم التالـي اجتمعت الأخـوات، وحضرت معهن الأخت هند ابنة الأمير حفظها الله، وكان لهـن دور، فاجتمع عندنا أكثر من أربعين مليونًـا، ولا زلنا نتوقـع المزيد، هناك كثيـرون من النَّاس وعدونا أنَّهم سيدفعون، هناك من يدفع الملايين، وهناك من يدفع مئات الآلاف، وهناك من يدفع عشرات الآلاف.

ويستطيع الواحد منكم أن يسـاهم في هذا الوقف ولو بألف ريـال؛ ليكون هذا له عند الله، كما يقـول النبي ﷺ: «**إذا مات ابـنُ آدم انقطع عمله؛ إلَّا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[1]. وعندنا الثلاثة: الصدقة الجارية الدائمة، والعلم الَّذي ينفع النَّاس؛ لأنَّ هذا الاتِّحاد ينشـر العلـم في أنحـاء العالم، ويقيـم علماء للأمة مستمرين، وهناك أيضًا الولد الصالح يتمثل في الأبناء الصالحين الَّذين نربيهم على الإسلام، فنحمد الله ﷻ على هذا الأمر.

ولا زال الباب مفتوحًا للمساهمة في هذا الوقف الخيري، ننادي أبناء قطر أن يسـاهموا بكل ما يسـتطيعون، لا تبخل على نفسـك ولا على آخرتك ولا دينك ولا على أمتـك بالمال، المال يذهب ولكن هذا يبقى لك عند الله.

قالوا: إنَّ الكنيسـة الكاثوليكية كانت تملك أيام الاتِّحاد السـوفيتي الملكية الثالثة، كانـت الملكية الأولـى للأمريكان، والملكيـة الثانية للاتحاد السوفيتي، والملكية الثالثة للكنيسة الكاثوليكية كنيسة الفاتيكان، لها من الأملاك والاستثمارات في العالم بعد أمريكا والاتحاد السوفيتي.

(١) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فماذا نملك نحـــن؟ فكونوا أنصـــارًا لدينكم، لا تبخلـــوا بدنياكم على آخرتكم.

٣ ـ الانتخابات الرئاسيَّة المصريَّة:

الأمر الثالث أيُّها الإخوة هو أمر مصـــر، انتهت الانتخاب في خارج البلاد كما كان هنا وانتهى أمس، ولكن لا تزال هناك أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، خمسة أيام لا تزال، حتَّى يأتي يوم الأربعاء القادم؛ لانتخاب رئيس مصر القادم.

مصر أكبر البلاد العربيَّة، هي الآن حوالي تســعين مليونًا، ورئيســها رئيس لأكبر دولة عربيَّة، ولذلك ينبغي أن يهتم النَّاس في مصر بانتخاب الرئيس، نريد أن ننتخب القوي الأميـــن، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، الحفيـــظ هـــو الأميـــن، والعليم هو القوي، والقوة قوَّة العلـــم والخبرة والكفاية، فانتخب القوي الأمين الَّـــذي تأتمنه على أمـــر البلد: علـــى أموالهـــا وأعراضها، ودمائهـــا وحُرماتها، ومصالحها وحاضرها ومســـتقبلها، لا بدَّ أن تنتخب الرجل القوي الَّذي يخشى الله، يخاف الله، ولذلك يجب أن تنتخب الإنسان الَّذي يرعى الشريعة الإسلاميَّة، لا يُهمل الشرع، يكون شرع الله دائمًا حاضرًا عنده.

ولذلك أنا أنصح النَّاس أن ينتخبوا الإســـلاميِّين، الإسلاميُّون الَّذين أعلنوا عن أنفســـهم ثلاثة: الدكتـــور عبد المنعم أبو الفتـــوح، والدكتور مُحَمَّد مرسي، والدكتور مُحَمَّد سليم العوَّا، يجب أن يُنتخب أحد هؤلاء، انتخب من تراه أقدر على تحقيق المصالح، أقـــدر على تجميع الناس، أقدر على إبعاد المشكلات عن الناس، أقدر على فهم الأمر، وأقدر صحَّة ونفسيَّة على تحقيقه، هذا ما ندعوك إليه.

QaradawiBooks.com

وأنت مطلوب للشهادة، فأنت بالانتخاب تقول: هذا أصلح من غيره لقيادة بلدي. فلا بد أن ترعى اختيار الأصلح حقًّا في نظرك، ما عليك إلَّا أن تجتهد وتسأل، وتقرأ وتعرف وتختار، وما عليك إلَّا هذا، تختار من تراه أقدر على تحقيق النهوض بالبلد، ويخشى الله ﷻ ويرعاه.

لا تختر أحدًا من الفلول، فهؤلاء أصحاب الزمن الماضي انتهوا، ولا يجوز للنَّاس أن يعيدوهم مرَّة أخرى، جربناهم ثلاثين سنة، خمسين سنة، سِتِّين سنة، جُرِّبوا ولم يأتوا لمصر بالخير، فنريد أن نغيِّر هؤلاء، لا يجوز أبدًا أن يُنتخب أحدهم.

انتخب من تراه، واجعل انتخابك لله، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]. اجعل الله غايتك فيمن تختاره، اختر العدل من الناس، ممن يقيم الحق، وينصر العدل، ولا يجوز لك أن تتخلف، أنا لا أبيح التخلف عن الانتخاب، فالانتخاب فرض، لو كل واحد تخلف فمن يختار إذن؟ لا بدَّ أن تؤدي الشهادة، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. هذا بنص القرآن، لا تأبَ تلبية الدعوة، لا تكتم الشهادة، ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]، كل مصري يجب أن يشهد، ويشهد بالحق، يشهد صاحب العدل، لا بدَّ أن يكون إنسانًا مقبولًا مرضيًّا عند الله وعند الناس، اشهد للشخص الخيِّر.

هذا هو الواجب على المصريِّين أن يفعلوه يومي الأربعاء والخميس القادمين إن شاء الله، ونسأل الله ﷻ أن يوفق إخواننا المصريِّين في اختيار أصلح الرجال لقيادة الأمة.

QaradawiBooks.com

٤ ـ الذكري (٦٤) لقيام دولة بني صهيون:

وهناك أمر آخر أيُّها الإخوة، هو أن قيام إسرائيل مر عليه أربعة وستُّون عامًا، وبهذه تحتفل إسرائيل، وإخواننا في فلسطين يحتفلون بمرور أربعة وستِّين عامًا على النكبة، نكبة فلسطين الأولى والكُبرى، النكبة الَّتي جعلت الفلسطينيِّين يتركون ديارهم بما فعل الإسرائيليُّون من مجازر، بقروا فيها بطون النساء الحوامل، أخرجوا الأجنة من بطون أمهاتهم، فعلوا بهم الأفاعيل الَّتي أرهبت الناس، وجعلتهم يتركون بيوتهم ويهربون على أنَّهم عائدون إليها بعد أيام أو أسابيع، ثمَّ انتهت الأيام والأسابيع إلى أربع وستِّين سنة؛ ولم يعد النَّاس إلى بيوتهم! لا زال كثير من الفلسطينيِّين يحملون مفاتيح بيوتهم بأيديهم، يريد أحدهم أن يعود إلى بيته، ولكن كيف يعود إلى بيته، وهو إما سكنه الساكنون، أو هدمه الهادمون!

قامت بلدٌ مقام بلد، جاء شُذَّاذ الآفاق من المشارق والمغارب، لم يكن لهم شيء في هذا البلد، بعض النَّاس يستغرب أن هذا البلد لم يكن فيه يهود قبل ذلك، نقول له: ارجع إلى التاريخ. فيرجع فلا يجد بلدًا اسمه إسرائيل، وإنَّما كان بلدًا اسمه فلسطين، هذا البلد قُسِّم بين الفلسطينيِّين وبين هؤلاء الغرباء الدُّخَلاء الَّذين جاؤوا من هنا وهناك، قرار التقسيم الَّذي عُرض على الفلسطينيِّين فرفضوه؛ لأنَّه أعطى الدُّخلاء أكثر ممَّا أعطى الأُصلاء، وبعدها قالوا: يا ليتنا قبلنا التقسيم. انتهى الأمر!

لا بد أيُّها الإخوة من العمل، فالحق حق والباطل باطل، والله ما عزَّ ذو باطل ولو طلع من جبينه القمر! والله لو أن إسرائيل وضعت الشمس في أيماننا، والقمر في يسارنا: ما زدنا على أنَّها مُبْطلة تقوم على باطل،

QaradawiBooks.com

والباطل لا يمكن أن ينتصر، سيظل أيامًا أو سنين ثمَّ يذهب، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ليس في القرآن، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل أن إسرائيل ستستمر، إسرائيل ستذهب؛ لأنَّها قامت على الظُّلم، قامت على البغي في الأرض، قامت على اغتصاب أرض النَّاس وأموالهم، وهي تفعل الآن الظُّلم المتجبر، الَّذي يُخرج النَّاس من ديارهم، ولا يُسمح لهم أن يبنوا بيوتًا حتَّى على أرضهم، الظلم المتجبر لا بدَّ أن يكون له نهاية، ونهاية إسرائيل لا بدَّ أن تكون قريبًا، نحن نتوقع إن شاء الله لهذا الظلم أن يزول، لا بدَّ أنَّه زائل.

لا تظلمنَّ إذا كنتَ مقتدرًا فالظلمُ ترجعُ عُقباه إلى النَّدمِ
تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ يدعُو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ[1]

عين الله لا تنام، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، سيُدمغ هذا الباطل، سيزْهَق هذا الباطل، سيذهب هذا الباطل، وسيُحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

ثِقوا أيُّها الفلسطينيُّون، وثِقوا أيُّها العرب، وثِقوا أيُّها المسلمون، وثِقوا أيُّها الأحرار والشرفاء في أنحاء العالم: أن هذا الظلم القائم، وهذا الباطل المتجبر المستكبر في الأرض، الَّذي يأكل النَّاس بأسنانه وأضراسه: لن يستمر، سيأخذه الله أخذَ عزيزٍ مُقْتَدِر، كما قال النبيُّ ﷺ:

(١) مطلع قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس، انظر: نفح الطيب للمقري (٦/٢٣٢ ـ ٢٣٤)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

«**إنَّ اللهَ ليُملي للظالم؛ حتَّى إذا أخذه لم يُفلته**». ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][1].

٥ ـ ثورة سوريا:

بقي أمر خامس هو أمر إخوتنا المظلومين، المستضعفين في الأرض، المذبوحين المقتولين، المضطهدين في سوريا، شعب سوريا قد ثار على الظلم منذ أكثر من سنة، منذ حوالي خمسة عشر شهرًا وهذا الشعب يرفض الظلم، الَّذي أقامه الوحش أو الأسد وأسرته؛ منذ ما يقرب من خمسين عامًا.

كل ظُلم لا بدَّ أن ينتهي، قام الربيع العربي، قامت ثورة تونس، وقامت بعدها ثورة مصر، وقامت بعدها ثورة ليبيا، وقامت ثورة اليمن، وقامت ثورة سوريا، ولا بدَّ أن تنتصر ثورة سوريا كما انتصرت الثورات الأربع قبلها، ليثق الأسد المتوحش القاتل الجبار الَّذي يقتل الناس: يقتل الشيوخ، ويقتل النساء، ويقتل الأطفال الصغار، يقتل النَّاس في البيوت، يدمرها عليهم، يقتل العائلات بكاملها، يقتل النَّاس أحياء، يعدم النَّاس بالرصاص، يقتل النَّاس بكل ما عنده من قوَّة، بالأسلحة الرشاشة، بالمدافع، بالصواريخ، بالدبابات، بالطائرات، بالبوارج الحربية، بكل هذه الأسلحة يقتل الناس، حتَّى مع وجود المندوبين من الأمم المتحدة، لا يبالي بهؤلاء، يقتل النَّاس أمامهم، هذا الحكم لم يعد له وجود، حكم على نفسه بأنَّه زائل.

يا أسد، يا وحش، لم يعد لك وجود، اذهب من سوريا، لم تعد سوريا وطنك، لم تعد سوريا أرضك، لم يعد شعب سوريا شعبك، كلهم ضدك، كلهم أعداؤك، كلهم يقولون: نريد الحرية، نريد الكرامة.

(١) سبق تخريجه صـ ٦٣

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لم يعد أحد يقبل الذُّل، لم يعد أحد يقبل الهوان على نفسه، أو أولاده أو أسـرته، أو جيرانه أو إخوانه، رفض الجميع الذُّل، فلا بد أن يذهب هذا الحاكم وأعوانه.

ارحل برجليك قبل أن يحاكمك هذا الشعب، سيأخذ حقه منك، قتلت الآلاف المؤلفة: قتلتهم فـي بيوتهم، وقتلتهم في الشـوارع، وقتلتهم في السـجون، وقتلتهم اليوم، وقتلتهم بالأمس في حماة، أكثر من ثلاثين ألفًا ضربتهم بالصواريخ، ماذا نعد لك من جرائم؟ جرائمك لا تُعَدّ، هي كثيرة كثيرة، اذهب أيُّها الطاغية، اذهب أيُّها الجبار، اذهب أيُّها القاتل، اذهب أيُّها السفاح، اذهب يا عدو الشعب، اذهب من هذا البلد، هذا البلد كله ضدك، العرب كلهم ضدك، المسـلمون كلهم ضدك، الأحرار والشرفاء في العالم كلهم أعداؤك، فاذهب وأرح النَّاس من شرك، وإلا فإن يومك قريب!

قَرُب يوم الظالمين، والله قَرُب يومهم، أراه أمامي، أرى مصرع هؤلاء الظلمة الطغاة السـفاحين قريبًا، وقريبًا جدًّا إن شاء الله، فليذهب هؤلاء، فإن الله لهم بالمرصاد، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۞ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۞ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۞ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

الله يرصد كل شيء، ويسجل كل شيء، ويراقب كل شيء، ويطَّلع على كل شيء، وكلُّ شيء عنده بمقدار، لا يغيب عنه سر ولا علانية، ولا تخفى عليه خافية، ثِقوا أن رب هذا العالم لن يُضيِّعه، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، حين يقطع

الله دابر الظالمين نحمد الله، فهو مُشْــرف على الكــون، لا يقر فيه الظلم أبدًا، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

اللهم إنَّا نســألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانــا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ اســترْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهمَّ هيِّئ لنا من أمرنا رشــدًا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ انصر إخوتنا في مصر، وانصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في سوريا، اللهمَّ انصر إخوتنا المجاهدين في سوريا، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مســتقيمًا، وانصرهم علــى الظالمين نصرًا عزيــزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم ســكينتك، وانشــر عليهم فضلك ورحمتك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهمَّ أعلِ كلمة الإســلام، وارفع راية القــرآن، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٢

أوَّل حقوق الأخوَّة: عدم الظلم

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا إيمان بلا أخوَّة:

تحدَّثنا في الخطبة السابقة عن الأخوة الإسلاميَّة، إحدى الدعائم والأسس الَّتي يقام عليها المجتمع المسلم، فلا مجتمع بغير إخاء، بل لا إيمان بغير إخاء: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. لما هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينة أقام مجتمعه الجديد على الربَّانيَّة، وعلى الأخوة: الأخوة بين المهاجرين والأنصار، والأخوة بين المسلمين جميعا بعضهم وبعض، وامتنَّ الله عليهم بذلك حين قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

منَّ اللهُ عليهم بنعمة الأخوة في هذه الآية، وفي الآية الأخرى حين قال لرسوله ﷺ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

حقوق الأخوة:

وللأخوة حقوق، ذكرها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، منها: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**» وفي رواية: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يَخْذُله، ولا يَحْقِرُه؛ بحسْبِ امرئ من الشَّرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرْضه**»[(١)].

المسلم أخو المسلم أينما كان، ومتى كان، في أي بلد كان، في أي زمان كان، من أي جنسية كان، لأي عنصر ينتسب، لأي لون كان لونه!

المسلم أخو المسلم. أنت في الشرق أخ لأخيك المسلم في الغرب، أنت في بلاد العرب أخ للمسلم في بلاد العجم، لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وعجمي، ولا بين غني وفقير، ولا بين عنصر وعنصر، ولا بين لون ولون، ولا بين طبقة وطبقة، المسلم أخو المسلم. «**كونوا عباد الله إخوانا**»[(٢)]. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وإذا كانوا إخوة، فإن لبعضهم على بعض حقوقا:

أوَّل الحقوق عدم الظلم:

وأوَّل هذه الحقوق: أنَّ المسلم لا يظلم المسلم: بل المسلم لا يظلم أحدًا، لا يظلم مسلمًا ولا مشركًا، بل لا يظلم إنسانًا ولا حيوانًا، حتَّى الحيوان الأصمِّ الأعجم لا يجوز لك أن تظلمه، لا يجوز لك أن تؤذيه بغير حقٍّ، لا يجوز أن تتطاول على مخلوق من مخلوقات الله تبارك وتعالى. فكيف بالإنسان الَّذي كرمه الله تبارك وتعالى؟

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٤٣)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**دخلت امرأة النَّار في هِرَّة، حبستها حتَّى ماتت، فلا هي أطعمتَها، ولا هي تركتها تأكلُ من خَشَاشِ الأرض**»[١] من أجل هرَّة دخلت النَّار، فما بالكم بمن ظلم بني آدم؟! ما بالكم بمن اعتدى على أناس كرمهم الله وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلًا؟ ما بالكم بمن ظلم الإنسان المكرم، اعتدى عليه في دمه أو عرضه أو ماله أو شيء يهمه؟ الظلم محرم ولو كان ظلما لبهيمة فكيف بظلم الإنسان؟

المسلم من سلم منه الناس:

«**المسلم مَن سلم النَّاس من لسانه ويده**»[٢]. النَّاس كل النَّاس يسلمون من لسانه ويده، فلا يظلم أحدا في قول، ولا يؤذي أحدا في فعل، لا تمتد يده بسوء إلى إنسان، ولا لسانه بأذى بإنسان، المسلم لا يظلم أحدا، فكيف يظلم المسلم، كيف يظلم أخاه المسلم، كيف يعتدي عليه؟ إنَّ الظلم كبيرة من الكبائر العظمى!

بعث الرسل لإقامة العدل:

جاء الإسلام يقر العدل في الأرض، بل بُعث الرسل جميعا لإقامة العدل بين الناس، اسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. أنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النَّاس بالقسط، أي بالعدل. هكذا بعث الله الرسل جميعا وأنزل الكتب كافَّة لإقامة القسط والعدل في الأرض.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٨٩٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٩٩٥)، وابن حبان (١٨٠) ثلاثتهم في الإيمان، عن أبي هريرة

QaradawiBooks.com

الله هو العدل:

الله تعالى اســمه العدل، وهو يحب من عباده أن يعدلوا ويقسطوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وهو يكره الظلم ويحرمه، وقــد حرم الظلم على نفســه، مع أنَّه مالك الملك، وخالق الخلق، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولكنَّه حرم الظلم على نفســه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

ولهذا قال في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفســي، وجعلتُه بينكم محرَّمًا، فلا تظالموا**»[(١)]. لا يظلم بعضكم بعضا، لا يجوز أن تُــدلَّ بقوتك، أو بمالك، أو بجاهــك، أو بما لك من نفوذ وسلطان فتتطاول على غيرك، فتؤذيه بلســانك أو بيدك أو بنظرة احتقار من عينيك: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

الظلم ظلمات يوم القيامة:

لا يجوز أن تظلم أحدا، إياك والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، «**الظلم ظلمات يوم القيامة**»[(٢)]. لا يمكن للعدل ﷻ أن يدع مظلوما دون أن يقتص له من ظالمه.

في يوم القيامة تنشــر الدواوين، وتنصب الموازين، ويأخذ كل ذي

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٨)، وأحمد (١٤٤٦١)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

حق حقه، حتَّى إنَّه يقتص «**للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[١]. الشاة الَّتي كان لها قرون ونطحت شـــاة أخرى يقتص منها، حتَّى الحيوانات يقتص منها في هذا اليوم، ثـــمَّ يقول الله لها: كوني ترابا. فتكـــون ترابا، فيقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

العدل عام وشامل في هذا اليوم، كل يأخذ حقه، ولهذا حثنا الرسول أن نتحلل من المظالـــم في الدنيا: «**إذا كان لأحدكـــم عند أخيه مظلمة، فليتحلل منهـــا قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينـــار**»[٢]. يتحلل منه، يطلب منه الســـماح قبل أن يأتي القصاص في يوم لا يتعامل النَّاس فيه بالدرهم ولا بالدينار.

ليس هناك درهم ولا دينار ولا ريال ولا دولار، وإنَّما هو الحسنات والسَّيِّئات، العملة المتداولة في ذلك اليوم الحسنات والسَّيِّئات، من كان له حق كيف يأخذ حقه؟ يأخذ حقه من حسنات من ظلمه، من صلاته من صيامه من صدقته من حجه من ذكره من تســـبيحه من أي عمل خير له، حتَّى إذا نفدت حســـناته، وفرغ رصيده، أصبح رصيده صفرا، وبقي من أصحاب الحقوق من له حق، ماذا يفعلون؟ لا يتنازل أحد في هذا اليوم عن حقه، ولا لأبيه، ولا لأخيه، لأن كلا يقول: نفسي نفسي: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

إذا بقي لأصحاب الحقوق شـــيء، يقولون: يا ربنا، نفدت حسناته، فنيت حسناته، وبقيت حقوقنا. فيقول: اطرحوا من سيئاتكم على سيئاته. فيطرح عليه من السَّيِّئات حتَّى يلقى في النَّار وبأس القرار، والعياذ بالله.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٢)، وأحمد (٩٣٣٣)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

احذر من إفلاس يوم القيامة:

الظلم ظلمات يوم القيامة، كم من إنسان كان له حسنات في الدُّنْيا فجاء مفلسا يوم القيامة، ضاعت كل حسناته، وذهب كل رصيده لتوفية أصحاب الحقوق، لأنَّه ضرب هذا، وشتم هذا، وأكل مال هذا، وهتك عرض هذا، وأخذ من هذا وهذا، فهذا يطالبه، وهذا يطالبه حتَّى لا يبقى له شيء، هذا هو المفلس كما سماه رسول الله ﷺ[1]. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. الظلم ظلمات يوم القيامة!

والظلم أيضا له عقباه في هذه الدُّنْيا، فإن الله كثيرًا ما يعجل العقوبة للظالمين، حتَّى يكونوا عبرة لغيرهم.

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كنتَ مُقْتَدِرًا فالظُّلْمُ مَرْتَعُه يُفْضي إلى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ[2]

كان بعض السلف يقولون: إياك واثنتين، فإنَّهما يسريان بالليل والنَّاس نيام: دمعة اليتيم ودعوة المظلوم[3]. يسريان بالليل والنَّاس نيام.

اتَّقِ دعوة المظلوم ولو كان كافرًا:

أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن فكان ممَّا أوصاه: «**اتَّقِ دعوة المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجاب**»[4]. بل جاء في الحديث:

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨١)، وأحمد (٨٨٤٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤١٨)، عن أبي هريرة.

(٢) ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صـ١٨٤.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العيال (٦١٣)، من قول أبي الدرداء. تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، نشر دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٩٩٠م.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن معاذ.

QaradawiBooks.com

«**اتَّقُوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا، فإنَّه ليس دونها حجاب**»[١]. حتَّى وإن كان كافرًا، لأنَّه إذا دعا عليك دعا بحرقة، دعا بحرارة، دعا دعوة المضطرِّ، فتتفتح له أبواب السماء.

جاء في الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد والترمذي: «**ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصائمُ حتَّى يفطر، والإمامُ العادل، ودعوةُ المظلوم، يرفعها الله فوق الغَمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعِزَّتي لأنصرُنَّك ولو بعد حين**»[٢].

الله ينصر المظلوم، وخاصَّة إذا كان هذا المظلوم ضعيفًا لا ظهر له، ولا ناصر له، كما جاء في الحديث القدسي: «**اشتدَّ غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري**»[٣]. الإنسان الَّذي يطمع فيه كل أحد؛ لأنَّه ليس من قبيلة تشد أزره، ليس له من النَّاس من يقوي ظهره، ليس له في البشر من يحميه، هذا حاميه هو الله تبارك وتعالى. اشتد غضب الله على من ظلم مثل هذا الضعيف.

يروى أنَّ امرأة عجوزًا كانت تمشي في طريق من الطرق في بعض البلاد، فضرب بعض

الناس الشيء الَّذي تحمله على رأسها، فدعت الله ﷻ. قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يقدِّس أمَّةً لا يُعطُون الضعيفَ منهم حقَّه وهو**

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٣.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٣.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٧١)، والأوسط (٢٢٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٠٦٦): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه مسعر بن الحجاج النهدي، كذا هو في الطبراني، ولم أجد إلَّا مسعر بن يحيى النهدي، ضعفه الذهبي بخبر ذكره له. عن علي بن أبي طالب.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مُتَعْتَع»[١] لا يقدس الله أمة ولا يبارك فيهـا إذا ضاع فيها الضعيف، ولم يستطع أن يأخذ حقه من القوي غير متتعتع.

ولهذا كان أوَّل ما قال أبو بكر حيـن ولي الخلافة: الضعيف فيكم هو القوي عندي حتَّى آخذ الحق له، والقوي فيكم هو الضعيف عندي حتَّى آخذ الحقَّ منه[٢]. ظلم الضعيف، ظلم من لا يجد له ناصرا غير الله تبارك وتعالى.

جاء فيما يحكيه الصالحـون، أن امرأة أرملة لا أهـل لها ولا زوج ولا ولد، كان لها كوخ بجانب قصر ملك، وأشـار المشـيرون على هذا الملك أن يأخذ هذا الكوخ، ويضمه إلى القصر، فإن منظره بجانب القصر مشـوه له! عرض الملك على هذه المرأة أن تبيـع كوخها، ويجزل لها الثمن، فأبت، وقالت: هذا ميراثي مـن أهلي وأجدادي، وهو عزيز عليَّ ولا أبيعه بشيء. فأشار المشيرون على هذا الملك ألا يبالي بهذه المرأة، فخرجت لحاجة من حاجاتها، فلما عادت لم تجد أثرا لكوخها، هدم في لحظات، فماذا تقول؟

لم تجد إلَّا باب السماء، فرفعت يديها إلى السماء، وقالت: يا رب، إذا كنتُ أنا غائبة، فأين كنتَ أنت؟ فأين كنـتَ أنت؟ ودعت الله تعالى دعاء المضطرين، وسمعها من سمعها تدعو فسخر منها! ولكن الله تعالى استجاب لها، وأرسل من ملائكته من أخذ هذا القصر على جناحه فجعل عاليه سافله.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٢/١٠)، والأوسـط (٤٩٤٩)، وقال الهيثمـي في مجمع الزوائد (٧٠١٣): رجاله ثقات.

(٢) ذكره ابن هشام في السـيرة (٦٦١/٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤١٤/٩)، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

استجاب الله لهذه المظلومة، وحقق دعائها، وقد قال القائل:

أَتَـهْـزَأُ بـالـدُّعَـاءِ وتَـزْدَرِيـهِ ... ومَـا يُدْرِيكَ مَـا صَنَـعَ الدُّعَاءُ
سـهامُ الليـل لا تُخْطِـي ولَكِنْ ... لهـا أمـدٌ.. وللأَمَـدِ انْقِضَـاءُ
فيُمْسِـكُها إذا ما شـاء ربـي ... ويرسـلها إذا نفـذ القضـاءُ[1]

الله يمهل ولا يهمل:

إنَّ لها أوامر، لا تظنّ أنَّ الله قد نسي وأهمل، إنَّه يمهل ولا يهمل، في الحديث الصحيح: «**إنَّ الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفْلته**» ثمَّ تلا قول الله تعالـى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][2]. يملـي للظالم، يمهله، يرخي له العنان، يسـتدرجه ولكنَّه لا يهمله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]. قد يتركهم مـدة من الزمن حتَّى يظنوا أنَّهم في مأمن من الله، ثمَّ يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

اسمعوا قول الله تعالى في شأن قوم من هؤلاء: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعـام: ٤٤، ٤٥]. نعمة عظيمة يحمد الله عليها حينما يقطع دابر الظالمين، لأن وجودهم في الأرض مفسـدة كبرى، فيها تضيع الحقوق، وفيها ينفر النَّاس من عبادة الله، ولا يمكـن النَّاس مـن إقامة ديـن الله وعـدل الله، والحمد لله ربِّ العالَمِين.

(١) ذكرها الأبشيهي من غير نسبة في المستطرف صـ١١٧، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
(٢) سبق تخريجه صـ٦٣.

QaradawiBooks.com

لا تكنْ عونًا لظالم:

إيَّاك أن تظلم، لا تظلم أحدًا في ماله، ولا في عرضه، ولا في نفسه، ولا في أي شيء يحرص عليه ويتَّصل به، لا تظلم ولا تكن عونا لظالم، لا تظلم ولا تكن عونا لظالم، لا تكن يدا لظالم يبطش بها، لا تكن لسانا لظالم تتكلم باسمه، لا تكن أذنا لظالما تتسمع له، لا تكن عينا لظالم تتجسس لحسابه! لا تكن مع ظالم في شيء من الأشياء! فإن ناره توشك أن تحرقك، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. مجرد الركون إلى الظلمة، الميل إليهم يقربك إلى النَّار حتَّى تمسك، وتفقد ولاية الله لك، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾.

ولذلك كان النبي ﷺ يقول: «**لا يقفَنَّ أحدُكم موقفًا يُقتل فيه رجلٌ ظلمًا؛ فإنَّ اللعنة تنزل على مَن حضره حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفنَّ أحد منكم موقفًا يُضْرَب فيه أحد ظلمًا، فإنَّ اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه**»[1]. ليست اللعنة مقصورة على من قتل أو ضرب، بل من شاهد، من حضر الظلم كان شريحا في الإثم.

جنود الظلمة شركاء في الظلم:

قال الله تعالى عن جنود فرعون: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]. فرعون ظالم،

(١) رواه الطبراني (٢٦٠/١١)، والبيهقي في شُعب الإيمان (٧٥٨٠)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب (٣٧٠٥)، وضعَّفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧١٠): رواه الطبراني، وفيه أسد بن عطاء، قال الأزدي: مجهول، ومندل وثَّقه أبو حاتم وغيره، وضعَّفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات. والألباني في غاية المرام (٤٤٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وجنوده ظالمون لأنَّهم أعوانه وآلاته، وقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]. أتباع الظالم ظلمة، ولهذا حين سجن الإمام أحمد رضي الله عنه ظلما، وامتحن في فتنة خلق القرآن، وأوذي وعذب، سأله السجان الَّذي عليه قائلا: الأحاديث الَّتي وردت في أعوان الظلمة صحيحة؟ قال: نعم. قال: فهل تجدني من أعوان الظلمة؟ قال: لا، لست من أعوان الظلمة، أعوان الظلمة من يطهو لك طعامك، ويغسل لك ثيابك، أمَّا أنت فمن الظلمة أنفسهم[١]!

فانظروا، كل من شارك في ظلم بوجه من الوجوه فهو ظالم أو عون لظالم. الظلم كبير، الظلم ظلمات يوم القيامة، والظلم في الدُّنْيا يؤدي إلى الهلاك والخراب، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢].

يقول الإمام ابن تيمية: إنَّ الله يبقى الدولة الكافرة بالعدل، ويزيل الدولة المسلمة بالظلم[٢]. يزيل الدولة ولو كانت مسلمة بالظلم، ويبقي دول الكفر إذا قام فيها العدل. الله يحب أن يقام العدل بين عباده، حتَّى تعمر الأرض وتبقى الحياة: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

انصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا:

يا أيُّها الأخ المسلم: احذر أن تظلم! من حق المسلم عليك ألا تظلمه، إياك أن تظلمه بلسان أو يد أو جارحة، بل كن ناصرا له ضد

(١) صيد الخاطر صـ٤٣٥، تحقيق حسن المساحي سويدان، نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٦/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الظلم: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**». قالوا: يا رسولَ الله، هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: «**تأخذ فوق يديه**»[١]. أو: «**تمنعُه من الظلم، فإن ذلك نصرُه**»[٢]. وقال ﷺ: «**إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم؛ فلم يأخذوا على يديه: أوشك أن يعُمَّهم الله بعقاب منه**»[٣]، وفي الحديث الآخر: «**إذا رأيت أُمَّتِي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تُوُدِّعَ منهم**»[٤]. لا خير فيهم، بطن الأرض خير لهم من ظهرها، وموتهم خير من حياتهم، وعدمهم من بقائهم، إذا لم يوجد في الأمة من يقول للظالم: يا ظالم. من يحذره من ظلمه.

أمة لا تستحق الحياة إذا ساد فيها الظلم، وقوي فيها بأس الظالمين، ولم يعد هناك من يستطيع أن يقول للظالم: يا ظالم! فكيف إذا كان النَّاس يقولون للظالم: أيُّها البطل، أو أيُّها العظيم! أو أيُّها المحرر! إلى آخر ما يقولون للظلمة من الناس!

نسأل الله ﷻ أن يبعدنا عن الظلم، وأن يكفينا شر الظالمين، وألا يجعلنا ظالمين ولا عونا لظالمين، إنَّه سميع قريب، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى ل ولكم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٤)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ٥٢.

(٤) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

عدل دولة الإسلام الأولى:

إنَّ المسلمين في القرون الأولى، حينما أكرمهم الله تعالى بالإسلام أقاموا العدل في الأرض، سادوا البلاد بالعدل، نشروا العدل في الدُّنْيا، وحرروا الشعوب من المظالم الَّتي كانوا يعيشون في ظلها تحت حكم الأكاسرة والقياصرة، الفرس والرومان، إنَّما انتشر الإسلام بإقامة العدل.

رأى علي بن أبي طالب درعه عند رجل يهودي، سقطت منه الدرع، والتقطها رجل يهودي، وعرفها علي، فقال: هذه الدرع لي! فقال: يا أمير المؤمنين: لست عندي بكاذب، ولكن الدرع درعي!

فماذا يفعل أمير المؤمنين، لم يأمر الشرطة أن تأخذ منه الدرع، ولكنَّه احتكم معه إلى القضاء، إلى القاضي شُريح، ذهب أمير المؤمنين واليهودي كلاهما مختصمين إلى شُريح، فقال شريح لأمير المؤمنين صاحب الدعوى: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. وفي رواية قال له: ابني الحسن! قال: لا يشهد الابن لأبيه! قال: ما تقول يا يهودي؟ فقال: درعي وفي يدي! فحكم بها له، فسار خطوات ورجع، ثمَّ قال:

أمَّا إنِّي أشهد أن هذه الأحكام أحكام أنبياء، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك، فالتقطها، وأخذتها لنفسي، أمَّا وقد رأيت ما رأيت، أمير المؤمنين يرفعني إلى قاضيه، فيحكم القاضي لي ضد أمير المؤمنين، أمَّا إن هذا عدل الله الَّذي جاءت به الرسل، أمَّا إنِّي

QaradawiBooks.com

أشهد ألا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدا رسول الله! فقال علي رضي الله عنه: أمَّا وقد أسلمت فهي لك[١].

هذا هو عدل المسلمين، هذا هو عدل الله، وقد نزلت تسع آيات في القرآن الكريم تبرئ يهوديا اتهم ظلما بسرقة، اتهمه جماعة من المسلمين، ونزل القرآن يبرئه ويعاتب النبي ﷺ على همه بالدفاع عن المسلم، ويقول له: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٧، ١٠٨].

هذا هو عدل الإسلام الَّذي نرجو أن ينتشر بين المسلمين، وبه يعودون سادة كما كانوا ويستحقون التمكين في الأرض، نسأل الله عز وجل أن يجعل يومنا خيرا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خير من يومنا، وأن يُحْسِنَ عاقبَتَنا في الأمور كلِّها، وأن يُجِيرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

* * *

(١) رواه البيهقي في آداب القاضي (١٣٦/١٠)، عن الشعبي.

QaradawiBooks.com

١٣

الأقارب في القرآن الكريم[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في موضوعنا حول القرآن الكريم، والموضوعات الَّتي يتعرض لها في شؤون الدين والحياة والأحياء، وعن الفرد والأسرة والجماعة، والأمة والدولة والعالم، تحدثنا عن علاقة القرآن بالألوهيَّة والتوحيد والأسماء الحسنى، وتحدثنا عن علاقة القرآن بالآباء والأمهات، والأبناء والأولاد، والإخوة والأخوات، ونتحدث اليوم عن الأقارب في القرآن الكريم.

أولو القربى وأولو الأرحام:

يتحدث القرآن عن الأقارب تحت اسم (أولي القربي) أو (الأقربين) أو (أولي الأرحام)، كل هؤلاء حديث عن الأقارب، وللقرآن اهتمام بالغ بتوثيق العلاقة بين الأقارب بعضهم بعضًا، وبيان حقوق بعضهم على بعض، ووجوب الصلة بينهم، وتحريم التفريط فيما بينهم من حقوق،

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وجعل قطع الأرحام ممَّا يحرمه القرآن، الله ﷻ يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بعد حق الله تعالى وحق الوالدين بحق الأقربين، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، بعد حق الله يأتي حق الوالدين، ويأتي بعد حقهما حق الأقربين، حق الإخوة وقد تحدثنا عنهم، وبعد الإخوة يأتي الأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم من ذوي الرحم.

حقوق أولي القربى:

يأمر الله تعالى بحق ذوي القربى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فالأقربون لهم حق في الزكاة وما بعد الزكاة، والنبيُّ ﷺ يقول: «**الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ ثِنْتان: صدقةٌ، وصلة**»[(١)].

(١) رواه أحمد (١٦٢٣٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (٦٥٨)، وقال: حديث حسن. والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨)، عن سلمان بن عامر الضَّبي.

QaradawiBooks.com

إذا أنفقت على قريبك ذي رحمك يكون لك أجران: أجر الصدقة، وأجر صلة الرحم.

الأقربون لهم حق عظيم في الإسلام، لأن قرابتك هم جناحك الَّذي به تطير، وأصلك الَّذي إليه تصير، وقوتك الَّتي بها تصول، وقدرتك الَّتي بها تجول! العرب يقولون:

أخـاكَ أخـاكَ إنَّ مـن لا أخَا له كسـاعٍ إلى الهَيْجَا بغيرِ سِـلَاحِ

وإنَّ ابنَ عـمِّ المَرْءِ فاعلمْ جَناحُهُ وهل ينهضُ البازي بغيرِ جَناحِ[1]؟

هل يسـتطيع طائر البازي أن ينهض أو يطير بغير جناح؟ ابن عمك جناحك، وابن خالك جناحك، وابن خالتك وأقاربك هم أجنحتك الَّتي بها تطير، فلا بد أن يهتم الإنسان بأقاربه.

نحن في عصر للأسف أصبح كلُّ إنسان يهتمُّ بنفسه فقط، ولا يهتمُّ بأحدٍ غيره، أصبح المثل السائد بين الناس: العم غم، والأخ فخ، والخال وبال، والأقارب عقارب. وهذا ليس من الإسلام في شيء!

الأقارب لهـم حقوق، وهم أقرب النَّاس إليـك، وأولى النَّاس بك، وأحق النَّاس بمعونتك وبرحمتك، يجب أن ترحمهم كما ترحم الآخرين وقبل الآخرين، ولذلك كانت وصية الله تعالى ووصية رسوله ﷺ: العناية بالأرحام، العناية بذي القُربـى، بالعصبة أولاد العمومة، والأرحام أولاد الخؤولة، كل هؤلاء أقاربك، لا يجوز لـك أن تعرض عنهم، وأن تقف وحدك دونهم، لا، الإسـلام جعل لهم حقًّا في الميراث، وجعل عليهم حقًّا في أن ينفقوا على ذوي القربى.

(١) من شعر مسكين الدارمي. انظر: الأمثال لابن سلام صـ١٨١، نشر دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

QaradawiBooks.com

كيف يكون لك حق على رحمك وقريبك وتتركه وتقول: ما لي به شأن، أنا أخرجت زكاتي! كيف تترك قريبك يهلك عريًا، ويهلك جوعًا، ويهلك ظمأً، ويهلك تشردًا لا مال له، ولا ثياب له، ولا كسوة له، ولا غذاء عنده، وأنت عندك المال، وعندك الدرهم والدينار، وتقول: أنا أخرجت زكاتي؟!

ليست الزكاة هي الحق الوحيد:

الزكاة هي الحق الأول في المال، ولكنَّها ليست الحق الآخِر، هناك فرائض بعد الزكاة، ولذلك يجب أن تنفق على قريبك، ألست ترث منه في بعض الأحيان، إذا لم يكن له أب ولا أم، ولا أخ ولا أخت، ولا ابن ولا بنت: ترث أنت منه!

والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، المولود له هو الأب عليه رزقهن وكسوتهن بالمعروف، حتَّى في حالة الطلاق، ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ما دام يرث من الإنسان ويكسب من ورائه فالمغنم بالمغرم، لا بدَّ أن تنفق ما دام قريبك يحتاج إلى النفقة له ولزوجه ولأولاده، وما دام معسرًا وأنت موسر، وهو فقير وأنت غني، وهو عاجز وأنت قادر، يجب أن تقوم عليه بالنفقة، ولذلك كان سيِّدنا عمر يفرض النفقة على العصبة، ولم يخالفه أحد من الصحابة[١]، بل على ذي الرحم أيضًا، كما هو مذهب الإمام أبي حنيفة[٢]، وما قاله الإمام

(١) عن سعيد بن المسيب: أن عمر حبس عصبة صبي على أن ينفقوا عليه، الرجال دون النساء. رواه أبو عبيد في الأموال (٥٩٥)، تحقيق خليل محمد هراس، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن الشيباني (١٥٢/٣، ١٥٣)، تحقيق مهدي حسن الكيلاني، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

QaradawiBooks.com

ابن القيم بصريح العبارة[١]، لا يجوز لذي الرحم أن يترك أرحامه، ويترك أقاربه، وقد آتاه الله المال والثروة، كيف يكون للإنسان مال ويرى ابن عمه أو ابن خاله أو ابن خالته، أو خالته أو خاله: لا يجد ما يقوته، ويتركه؟! هذا ليس من الإسلام في شيء.

مسؤولية الغني نحو أقاربه الفقراء:

كان شيخنا الدكتور مُحَمَّد يوسف موسى يدرس الدكتوراه في فرنسا، وكان يسكن مع مجموعة من الشباب، وكانت تخدمهم فتاة يظهر عليها أنَّها جادة، فسألوها: من أنت؟ قالت لهم: أتعرفون المحل التجاري الكبير الكائن في شارع كذا؟ قالوا: نعم. قالت: هذا محل عمي. قالوا: عمك شقيق أبيك؟ قالت: نعم. قالوا: ويتركك تخدمين في بيوت العزاب الأجانب؟!

قالت: وماذا عليه نحوي، هل عندكم ما يوجب عليه شيء نحوي؟ قالوا: عندنا الإسلام يوجب على العم أن ينفق على ابنة أخيه؛ إذا كانت عاجزة وهو قادر، وإذا كانت معسرة وهو موسر، وهو عنده المال وليست عندها شيء. قالت: لو كان هذا عندنا ما رأيتم هذه الجيوش من النساء تقوم مبكرًا من الفجر وتذهب إلى المصانع، وتذهب إلى البيوت، وتذهب إلى كل مكان[٢]. هذا ما جاء به الإسلام، جاء بحق النفقة للأقارب بعضهم مع بعض.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٨٨/٥)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه صـ٣٠٤.

QaradawiBooks.com

صلة الرحم ليست عصبية جاهلية:

ولكن ليس معنى هذا أن يكون الأقارب عصبة بعضهم مع بعض ضد غيرهم دون حق، هذه هي العصبيَّة الجاهليَّة الممقوتة، أن تعين قومك على الظلم، أن تتكتل معهم ضد النَّاس الآخرين، هذا ليس من الإسلام في شيء، «**ليس مِنَّا من دعا إلى عصبيَّة، وليس مِنَّا من قاتل على عصبيَّة، وليس مِنَّا من مات على عصبيَّة**»(٣)، الإنسان الَّذي ينصر عصبة أو يغضب لعصبة، هو وجماعته إذا قتلوا فقتلتهم جاهلية، وموتتهم جاهلية، هذا من أمر الجاهليَّة، وليس من الإسلام في شيء، التعصب لابن العمِّ والأقارب وإن كانوا على باطل، «**انصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، كيف تنصره ظالمًا؟ «**أن تمنعَه من الظلم**»(٤)، هكذا فسَّرها النبيُّ ﷺ: «**تمنعه من الظلم**»، نصرته على نفسه، على هواه، على عصبيَّته، حتَّى لا يقف ضدَّ المظلومين.

ليست صلة الرحم في الإسلام إذًا عصبيَّة جاهلية ممقوتة، لا، لا يكون الإنسان مع أقاربه في الباطل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥]، لا تكن مع قومك بالباطل على الآخرين، لا، كن معهم بالحق لا بالباطل، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، إذا عرفت أنَّهم من

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٣٥)، عن جبير بن مطعم.

(٤) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

أهل النَّار فلا يستحقون الاستغفار، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، قال له: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

فليست صلة الرحم عصبيَّة مع القوم ضد الآخرين، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، الكفار الَّذين يعادون أهل الإيمان، ولا يضمرون لهم حبًّا ولا سلامًا، هؤلاء يجب أن تقاطعهم.

أمَّا إذا كان الكفار مسالمين للمسلمين فلم يمنع الإسلام ولم ينهَ المسلمين أن يبروهم كما قال تعالى في شأن المشركين: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، هم مشركون ولكن لا يقاتلون المسلمين في الدين، ولا يخرجونهم من ديارهم، ولا يظاهرون على إخراجهم، فهؤلاء لم ينهَكم الله عن برهم، والبر كلمة جعلها الله خاصَّة بالوالدين (بر الوالدين)، لم ينهكم الله عن هؤلاء الكفار ما داموا مسالمين معكم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، تعدلوا معهم، فالله يحب منكم أن تعدلوا معهم بأن تعطوهم حقهم، وتبروهم بأن تعطوهم فوق الحق.

هذا ما جاء به الإسلام، لم يجئ بعصبيَّة همجية كعصبيَّة الجاهليَّة، لا يجوز للمسلمين أن يكونوا عصبة ضد غيرهم لمجرد العصبيَّة، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ليس هذا ضد الكفار

QaradawiBooks.com

غير المسلمين، لا، وإنَّما هو ضد الَّذين يحاربون الله ورسوله، يعادون الإسلام، هؤلاء من حقِّنا ـ بل من واجبنا ـ أن نعاديهم، أمَّا الَّذين لا يعادون المسلمين فنحن معهم، لا ينهانا الله أن نبرَّهم ونقسط إليهم، هذا ما جاء به الإسلام.

الإسلام يأمر المسلمين أن يكونوا أبرارًا مع النَّاس جميعًا، ولا يعادوا النَّاس لمجرد مخالفتهم في الدين؛ بل عليهم أن يجمعوا أقاربهم وإخوانهم ليكونوا عصبة لنصرة الحق، ومقاومة الباطل، وتأييد العدل، ورفض الظلم، ونشر المحبة بين النَّاس بعضهم وبعض، هذا ما جاء به الإسلام.

قطع الأرحام من عمل الظالمين:

جاء في الحديث الصحيح: «**إنَّ الله لما خلق الخلق وفرغ منهم، قامت الرحمُ فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة! فقال الله تعالى: ألا تَرْضَيْنَ أن أَصِلَ من وَصَلَكِ وأقطعَ من قطعك؟ فقالت: بلى. قال: فذلك لك**». ثُمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣][(١)].

الإفساد في الأرض وتقطيع الأرحام هو عمل الظلمة الجائرين، هؤلاء يقطعون الأرحام، ويفسدون العلاقات بين الناس، ويلوثون الحياة، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾. ولا يجوز أن يكون هذا شأن المؤمنين أبدًا، فالمؤمنون يصلون أرحامهم، وغير المسلمين هم الَّذين يقطعون أرحامهم، هم الَّذين قال الله فيهم:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٠)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، والأرحام أمر الله بها أن توصل، لم يجز قطعها حتَّى وإن أساء الأقارب.

ليس الواصل بالمكافئ:

إن أساؤوا فأحسن إليهم، إذا قطعوك فصلهم؛ كما جاء في الحديث الصحيح: «**ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ الَّذي إذا قُطِعَتْ رحمُه وصلها**»[١]. هذا يُسَمَّى الواصل؛ لأنَّه يصل ما قُطع من رحمه، «**أن تَصِلَ من قَطَعَكَ، وتُعْطِي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمَكَ**»[٢]، هذه هي مكارم الأخلاق الَّتي يجب أن تكون بين النَّاس جميعًا، وبين الأقارب خاصَّة، ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤]، أولى النَّاس بهذا هم أقاربك، أرحامك، أوصل النَّاس بك، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٦]. الَّذين تبنوا أبناء في الجاهليَّة يقول لهم: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥]. أمَّا من ثبت نسبه وتأكدت صلته فلا بد أن يأخذ حقه الَّذي أثبته القرآن، وأثبتته السنة، وأثبتته أحكام الإسلام كلها.

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، وأحمد (٦٥٢٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الحاكم في البر والصلة (١٦١/٤، ١٦٢)، وسكت عنه هو والذهبي. عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

حقوق ذوي القربى المعنوية:

يجب علينا أيُّها الإخوة أن نرعى قرابتنا، نرعاهم في الله ﷻ، قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. بعد أن بدأ أوَّل الأمر يدعو النَّاس سرًّا هو وأصحابه قال له: أنذر على الملأ. وجمع بطون قريش، وأعلمهم أنَّه رسول الله إليهم خاصَّة وإلى النَّاس كافَّة، فأذعنوا له ولم يتكلم منهم أحد؛ إلَّا عمه أبو لهب وقال له: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟! فكان بئس القريب، هو عمه ولكنَّه أساء هذه الإساءة فنزل القرآن يدافع عن مُحَمَّد ﷺ، ويهاجم أبا لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ ـ ٥][(١)]. هو عمه، ولكنَّه بئس العم، أساء إليه، كان يمشي يحذر النَّاس منه، ويقول: هذا كذَّاب، لا تسمعوا له[(٢)]. فهذا لم يرعَ حق القرابة.

أمَّا أبو طالب فإنَّه لم يؤمن بمحمد كما نعتقد نحن أهل السنة، عرض عليه الإسلام حتَّى وهو في فراش الموت فأبى، وقال بأنَّه على ملة عبد المطلب، ولكن ظل يدافع عن رسول الله ﷺ، ووقف ضد قريش

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٧٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨)، عن ابن عباس.

(٢) كما في حديث ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهليًّا أسلم، فقال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز، يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إلٰه إلَّا الله، تفلحوا». ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدًا يقول شيئًا، وهو لا يسكت، يقول: «أيها الناس قولوا: لا إلٰه إلَّا الله تفلحوا». إلَّا أن وراءه رجلًا أحول وضيء الوجه، ذا غديرتين يقول: إنَّه صابئ، كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب. رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٠٢٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

حينما طلبوا منه أن يعطيهم محمد، ويعطونه بدلًا عنه ما يشاء من فتيانهم، أبَى أبو طالب، ولم تنل قريش الإيذاء من الرسول إلَّا بعد موت أبي طالب، وقد مات هو وخديجة في عام واحد، فسماه النبي ﷺ (عام الحزن)، فقد فيه الاثنين: الَّذي يدافع عنه في الخارج، والذي يؤويه ويؤنسه في الداخل، فكان عام الحزن!

كان النبي ﷺ ينذر عشيرته الأقربين، جمع بني هاشم وبني المطلب، أقرب فئات قريش إليه، وقال: «**إنَّ الرائدَ لا يكذبُ أهلَه**»[1]. والله لو كَذَبْتُ النَّاس جميعًا ما كذبتكم، ولو غررتُ النَّاس جميعًا ما غررتكم. وقال كلامًا كثيرًا: «**واللهِ لتموتُنَّ كما تنامون، ولتبعثُنَّ كما تستيقظون، ولتحاسبُنَّ بما تعملون، ولتجزَوُنَّ بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنَّها لَجَنَّة أبدًا أو لَنارُ أبدًا**»[2]. أقربهم إليه، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، هكذا كان ﷺ يحاول أن يُبلِّغ الأقربين أكثر ممَّا يُبلِّغ غيرهم؛ لما لهم من حق عليه.

أبو بكر وصلته ابن خالته مسطح:

وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه حينما تعرضت ابنته عائشة الصديقة بنت الصديق، أحب النَّاس إلى رسول الله ﷺ، حينما تعرض لها المنافقون بحديث الفتنة: حديث الإفك الَّذي زوروا عليها به ما زوروا، واتهموها بالباطل، بصحابي من أجلِّ الصحابة، وأبعدهم عن كل فُحش: صفوان بن المُعطَّل، وقالوا النَّاس ما قالوا!

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٥٩/١)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) المصدر السابق.

QaradawiBooks.com

وكان ممن ولغوا في هـذا الباطل أحد أقارب سـيِّدنا أبي بكر، ابن خالته: مسطح بن أثاثة، وكان أبو بكر رضي الله عنه يعطيه من ماله نفقة شهرية له، فحلف ألا يعطيه شيئًا بعدما حدث منه في شأن عائشة؛ فمن شأن الإنسان أن يغضب لعرضه ولأهله، ولأولاده ولبناتـه، ولكن الله تبارك وتعالى لم يـرضَ ذلك لأبي بكـر، فحينمـا نزلت الآيات في سـورة النـور مُبرِّئة لعائشة رضي الله عنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]. إلى آخر هـذه الآيات، وكان من هذه الآيـات: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النـور: ٢٢]، لا يحلف أولو الفضل والسـعة: أن يمنعوا أولي القربى ما كانوا يعطونه إياهم من قبل، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النـور: ٢٢]. سـمع ذلك أبو بكـر فقال: بلى نحـب أن يغفر الله لنـا. وعاد إلى مسـطح وقال له: سـيأتيك ما كنت أعطيك من قبل[1]. كظم غيظه، وعفا عن هذا الَّذي ظلم ابنته وافترى عليها، وآتاه ما كان يعطيه.

هكذا الإسـلام يرتفع بالناس عن هذه الضغوطـات العصبيَّة، ليس الإسلام عصبيَّة جاهلية، الإسلام فوق ذلك، الإسـلام يريد نفسًا شفافة صافية تحب الله، وتحب رسـوله، وتحب الخير لكل الناس، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هكذا جاء الإسلام.

يريد الإسلام أن يكون الأقارب بعضهم مع بعض قوَّة في الحق، قوَّة لنصرة العدل، قوَّة لتكون مع الضعيف، لتكون ضد الظالم، هكذا يريد منا الإسلام.

(١) إشارة إلى حديث عائشة المتَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠).

QaradawiBooks.com

نصيب أولي القربى من الميراث:

الموضوع موضوع كبير، جاء به القرآن ليقيم هذا الحق العظيم، وهذه المنزلة الرفيعة، منزلة صلة الأرحام، وإيتـــاء ذوي القربى في الميراث، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النســاء: ٧]، لهـــم حقوق في الميراث معروفة.

ولهم أيضًا نصيب في الوصية، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، حتَّى لو لم يكـــن لهما ميراث، هـــب أن رجلا تزوج أبوه امـــرأة من أهل الكتاب، ليس لها ميراث، ولكن لهـــا الوصية، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾، الوصية مفروضة لمن لا ميراث له من الأقربين، لإخوتـــك أيضًا، لو كانت المرأة متزوجة واحدًا قبل ذلك، ولها أولاد منه غير مسلمين، هم إخوة لك فعليك أن تعطيهم مـــن هذه الوصية، وأنْ تعطيهم من الهبات والأشـــياء الأخرى، للقرابة حقوق ولو كانوا غير مسلمين، هذا ما جاء به الإسلام العظيم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي معكم في هذه الخطبة عدة كلمات:

انتخابات الرئاسة في مصر:

الكلمة الأولى عن مصر، قامت مصر بانتخابها بالأمس وأول أمس، والحمد لله كان انتخابًا عظيمًا، والذي يبدو من النتائج الأولية المعلنة عن الانتخابات أنَّ الدكتور مُحَمَّد مرسي مرشح الإخوان المسلمين هو الرجل الأول في الانتخاب، ولكنَّه لم يحصل على أغلبية حاسمة، فلا بد أن يعيد الانتخاب مع آخر، من هو هذا الآخر؟ لم يتبين حتَّى الآن.

إذا كان هذا الآخر من الفلول مثل شفيق وأمثاله من هذا النوع؛ فيجب أن يسقط ويرسب، يجب أن يتفق النَّاس كلهم ضده، لا يجوز لمصر أن يحكمها إنسان ممن لوثوا الحياة السياسية، أفسدوا حياة الناس، سرقوا المال ونهبوه، انتهكوا الحرمات، ضيعوا هذا البلد ثلاثين سنة أو ستِّين سنة، لا يجوز لهؤلاء أن يعودوا مرَّة أخرى بأي حال، وإلا قامت ثورة ثانية، لا بدَّ من رفض هؤلاء الظالمين الجائرين، كيف يجوز لهم أن يعودوا مرَّة أخرى؟

كان يجب أن يقوم قانون يمنعهم لمدة عشر سنوات، هذا هو الَّذي يحدث في كل بلد ثوري، ولكن الأمور في مصر ليست كما نريد، فاستطاع هؤلاء وهم مدعومون من الداخل ومن الخارج ومعهم أموال ومعهم رجال أعمال، ومعهم دول تمدهم بالملايين والبلايين،

QaradawiBooks.com

اســتطاعوا أن يشــتروا كثيرًا من الأصوات، وأن يأتــوا بالناس الَّذين يؤيدون النظام السابق، هناك أناس انتفعوا من النظام السابق ولا زالوا ينتفعون؛ فأيدهم هؤلاء!

لو فُرض أن هذا الرجل جاء مع مُحَمَّد مرســي؛ فيجب أن يرســب أمامه، على كل من يحرص على دينــه، ويعمل على إرضاء ربه، ويعمل لآخرته، ويعمل لمصلحة بلده، يجب عليه دينًا وشرعًا وخلقًا: أن يجتهد لإسقاط هذا الظالم، ثمَّ يجتهد بعد ذلك فيمن يكون رئيسًا.

نحن نؤيد الإســلاميِّين، لا نقبل من يرفض الشــريعة الإســلاميَّة، الشريعة هي مرجع الحكم الإسلامي، نحن لا نريد حكمًا دينيًّا ثيوقراطيًّا كهنوتيًّا يســتأثر فيه رجال الدين بالحكم، لا، الَّــذي يحكم النَّاس هم الأكفاء، ســواء كانوا رجال دين أو رجال دنيا، هذا هــو الَّذي ينبغي أن يكون، ولكن ينبغي أن يكون المرجع هو الشريعة الإسلاميَّة، من يرفض هذا يجب أن يقال له: لا. فنحن نؤيِّد الإسلاميِّين.

أدعو المصريِّين في مصر كلها إلى الاضطــلاع بمهمتهم، الَّذين في الخارج انتهت مهمتهم، الَّذيــن في الداخل هم الَّذيــن عليهم المهمة، والمهمة تأتي في الإعادة، وفي الإعادة إفادة، نستطيع أن نتدارك ما فاتنا في الجولة الأولى.

وإذا كانت الإعادة بين مرشَّحيْن إســلاميَّيْن ـ الدكتور مُحَمَّد مرسي والدكتــور عبد المنعم أبو الفتــوح مثلًا ـ فمن حــق كل ناخب أن يرى الأحقَّ منهما، ويرى الأصوب منهما، ويرى الأكثر تجميعًا للنَّاس منهما، وينظر لهذا الأمر بما يرضي الله تبارك وتعالى، هذا هو الموضوع الأول.

QaradawiBooks.com

ثورة سوريا:

الموضوع الثاني هو الإخوة في سوريا، نحن مع الشعب السوري في محنته، نحن نشد أزره، نحن نسند ظهره، نحن نقف وراءه باليد، باللسان، بالقلب، بدموع أعيننا، بدمائنا، نحن بكل ما نملك مع هذا الشعب، لأنَّه شعب مظلوم، شعب يعاني الأمرَّين.

هذا الشعب تأتينا صوره فنرى هؤلاء الجنود القساة الَّذين لا يستحقون إلَّا اللعنة، الَّذين يعملون لنظام فاسد، أعوان الظلمة، كلاب جهنم، هؤلاء الجنود يضربون النَّاس على وجههم بالأحذية، ويركلونهم بالأقدام، يضربون النَّاس في بيوتهم، يضربون النَّاس في الشوارع، يقتلون النساء، يقتلون الشيوخ، يقتلون الأطفال، يُعذِّبون الأطفال، هؤلاء النَّاس لا آدمية لهم.

هؤلاء النَّاس زائلون قطعًا، والله العظيم هم زائلون، مهما ظن هؤلاء سيذهب الأسد أو الوحش، هو وحش مفترس، الوحوش خير منه، الوحوش لا تؤذي النَّاس ولا تأكلهم إلَّا إذا جاعت، أمَّا هؤلاء فهم يأكلون النَّاس جائعين وشبعانين، يبتلعون الناس، يسفكون دماء الناس، يهتكون حرمات الناس، وأعراض الناس، وينهبون أموال الناس، هؤلاء لن يبقيهم الله.

هناك مندوبون من الأمم المتحدة، ولكنَّهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا أمام هذا الظلم الَّذي يرونه، الشعب يُداس ويهان ويُضرب ويُقتل، كل يوم عشرات يُقتلون من هذا النظام الَّذي يضرب النَّاس بالمدافع الثقيلة، بالدبابات، بالطائرات والصواريخ، بالبوارج الحربية، بالبلطجية أو الشَّبِّيحة.

QaradawiBooks.com

هؤلاء الظالمون لا يمكن أن يبقوا، الله تعالى سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ادعوا عليهم أيُّها الإخوة، ادعوا عليهم بالليل والنهار، ادعوا عليهم في سجودكم، في صلواتكم، في خلواتكم، أن يأخذهم الله أخذًا أليمًا شديدًا، أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، أن يُنزل عليهم بأسه الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، ادعوا على هؤلاء، من واجبنا أن ندعو على كل ظالم وطاغية، وهؤلاء أظلم الظلمة، وأطغى الطغاة، ولا يمكن أن يتركهم الله ﷻ، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، سيأخذ الله هؤلاء، سيقطع دابر الظالمين، هؤلاء ظلموا ظلمًا شديدًا، وكل يوم يزدادون ظلمًا، يتفاقم ظلمهم أكثر فأكثر، وكلما تفاقم الظلم أنزل الله عقوبته على هؤلاء.

وأنا أدعو الإخوة الَّذين يعملون في الجيش السوري، أدعو كل إنسان حر، كل إنسان شريف، كل إنسان عنده ضمير مؤمن، يخشى الله، ويخاف الله، ويرجو الآخرة: أدعوه أن يترك هذا الجيش بكل ما يستطيع، البقاء في هذا الجيش جريمة، لا تُبقِ نفسك أيُّها الجندي أو أيُّها الضابط في هذا الجيش وترتكب جريمة، تعين الظالمين على قتل إخوانك وأخواتك، وأقاربك ومواطنيك المؤمنين، الَّذين لا ذنب لهم إلَّا أنَّهم ينادون بالحرية والكرامة، هل هذه جريمة، أن نقول: نريد الحرية، نريد الكرامة للشعب السوري؟ هل يُجرم الإنسان أن يقول: ربي الله؟ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، هؤلاء يقولون: ربنا الله، ومطلبنا الحرية، متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]؟

(١) قاله عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص. انظر: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ١٩٥.

QaradawiBooks.com

نريد من الإخوة السوريين في الجيش النظامي: أن يخرجوا من هذا الجيش بكل شجاعة، وينضم بعضهم إلى بعض في الجيش الحر، هذه رسالتي إليهم، ونداءي لهم جميعًا، كل الأحرار في الجيش السوري، أناديهم على بَكْرة أبيهم: أن يتخلوا عن هذا الجيش الظالم، ويرضوا الله تبارك وتعالى، ولا يرضوا الظالمين!

فهؤلاء لن يرضى الله تعالى عنهم، سيأخذهم الله في دنياهم وأخراهم، من أراد أن يتخلص من عذاب الدُّنْيا ومن عذاب الآخرة ومن عقاب الله؛ فليرفض هذا الجيش، ولينضم إلى الجيش الحر؛ ليدافع عن بلده، ليدافع عن شعبه، ليدافع عن المظلومين، ليدافع عن البرآء، هذه دعوتي إلى الإخوة الأحبة في سوريا، وأبشرهم بأنَّ النصر قد قرب إن شاء الله! وعلى هذا الوحش أن يترك سوريا ويذهب، وإلا فإن المصير لا بدَّ أن يأتيه، سيذهب كما ذهب القذافي وعليه اللعنة، سيأخذه الله كما يأخذ الظالمين المتجبرين، وما ذلك على الله بعزيز.

ثورة اليمن:

الأمر الثالث أيُّها الإخوة يتعلق بإخواننا في اليمن، الإخوة في اليمن نصرهم الله على عدوهم، ولكنَّهم مع هذا النصر لا زالوا في حالة شديدة، حالة من البؤس، حالة من الفقر، حالة من الحاجة.

وقد اجتمع أنصار اليمن في الرياض الأسبوع الماضي، وقرروا أن يعينوا اليمن بأربعة مليارات، وما أحوج اليمن إلى هذه المليارات الأربعة اليوم قبل الغد، والغد قبل بعد الغد، الشعب في حاجة شديدة، هناك مليون طفل يعانون خطر المجاعة، ترى صورهم في التليفزيونات، هياكل عظمية ليس فيها لحم، هناك ثلاثمائة ألف طفل

QaradawiBooks.com

معرضون للموت اليوم أو غدًا، هذا الشـــعب في حاجة إلى من يعينه، في حاجة إلى من يقوته.

وأول من يجب أن يقوته هم العرب والمسلمون في كل مكان، عليهم أن يعينوا الشـــعب اليمني، هذا الشـــعب الَّذي وقف ضد الحكم الظالم، رأيناهم خلال هذه الشـــهور الطويلة أكثر من سنة وهم يقاومون الطغيان، يقاومون الجبروت الَّذي وقف بأســـلحته، يقاوم هـــؤلاء الَّذين يتعرضون للقتل والأذى، يقفون في الشـــوارع، ويبيتون في الشوارع، وينامون على الأرض خلال هذه الشهور الطويلة، رجالًا ونساءً، وكبارًا وصغارًا، وأغنياء وفقراء، ومن كل الفئات، عرَّضوا أنفســـهم للموت، وكـــم قُتل منهم من قُتل، وبقوا صامدين إلى اليوم، يجب علينا أن نساند هذا الشعب.

وأقول لكل من يريد أن يفرق هذا الشعب: هذا الشعب شعب واحد بشماله وجنوبه، يجب أن نحرص على وحدته، لا يجوز أن نفرقه أبدًا، هو شعب يمني في الشمال أو في الجنوب، يجب أن يبقى شعبًا واحدًا.

ونقول للَّذِين يريدون أن يقلقوا هذا الشعب من الحوثيين ومن رجال القاعدة: مـــاذا تريدون يا قـــوم؟! النَّاس يريدون أن يأكلـــوا، يريدون أن يعيشوا، اتركوا هذا الشعب، ليعمل الكل على أن يشبع هذا الشعب من جوع ويأمن من خوف، اعملوا على ســـد فراغ هذا الشعب، أعطوه لقمة يتعيش منها، أعطـــوه ما يعيش به، اتركوا هذا الشـــعب ليحيا. يجب أن يقف الجميع ضد هؤلاء جميعًـــا: الحوثيين، والقاعدة، وكل من يريد أن يحيد بهذا الشعب عما يريد، يجب أن نقف ضده.

الشـــعب اليمني من حقه أن يعيش، وأن يعيش كما تعيش الشعوب، يجب أن نفتح لهذا الشـــعب أماكن في بلادنا ليعمل، فهو شعب عامل،

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن يكون له حق في العمل قبل غيره من الشعوب البعيدة، الأقربون أولى بالمعروف، هذا هو المنطق الإسلامي.

دور قطر في حماية الثورة الليبية:

وهناك أمر رابع، هذا الأمر الَّذي قرأتموه في صحف اليوم في قطر، لم يكن الكثيرون يعرفون أن قطر كان لها دورها مع الشعب الليبي، ليبيا الَّتي انتصرت على القذافي، الَّذي كان يملك المال في يده، ويملك الرجال: كتائب القذافي الَّتي جاء بها من هنا وهناك من أنحاء أفريقيا، تنتسب إليه، يرأسها أولاده، انظروا إلى هذا الشعب! أمواله في يد رجل واحد! سلاحه في يد رجل واحد! جيشه في يد رجل واحد وأولاده! أي شعب هذا؟!

أراد القذافي في وقت ما أن يغير على بنغازي، وكانت بنغازي قد أعلنت تمردها، ووقفت ضد كتائب القذافي هؤلاء، فأراد القذافي أن يضربهم بالطيران، ويقذفهم من السماء، وهنا في هذا الوقت قبل أن يدخل النيتو قامت قطر بواجبها، وأرسلت قوَّة سمتها (قوة الواجب) إلى ليبيا تمثل قطر، فكان هؤلاء هم الفداء، هم الَّذين يقومون بحق هذا الوطن العزيز، وبهذا الشعب الكريم، قاموا بحق قطر وبحق البلاد العربيَّة في نصرة المظلومين، وفي الوقوف ضد الظالمين المتألهين في الأرض، وكان النصر بحمد الله.

حيَّا الله قطر، وحيَّا الله أمير قطر، وحيَّا الله حكومة قطر، وحيَّا الله جيش قطر، وحيَّ الله شعب قطر، وحيَّا الله كل من أيد المظلومين ضد الظالمين.

QaradawiBooks.com

ونسأل الله ﷻ أن يتم النعمة على إخواننا في ليبيا، وأن يجتمعوا على قلب رجل واحد. لا يجوز لهم أن يقف بعضهم ضد بعض، كلهم وقفوا ضد الظلم، وانتصروا على الظلم، فلا يجوز أن يتعصب أحد لقبيلته أو لإخوانه ضد الآخرين، لا عصبيَّة في الإسلام، كلنا قلب واحد، ويد واحدة، ولسان واحد، إلى هذا أدعو إخواننا في ليبيا، وأشكر إخواننا في قطر.

وأسأل الله تبارك وتعالى لأمتنا أن يجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهمَّ إنَّا نسألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهمَّ انصر إخوتنا في مصر، وانصر إخوتنا في سوريا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنا في الأردن، وانصر إخوتنا في الجزائر، وانصر إخوتنا في المغرب، وانصر إخوتنا في نيجيريا، وانصر إخوتنا في باكستان، وانصر إخوتنا العاملين للإسلام في كل مكان، اللهمَّ إنَّا نسألك أن تنصرهم وتؤيدهم بروح من عندك، وأن تحرسهم بعينك الَّتي لا تنام، اللهمَّ أتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك يا أرحمَ الراحمين، اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٤

الصداقة والعداوة في القرآن الكريم[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، الَّتي يتحدث عنها خلال سوره وآياته، نتحدث اليوم عن الصداقة والعداوة في القرآن الكريم: من توالي؟ ومن تصادق؟ ومن تعادي كما يأمر القرآن الكريم؟

مصادقة الأخيار الطيبين:

يريد القرآن الكريم أن تصادق الأخيار الطيبين، الَّذين لا يضمرون لك شرًّا في صدورهم، ولا يمدون إليك أذًى بألسنتهم أو بأيديهم، وإنَّما يكنون لك الحب، ويضمرون لك الخير، ويعينونك في الشدائد.

فما أكثرَ الإخوانَ حين تَعُدُّهم ولكنَّهم في النائباتِ قليلُ[٢]

هؤلاء القليل هم الَّذين يحرص عليهم الإسلام لتصادقهم، لتضع

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١ يونيو ٢٠١٢م.

(٢) البيت للإمام الشافعي، كما في مناقب الشافعي للبيهقي (٦٠١/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

يدك في أيديهم، لتكون عونًا لهـم، ويكونوا عونًا لك، «**المؤمنُ للمؤمن كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا**»(١).

ابحث عن المؤمنين، عن أهل الإيمان، عن أهل الدين، صادقهم، كُن لهم محبًّا، فالمحبة هي أعظم ما في الوجود، هي النائب عن العدل، إذا وجدت المحبة لا يحتاج النَّاس إلى العدل، إنَّما يحتاج النَّاس إلى العدل حينما يفقدون المحبة فيما بينهم، إذا تحابَّ النَّاس تعاونوا، وإذا تعاونوا عدلوا، وإذا عدلـوا عملـوا، وإذا عملوا عَمَـروا، وإذا عَمَـروا عُمِّروا وأسعدوا، المحبة والولاية مطلوبة بين الناس، أن يوالي بعضهم بعضًا، وأن يصادق بعضهم بعضًا، وأن يُكثروا من الأصدقاء.

جـزى اللهُ الشـدائدَ كلَّ خيـرٍ عرفتُ بها عَدُوِّي من صديقي(٢)

استكثروا من الأحبة الصادقين:

اعرف صديقك، واعرف عدوك، مَنْ هو الَّذي يصدقك، سيِّدنا علي رضي الله عنه يقول: استكثروا من الإخوان والأحبة؛ فإنهم ينفعون في الدُّنْيا والآخرة، ألا ترون إلى قول أهل النار: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٩ ـ ١٠١]. في الآخـرة يبحث النَّاس عـن الأصدقاء؛ فلا يجد الكافرون صديقًـا حميمًا، لأن الَّذيـن كانوا يصادقونهم فـي الدنيا؛ كانوا يصادقونهم من أجل المنفعة يحصلون عليهـا، ومن أجل اللذة يقتنصونها، وليست الآخرة لهم منفعة ولا لذة، ولذلك يهجرونهم وينكرونهم.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٠٠.

(٢) البيت لأمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي، أمير تونس الموحدي، كما في أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر صـ٩٨، تحقيق د. محمد رضوان الداية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

QaradawiBooks.com

يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضًا، ومأواهم النار، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]. اتخذوا الأوثان مودة بينهم في الحياة الدُّنْيا، هذه المودة لا تدوم في الآخرة.

من تدوم مودته في الدُّنْيا والآخرة:

ابحث إذنْ عمن تدوم مودته في الدُّنْيا والآخرة، الله تعالى جعل بيوت الأصدقاء كبيوت الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، قال: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١]. تأكل من بيت أبيك وأخيك وعمك، وتأكل من بيت صديقك، صديقك هو مثلك، بل هو أنت، إنَّه يمثلك إذا كان صديقًا حقًّا، يسره ما يسرك، ويسوؤه ما يسوؤك.

لا تبحث عن صديق ظالم، الله تعالى يقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]. إياك أن يكون صديقك أو خليلك ظالمًا يعتدي عليك ويعتدي على الناس، هذا لا يؤمَن أبدًا، عندما تحوط بك المصائب وتنزل بك الشدائد سيفرُّ منك، سيتفلت منك ولا يعرفك، سيتنكر لك، بعد أن كان عندك كل يوم يُغاديك ويُراوحك، ويُماسيك ويُصابحك يصبح شيئًا آخر!

ما كان لله دام واتصل:

صديقك ووليُّكَ هو الإنسان الَّذي يحبك لله، ويصادقك لله فلا يتركك أبدًا، لأن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، إذا أحبك

QaradawiBooks.com

لله فالله باقٍ، الله حيٌّ لا يموت، الله دائـــم لا يفنى، فتظل محبته معك دائمًا، أمَّا الَّذي يحبك لدنيـــا فالدنيا قد تتركك، ومن يحبـــك لمنصب فقد تترك المنصب، ومن يحبك لشبابك فشبابك يذهب وتشيخ، ومن يحبك لصحتك فالصحيح قد يمرض، والقوي قد يضعف، الدُّنْيا تتغير، والحياة تتطور.

ابحث إذن عمن يحبك لله، فوالِهِ لله، وصادقه في الله، هذا هو الصديق الَّذي وصفه النبي ﷺ بأنَّه جليس الخير، والآخر بأنَّه جليس السوء، فقال: « **مثلُ الجليسِ الصالح والجليس الســـوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يُحْذِيَكَ** ـ أي: يعطيك ـ **وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيِّبة، وأمَّا نافخ الكِيرِ** ـ الحـــداد ـ **فإمَّا أن يحرق ثيابَكَ، وإمَّا أن تجد منه ريحًا خبيثة**»[1]. إذا لم يُصبك بناره يأتِيك دخانه، فابحث عن صديـــق الخير، وصاحب الخيـــر، هذا هو الَّذي ينفعك فـــي الدُّنْيا، وينفعك في الآخرة.

الشيطان عدو لا يصالح أبدًا:

احذر من دعاة السوء، ودعاة الشر، وأول من تحذره الشيطان الرجيم، الله ﷻ يقـــول: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]. هل تحب أن تكون من أصحاب النار؟ إذا كنت تحب أن تكون من أصحاب النَّار صاحب الشيطان!

الشيطان هو العدو الَّذي لا يُصالح أبدًا، ولا يتغير أبدًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقـــرة: ١٦٨، ١٦٩]،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الذبائح (٥٥٣٤)، ومســـلم في البـــر والصلة (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١]، احذر من عداوة الشيطان.

والقرآن هنا يُجمِّع البشر جميعًا، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، وكل الأجناس، وكل اللغات، وكل الأقوام، العالم كله يُجمِّعه القرآن ليكون ضد عداوة الشيطان، ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠]، فلا تتخذ الشيطان وليًّا لك أبدًا.

وليك هو الله، إنَّ الله هو ولي المتقين، وولي المؤمنين، وولي الصالحين، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، فكن وليًّا لله، وليكن الله وليك، ولا يكن عدوك أبدًا، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، وليكم: أي حبيبكم، هو محبكم، يحبكم وتحبونه، كما قال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

أنت تحب الله والله يحبك، أنت توالي الله والله يواليك، أنت تقترب من الله والله يقترب منك، بل إذا اقتربت منه شبرًا اقترب منك ذراعًا، وإذا اقتربت منه ذراعًا اقترب منك باعًا، وإذا أتيته تمشي أتاك هرولة[1]، فكن مع الله، كن وليًّا لله، كن محبًّا لله.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ، ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّب إليَّ بشبر، تقربتُ إليه ذراعًا وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا، تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي، أتيتُه هرولة». متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في التوبة (٢٦٧٥).

QaradawiBooks.com

هذه هي الولاية الَّتي ينشـدها الإسـلام، أن توالي أهل الإيمان، أن تصادق أهل الدين، وأن تعادي أهل الشـر، وأول من تعاديه الشـيطان، الشيطان هو عدوك الأول، وأول من توالیه الله العظيم.

الحذر من النفس الأمارة بالسوء:

ثم بعد ذلك احذر نفسـك الَّتي بين جنبيك، النفس الأمَّارة بالسُّوء، غرائز الشـر، غرائز الاسـتعلاء، غرائز الأنانية، غرائز حب البقاء وحب الخلود الَّتي دخل منها الشـيطان إلـى آدم، ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طـه: ١٢٠]، عن طريق هذه الغرائز دخل الشـيطان إلى آدم، احذر من نفسك، كما قالت امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]. هذا من كلام امرأة العزيز وليس من كلام سيِّدنا يوسف.

الحذر من أعداء الإسلام:

احذر من أعداء الإسـلام، حينما حـذرك الله من نفسـك الَّتي بين جنبيك، حذَّرك من كل من يعادي الديـن، هناك أعداء ثابتون، ليس كل من يكفر بالإسـلام عدوًّا لك، لا، هذه فكرة غير صحيحة، غير المسلم المسالم للمسلمين الَّذي لا يعاديهم ولا يظاهر عليهم عدوًّا، ولا يخرجهم من ديارهم، ولا يقاتلهم فـي دينهم، هذا صاحبك، الله تعالى يقول: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ [الممتحنة: ٨]. مثل هذا الكافر ليس عدوًّا لك، لم ينهك الله أن تبره.

وكلمـة البر هـي الكلمة الَّتي اسـتعملها الإسـلام فـي العلاقة بالوالدين، بـر الوالدين أن تبر أباك وتبر أمك، فبر هذا الإنسـان غير

QaradawiBooks.com

المسلم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، تعدلوا معهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]، هؤلاء هم أعداؤنا، مثل اليهود.

اليهود أعداؤنا لا لأنَّهم يهود، لا، إنَّما لأنَّهم قاتلونا في الدين، وأخرجونا من ديارنا، أخرجوا الفلسطينيِّين من ديارهم، شردوهم في الأرض، قتلوهم قتلًا، أرأيتم ما قرأناه أنَّه كان عندهم ثلاثمائة ثمَّ قتلوهم وألقوهم في الغور ثمَّ أعادوا ثلاثًا وتسعين جثة من هؤلاء بالأمس، هؤلاء لا يرحمون مخلوقًا، ولا يخافون خالقًا، ليست عندهم قلوب ولا ضمائر ولا أحاسيس!

نحن لا نعادي إلَّا من يعادي المسلمين:

نحن لا نعادي غير المسلمين أبدًا، إنَّما نعادي من يعادي المسلمين، هم الَّذين يبدؤون بعداوتنا ويقاتلوننا، هنا نكرههم، وهذه عداوات قومية، حينما نعادي هؤلاء ليس هذه عداوة من زيد أو عمرو، أو بكر أو علي، لا، هذه عداوة أمة لأمة، شعب لشعب، إنَّما تعادي الشعوب من أجل دينها، من أجل عقائدها، من أجل مصالحها، من أجل هويتها، حينما يُعتدى عليها لا بدَّ أن تدافع، ولا بدَّ أن تكره من يقاتلها، هذه طبيعة الحياة، وطبيعة الناس.

من أجل هذا قاتل المسلمون، وأمر الله تعالى أن نعد العدة لهؤلاء، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لماذا نعد لهم العدة؟ لنخوفهم لا لنقاتلهم، الأصل أننا لا نقاتلهم إلَّا إذا قاتلونا، إنَّما نعد لهم العدة لنرهبهم،

QaradawiBooks.com

لنخوفهم حتَّى لا يعتدوا علينا، لا يعتدوا على أشخاصنا، ولا يعتدوا على أرضنا، ولا يعتدوا على أموالنا، ولا يعتدوا على حرماتنا، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الإسلام يريد المسلم شخصًا منفتح الصدر، متجاوبًا مع الناس، ليس شخصًا انعزاليًّا ينعزل عن الناس، ويقول: ما لي وللناس! أخاف من الناس! كأن النَّاس كلهم شر، لا، النَّاس فيهم الخيرون كثيرون، ابحث عن الخيرين ستجدهم، وابتعد عن الشريرين فإنهم سيؤذونك ولا بد، الله تعالى يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الرغبة في صداقة المتقين:

ابحث عن المُتَّقين وخاللهم، كما قال النبيُّ ﷺ: «**المرء على دين خليله؛ فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ**»[1]. من يكون خليلًا لك، صديقًا لك، صاحبًا لك، حبيبًا لك، وليًّا لك، من هو؟ ابحث عن صاحب الدين، ابحث عن المتقين، المُتَّقون هم الَّذين يحفظون لك الود طول الحياة؛ بل حتَّى بعد الممات، وحينما تُبعث يوم القيامة يكون هؤلاء أوفياء لك، شفعاء لك، إذا احتجت إلى شفاعتهم يشفعون لك، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣]، يزيدهم من فضله فيشفعهم في إخوانهم، هنا تنفع شفاعة الشافعين، أمَّا الكافرون فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، ولكن

(١) رواه أحمد (٨٤١٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وأبو داود في الأدب (٤٨٣٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٧٨)، وقال: حسن غريب. والحاكم في البر والصلة (١٧١/٤)، وقال: صحيح إن شاء الله. ووافقه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المؤمنين تنفعهم شفاعة الملائكة، وشفاعة الأنبياء، وشفاعة إخوانهم من المؤمنين؛ فابحث عن المتقين.

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، يعادي بعضهم بعضًا، كل واحد يقول للآخر: أنت الَّذي أضللتني، أنت الَّذي أغويتني، أنت الَّذي قلت لي: كذا وكذا. فتبعتك، أنت الَّذي هونت عليَّ ترك الصلاة، أنت الَّذي أغويتني بشرب السجائر، وشرب الخمر، وشرب المخدرات. كل واحد يقول للآخر: أنت وأنت!

ولكن احذر أن تكون واحدًا ممن استجاب لهؤلاء، يوم القيامة يقول كل واحد للآخر: أنت الَّذي فعلت. ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ [القلم: ٣٠، ٣١]، كل واحد يلوم الآخر.

ولكن المتقين هم الَّذين يحشرهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله، لأنَّهم تحابوا في الله، فمن السبعة الَّذين يستظلُّون بظلِّ الرحمن يوم القيامة: «**رجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه**»[(١)]. متجالسون، متحابُّون في الله، «**على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها**»[(٢)]، إنَّما تحابُّوا في الله، وتجالسوا في الله، وتزاوروا في الله، وتباذلوا في الله، يبذل بعضهم لبعض لله ﷻ.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٢)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٧٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٣): صحيح لغيره. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كُن مع أهل الإيمان، اجعل أصدقاءك من أهل الإيمان، الَّذين يحافظون على الصداقة، ولا يتخلَّونَ عنك أبدًا وإن اكفهرَّت الدُّنْيا، وإن تغيَّرت الأيَّام، وإن خذلك النَّاس عن يمين وشمال، ومن شرق وغرب، تجد هؤلاء معك، كما يقول الشاعر:

إنَّ أخاك الحقَّ من كانَ مَعَكْ ... ومن يَضُرُّ نَفْسَه لِيَنْفَعَكْ

ومن إذا رَيْبُ الزمانِ صدَعَكْ ... شَتَّتَ فيكَ شملَهُ لِيَجْمَعَكْ[1]

المرء على دين خليله:

هذا هو الصديق الحقُّ، ابحث عن أصدقائك، النَّاس عادة يبحثون عن أشكالهم، كما يقول الشاعر:

شبيهُ الشيءِ مُنْجَذِبٌ إليه[2]

وكما يقال:

إنَّ الطيورَ على أشكالها تَقَعُ

لا تجد غرابًا يصادق عصفورا ولا صقرًا، لا بدَّ أن يكون الغراب مع الغراب، والصقر مع الصقر، والعصفور مع العصفور، كل صنف يقع على صنفه، والنَّاس يقعون على أشكالهم، كل واحد يبحث عن الصديق الَّذي يشاكله في طبعه، في هدوئه، في حياته، في رضاه، في غضبه، في سلوكه، من يميل إليه هو من كان أقرب النَّاس إليه، فابحث عن أقرب النَّاس إليك وصادقه في الله، وخالله في الله تنفعك هذه الخلة، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]،

(١) ديوان أبي العتاهية صـ٣١٥، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

(٢) شطر بيت نسبه الزبيدي في تاج العروس مادة (ق. ح. ف) إلى بعض المولدين، وقد ضمَّنه كثير من الشعراء في أشعارهم.

QaradawiBooks.com

لا ينفع يوم القيامة بيع ولا صداقة ولا شفاعة؛ إلَّا الصداقة في الله، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾، المُتَّقون هناك ينفعون، يشفعون لك عند الله ﷻ.

ابحث عن أهل الإيمان، دائمًا أهل الأديان بعضهم مع بعض، الله تعالى يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢]. اليهود يصادق بعضهم بعضًا، ولكن يعادون الَّذين آمنوا، قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء، ولكنَّهم في دولتهم إسرائيل جمَّعوا اليهود، وإن كانوا كما قال الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]. إنَّما اجتمعوا علينا نحن، يفترقون فيما بينهم، ويكره بعضهم بعضًا، ولكنَّهم يجتمعون علينا، ويقفون ضدنا.

وكذلك النصارى، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]. أغرى بينهم العداوة والبغضاء، يكره بعضهم بعضًا، الأرثوذكس يكرهون الكاثوليك، والكاثوليك يكرهون البروتستانت، والبروتستانت يكرهون الجميع، ويتقاتلون فيما بينهم، قتل بعضهم من بعض مئات الآلاف، ملايين بين الكاثوليك والبروتستانت، فالحرب العالميَّة الثانية كانت حربًا بين الأوربيين، وأوروبا كلها نصرانية، قتلوا من بعضهم البعض ملايين، ولكن الحاقدين منهم يتجمعون فيما بينهم علينا!

على أهل الإسلام أن يوالي بعضهم بعضا:

المفروض على أهل الإسلام أن يوالي بعضهم بعضًا، ولا يعادي بعضهم بعضًا أبدًا، الإسلام يحذر من العداوة والبغضاء، يقول النبي ﷺ:

QaradawiBooks.com

«**دبَّ إليكم داءُ الأممِ من قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاءُ هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعرَ، ولكنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[1]. لا ترثوا الأمم، الَّتي يورث بعضهم بعضًا العداوة والبغضاء.

الله تعالى ذمَّ الخمرَ والميسر، الخمر أمُّ الخبائث ومن أكبر الكبائر، وهي الَّتي تسلب عقل الناس، ولكنَّ القرآن حينما ذكر آثار الخمر لم يقل: إنَّها تسلب العقول، وتضيع الأفهام. ولكن قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]. أهم ما تفعله الخمر والميسر إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس.

هذا يدل على أنَّ الإسلام يحذر الأمة أشد التحذير أن تدخل بينها العداوة والبغضاء، لا يجوز للأمة أن يعادي بعضها بعضًا أبدًا، فالعداوة والبغضاء خطر على الأمة، لا يجوز للنَّاس التعادي، وإنَّما نتعامل بيننا بكل سهولة، وبكل خلق حسن، نعفو ونصفح، ونقترب منهم إذا بعدوا عنا، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ادفع بالتي هي أحسن، ادفع السيئة بالحسنة، الكلام الخبيث بالكلام الطيب، الفعل الشرير بالفعل الخير، كُن أنت دائمًا الأحسن.

مقابلة السيئة بالتي هي أحسن:

لا تقابل السيئ بالحسن فقط، لا، بل قابل الأسوأ بالأحسن، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، هكذا يربي الإسلام المسلم

(١) سبق تخريجه صـ ٧٧.

QaradawiBooks.com

على الَّتي هي أحسن في كل شيء، أن يكون أحسن الناس، وأفضل الناس، وأنفع الناس، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤]. يتغير الشخص، فالكلمة الطيبة تأسر الناس، وكذلك البسمة الحانية، «**تبسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة**»[(١)]، «**الكلمةُ الطيِّبة صدقةٌ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة**»[(٢)]، نفع النَّاس بأي شيء صدقة.

المسلم يعدل حتى مع عدوه:

هكذا يُعَلِّمنا الإسلام، فلا ينبغي لنا أن نعادي الناس، حتَّى إذا عاديناهم ينبغي أن نكون عدولًا معهم، إذا كان لك عدو عامله بالحسنى، عامله بالعدل، أعطه حقه، لا تنقص من حقِّه ذرَّة واحدة، بل تنازل عن بعض حقك له، هذا ما يطلبه الإسلام منا.

الله تعالى يقول بالنسبة للوالدين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٥]. أبوك أو أمك يجاهداك، يبذلان أقصى غايتهما ليخرجاك من دينك فتكفر، ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾، لا بدَّ أن تعرف من تعادي، ومن توالي، لا تتبع أباك إذا دعاك إلى فتنة أو إلى كفر، أو إلى فسوقٍ أو إلى شرٍّ، ولكن عليك أن تصاحبه في الدُّنْيا معروفًا، تنفق عليه، يجب عليك إذا كان معسرًا وأنت موسر، وهو كافر وأنت مسلم: أن تنفق عليه، هذا ما يأمر به الإسلام، ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾.

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨)، عن أبي ذر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإسلام يأمر المسلم أن يكون في غاية العدل والإنصاف مع كل الناس، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، تتبع العدل مع كل إنسان قريبًا كان أم بعيدًا، عدوًّا كان أم صديقًا، وليًّا كان أم غير وليٍّ، وليك الله ﷻ.

كن دائمًا مع الحق، ولا تكن أبدًا مع الباطل، الله تعالى ينصرك ويعزك، ويعطيك القوة في وقت الضعف، والقدرة في أوان العجز، ويهبك من عنده روحًا تجعلك فوق النَّاس في الفضل والعزة والكرامة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

نصادق الناس ولا نعاديهم:

يا أيُّها الإخوة، الإسلام الَّذي أكرمنا الله تعالى به يدعونا أن نصادق النَّاس ولا نعاديهم، نحن الَّذين نبحث عن صداقتهم، ولا نعادي إلَّا من يعادينا، ومن يعادينا نحاول أن نتقرب إليه، وأن نجعل عداوته صداقة لنا، يجب أن نعمل على هذا، هذا هو الإسلام العظيم، لا يريد للنَّاس أن يكون بعضهم لبعض أعداءً، ما جاء الإسلام لهذا.

صحيح لا يمكن للنَّاس جميعًا أن يكونوا مؤمنين وأن يكونوا مسلمين، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، ولذلك سيظل في النَّاس المؤمن

QaradawiBooks.com

والكافر، والبر والفاجـــر، هناك جنة ونار، فلا بـــد أن يكون هناك أناس يدخلـــون الجنَّة وأناس يدخلـــون النار، فلا يمكن أن يكـــون كل النَّاس مسلمين، هذا غير ممكن، وضد إرادة الله الكونيَّة.

ولهذا يســـعى الإنســـان المســـلم ما أمكن: أن يكون النَّاس أصدقاء متحابِّين متقاربين؛ إلَّا من غلبه الشيطان فأصبح شرًّا في الأرض، هناك أناس يغلب عليهم الشر، ويغلب عليهم الإفســـاد، هؤلاء لهم ظروفهم، اتركهم وشأنهم، ودعهم لله ﷻ، ولكن حاول أن تقرب من يقترب منك، وكلما اقترب منك ازددت قربًا له، والله تعالى يثيبك على هذا، وينفعك في الدُّنْيا والآخرة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها المسلمون:

لي معكم في هذه الخطبة الثانية كلمات عدة:

حادث مركز (فيلاجيو) التجاري:

الكلمة الأولى عما حدث في قطر، كنت في الأيام الماضية في الكويت، وقرأت في الصحف وفي نشرات التليفزيون عما حدث في قطر، الحادث الكبير الَّذي التهم مركز (فيلاجيو) التجاري، واختطف تسعة عشر شخصًا معظمهم من الأطفال، وهذه كارثة كبيرة نسأل الله ﷻ أن يجير قطر من أمثالها.

نُعزِّي أهل هؤلاء الشهداء كبارًا وصغارًا، ونُعزي سمو أمير قطر ونائبه وولي عهده، وشعب قطر، وحكومة قطر، نعزي كل القطريين في هذه الكارثة، وينبغي البحث عن سبب هذا، هل هذا أمر طبيعي أم أمر فيه تفريط؟ ومن الَّذي فرَّط في هذا؟ ينبغي أن يُحاسب النَّاس حسابًا عادلًا ودقيقًا، لا تأخذنا العزة بالإثم، أو المبالغة ونتهم من ليس بمتهم، ونُدخل في النَّاس من ليس منهم، أو نُخرج منهم من يستحق العقاب، لا، بل يجب أن يعرف كل إنسان حده ويقف عنده، فمن سعادة جدك وقوفك عند حدك، لا بدَّ أن يُؤاخَذ الَّذين قصروا كما قال ولي العهد حفظه الله: سنعاقب ونحاسب ونسائل كل من قصَّر. وهكذا؛ لأن كل من أمن العقاب أساء الأدب، لماذا شرع الله العقوبة؟ لماذا جعل هناك ثوابًا وعقابًا، وجنة ونارًا؟ ليرتدع النَّاس عن الشرور.

QaradawiBooks.com

نحن نسأل الله ﷻ أن يجير قطر من أمثال هذه الكوارث، ونسأل الله لإخواننا الَّذين أصيبوا أن يعوضهم خيرًا، وأن يرحم شهداءهم، وأن يبارك لهم في حياتهم، اللهمَّ آمين.

غير مرخصة للطباعة

مجزرة (الحولة) في سوريا:

الكلمة الثانية أيُّها الإخوة هي عما جرى لإخواننا في سوريا، من قتل النَّاس في مجزرة الحولة، بعضهم قال عن عدد القتلى: هم مائة وخمسة. وبعضهم قال: هم مائة وعشرون. وبعضهم قال: هم مائة وخمسون. وبعضهم قال: هم مائتان. ومعظمهم من الأطفال، جريمة كبرى ارتكبتها هذه الوحشية.

لم يعد هؤلاء بشرًا؛ بل صاروا وحوشًا، لا والله؛ بل نظلم الوحوش إذا وصفنا هؤلاء بالوحوش، هل رأيتم وحشًا يعتدي على النَّاس من غير حاجة؟ فالوحش لا يقتل إلَّا إذا احتاج أن يأكل، إنَّما إذا لم يحتج إلى الأكل لا يقتل، وهؤلاء يقتلون باستمرار، هم أكبر من الوحوش، وأقسى من الوحوش، خمسة عشر شهرًا يقتلون النَّاس بالليل وبالنهار، في الصباح وفي المساء، يقتلونهم بكل وسائل القتل الَّتي يملكها الجيش، بالدبابات في الأرض، والطائرات والمروحيات في الجو، والبوارج في البحر، براجمات الصواريخ، والمدفعية الثقيلة، وبالشَّبِّيحة المجرمين، الَّذين قتلوا هؤلاء النَّاس، مهَّدوا لهم الأرض بالقصف بالمدافع والدبابات والصواريخ؛ حتَّى دخل هؤلاء الشَّبِّيحة بالسكاكين والأسلحة البيضاء، وقتلوا النَّاس قتلًا، هؤلاء ليسوا بشرًا!

على الأمة أن تقف ضد هؤلاء، لم يعد هناك مكان ولا زمان لأن نعطيهم فرص أخرى، جاء كوفي عنان وأراد أن يدخل معهم في اتفاق

QaradawiBooks.com

سلام، مع هؤلاء الظلمة، واتفق معهم على القيام بست نقاط، لكنهم لم ينفذوا واحدة من هذه الستَّة، لم يخرجوا الدبابات وهذه الأسلحة بعيدًا عن المدن، بالعكس دخلت المدن وقتلت وذبَّحت! اتفق معهم أن يفرجوا عن النَّاس فلم يفرجوا عنهم؛ بل ازداد المعتقلون! كل ما اتُفق عليه لم يُنفَّذ منه شيء، يزدادون كل يومًا إثمًا.

هؤلاء أناس لا يخافون الله، ولا يرحمون الناس، لا يخافون ولا يستحون، والنبي ﷺ يقول: «**إنَّ ممَّا أدرك النَّاس من كلام النبوَّةِ الأولى: إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئت**»[1]. هؤلاء لا يستحون، يصنعون ما يشاؤون في قتل الناس، في خمسة عشر شهرًا قُتل الآلاف من الأبرياء من الناس.

قام هذا الشعب وليس معه مدفع ولا بندقية، ولا سيف ولا سكين، ولا عصى ولا حجر، كلنا يعرف هذا أن هذا الشعب قام من أوَّل يوم سلميًّا، ولكن هؤلاء وقفوا لهم من أوَّل يوم بالشَّبِّيحة على الأرض، والقناصين فوق السطوح يضربونهم، والجيش يضربهم عن يمين وشمال؛ بكل ما عنده من قوَّة، ثمَّ ظهر الجيش الحر بعد مدة، بعد أشهر، وهو الآن لا يفعل شيئًا، ينتظر كوفي عنان، وكوفي عنان لم يستطع أن يفعل شيئًا، لم ينفذ النظام اتفاقه معه.

هؤلاء لا بدَّ أن يُقابَلوا بالقوة، القوة بالقوة، والسيف بالسيف، لا بدَّ أن نعد لهؤلاء جنودًا، لا بدَّ أن يعد العرب لهم جنودًا، والأمم المتحدة ومجلس الأمن لا بدَّ أن يقابلوا هذه القوة العدوانية المستطيرة الشريرة بمثلها، لا يمكن أن تقابَل قوَّة هؤلاء وبطشهم إلَّا بهذا، صحيح أننا سندعو عليهم، ولكن لا بدَّ من إعداد القوة.

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣)، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وأنا أدعو الإخوة في الجيش السوري أن ينضموا إلى الجيش الحر، كل سوري مُطالَب شـرعًا أن ينضم إلى الجيش الحر، وهو آثم وسينال عقابه عنـد الله إذا لم ينضـم إلى هذا الجيـش، عليـه أن ينضم بكل ما يستطيع من أسلحته إلى إخوانه، ولا يقتل أهله، لا يقتل شعبه، لا يقتل آباءه وأمهاته، لا يقتل إخوانه وأخواته، لا يقتل أعمامه وعماته، لا يقتل أخواله وخالاته، لا يقتل أرحامه وأقاربه، لا يقتل أصدقاءه ومواليه، عليه أن ينضم إلى الجيش الحر.

ثم على النَّاس جميعًـا أن ينضموا إلى هؤلاء، الَّذين ينادون بالحُرِّيَّة والكرامة لهذا الشعب، ليس عندهم إلَّا حناجرهم ينادون بها، كوفي عنان يقول: من حقِّ الشـعب أن يخرج في مظاهرات ينـادي بالحرية، ينادي بالكرامة. ولكن هل جيش سوريا، وشبِّيحة سوريا، وجنود سوريا، وقتلة سوريا: يتركون النَّاس ينادون بالحرية؟ لا.

علينا أيُّها الإخوة، وعلى الإخوة في سوريا، وعلى الإخوة المسلمين في أنحاء العالـم، عليهم جميعًـا أن يدعو الله تبـارك وتعالى أن ينصر الإخوة المسلمين في سوريا، وأن يأخذ أعداءهم الظالمين الجائرين أخذ عزيز مقتدر، يقولون جميعًا: يا رب يا جبار، يا واحد يا قهار، خذ خصمنا بشـار، وأذقه حر النار، مع حزبه الأشـرار، وطغاته الفجار. يدعون الله بمثل هذا: يا واحد يا أحد، يا فرد يا صمد، خذ خصمك الأسـد، عدوك الألد، القاتل الأشد، أخذ عزيز مقتدر.

على الأخوة أن يأخـذوا هذه الأدعية وأمثالهـا ويدعو الله ﷻ بها في خلواتهم وفي صلواتهم، في الأسـحار، وفي كل وقت، الله ﷻ يستجيب، فمن الأدعية المستجابة دعوة المظلوم كما قال ﷺ: «**ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم:**

QaradawiBooks.com

الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغَمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعِزَّتِي لأنصُرَنَّكِ ولو بعد حين»[1].

على الجميع أن يدعو الله على هؤلاء الظلمة، وأنا واثق تمامًا والله يا أيُّها الإخوة أنَّ الله سيأخذهم، لا يمكن أن يتركهم، ليس من سنة الله، ولا من عدل الله، ولا من رحمة الله: أن يترك هؤلاء الظالمين يبغون في الأرض كما يشاؤون، لا بدَّ أن يأخذهم، ويقطع دابرهم، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]. هذه هي القضيَّة الثانية.

الانتخابات الرئاسيَّة في مصر:

وهناك قضيَّة ثالثة هي قضيَّة إخواننا في مصر، أصبح الأمر في مصر الآن واضحًا وضوح الشمس في رابعة النهار، ليس هناك غيوم ولا سحاب، هناك الثورة وأعداء الثورة، من مع الثورة، ومن مع أعداء الثورة؟

ولكن هؤلاء الَّذين كانوا ضد الثورة استطاعوا أن يركبوها، وأن تُتاح لهم الفرصة ليصبحوا من الَّذين تجري معهم جولة الإعادة، هذا الَّذي يُسمى الفريق شفيق، وهو من رجال الحكم السابق، كان وزير الطيران، وهو آخر واحد اختاره مبارك، وهو صاحب معركة الخيول والبغال والحمير، الَّتي قُتل فيها من قُتل من أبنائنا، هو الَّذي كان يسخر من أهل ميدان التحرير ويقول: سنأتي لهم بالحلويات. أصبح هذا واحدًا من الَّذين يُعاد لهم الانتخاب مع الدكتور مُحَمَّد مرسي، الَّذي يمثل حزب الحرية والعدالة، أو جماعة الإخوان! الآن اتضح الأمر، من مع الثورة، ومن هو من أعداء الثورة، أعداء الثورة معروفون.

(١) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وأنا أقول أيُّهـــا الإخوة: إن على المســـلمين أن يبذلـــوا جهدًا مع إخواننا الأقباط، معظم الَّذين أعطوا شفيق أصواتهم هم الأقباط، يجب أن نعرف هـــذا ونكون صرحاء، لماذا أعطـــوه صوتهم وهم لم يكونوا ضد الثورة؟ هـــم في النهاية أيدوا الثورة، ولكـــن عندهم مخاوف من الإســـلام، لماذا نتركهم تأكلهـــم هذه المخاوف؟ على المســـلمين أن يسعوا إليهم ويتفاهموا معهم.

أنا أطالب الإخوان المســـلمين، أطالب مشـــايخ الأزهـــر، أطالب الجمعية الشـــرعية، أطالب جمعية أنصار السنة، أطالب كل عالم مسلم حقيقي، لا أطالب العلمـــاء المنافقين الَّذين يقولون: نحن على الحياد! ومعنى أنَّك على الحياد في هذا الوقت أنَّك مع شفيق، ليس هناك أحد على الحياد أبدًا، إما أن تكون مع هـــذا، أو تكون مع هذا! فأنا أطالب هؤلاء الإخوة أن يتفاهموا مع إخواننا الأقباط، ونحرم الَّذين أيدوا شفيق من أصواتهم، هم أنـــاس عقلاء ويعرفون أن مصلحتهم مع الإســـلام، وليست ضد الإسلام.

أنا أقول: مســـتحيل أن ينجح شـــفيق، مصر الوطنية، مصر المؤمنة، مصر المتماســـكة لا يمكن أن تعطي أصواتها لأعداء الثـــورة أبدًا، من مصلحة الأقباط أن يتفاهموا مع المســـلمين، ولا يكونوا ضد المسلمين أبدًا، وعلينا نحن المسلمين أن نبذل جهدنا.

أنا أعرف كثيرًا مـــن الأقباط ولكنَّهم أفراد، هـــم ضد هؤلاء، ولكن كثيرًا منهم للأســـف أعلنـــوا أنَّهم مع شـــفيق، هذا لا يجـــوز أبدًا، كما لا يجوز لمسلم أن يقول: يمكن أن نتفاهم مع شفيق. نتفاهم على ماذا؟ هذا ظلم، لا يجوز لمسلم أن يقول هذا أبدًا.

QaradawiBooks.com

أخونا حمديـــن صباحي قال: لا أكون مع هـــذا ولا مع هذا. هذا لا يجـــوز، لأنك إن لم تكـــن مع هـــذا، تكون قد حرمـــت العنصر المعتدل، العنصر الثوري من أصواتـــك، وأصبحت بذلك في صف أعداء الثورة؛ حتَّى وإن لم تعطهـــم صوتك، فإما أن تكون مع الثورة أو مع أعداء الثورة.

أخونا الدكتـــور عبد المنعم أبو الفتوح ذهب إلى الدكتور مرســـي، وعرض عليه أربعة شـــروط، حتِّى يُعْلن لأنصاره أنَّه قبل هذه الشـــروط ويكون معه، وقد قبل كل هذه الشـــروط: أن يكون هناك مســـاعدون أو نوَّابٌ من غير الإخوان، ولا يكونون من حـــزب الحرية والعدالة؛ فوافق الدكتور مرســـي، وأن تؤلف لجنَّة لتعديل الدستور من خارج المجلس، وتُمثل الفقهـــاء القانونيين؛ فوافـــق الدكتور مرســـي، وألا يكون رئيس الحكومة من الإخوان، وأن تكـــون حكومة ممثلة لـــكل القوى؛ فوافق الدكتور مرسي، كل ما عرضه عليه وافق عليه وأكثر من ذلك.

الدكتور مرسي رجل متســـامح جدًّا، لماذا ننفضّ عن الإنسان الَّذي يضع يده في أيدينا، ويقـــول: أنا معكم، وأنا لكم، وأنا منكم، وأنا بكم. ونقف مع الَّذي يعادي الأمة، ويعادي الشـــعب، ويعادي الأحرار؟! هذا ليس من العدل في شـــيء، ولا من الإيمان في شيء، ولا من العقل في شيء، ولا من الوطنية في شيء.

أنا أدعو المصريِّين جميعًا أن يتقوا الله فـــي وطنهم، أن يتقوا الله في مصر، مصر الَّتي حبتهم من أرضها ومائها وهوائها، مصر الَّتي تســـتحق منهم كل بذل وتضحية، مصر العزيزة، مصر الحبيبة، يجب على الجميع أن يفدوها بأرواحهم، وأموالهم وما ملكت أيديهم.

QaradawiBooks.com

يجب علينا جميعًا أن نقف مع مصر، ونقف مع الَّذين يؤيدون ثورتها، لا نقف مع أعداء الثورة أبدًا، لا يجوز أن نعيد حسني مبارك مرَّة أخرى، لا نعيد بطانته، لا نعيد حزبه، لا نعيد الفساد الَّذي كان، هؤلاء أنفسهم من أفسد الناس، وعليهم تهم بالسرقات والنهب والسلب، عليهم أشياء كثيرة جدًّا، ومع هذا يريدون أن يحكموا الأمة! أي أمة هذه الَّتي ترضى بهذا؟

ننادي المصريِّين أن يقفوا وقفة رجل واحد، وقفة الرجال الأبطال، الَّذين لا يخافون في الله لومة لائم، الَّذين يقولون الحق، ويقاومون الباطل، نريد من المصريِّين جميعًا أن يكونوا أحرارًا أعزة في ديارهم، وأن ينتخبوا الشخص الصالح لقيادة الأمة، ويكون معها، ويشترطوا عليه ما يشترطون، الاشتراط جائز، يمكن للأمة أن تشترط شروطًا معقولة، لا شروطًا تعجيزية؛ فهذا إفساد في الأرض، لا نريد أن نفسد، نريد أن نصلح الناس، نريد أن نرفع المصريِّين من الحالة الَّتي أركسوا فيها، نريد أن نُشغِّل العاطلين، نريد أن نعطي النَّاس حقوقهم، البلد تأخرت في هذه السنة في كل شيء، في الاقتصاد، وفي الأمن، وفي كل ناحية، نريد أن ننهض بهذا البلد، ولا ينهض بها إلَّا رئيس يختاره الناس، عن ثقة وعن جدارة، هذا ما ينبغي أن نفعله.

أسأل الله ﷻ أن يؤيد المصريِّين بروح من عنده، وأن يمدهم بجند من جنده، وأن يحرسهم بعينه الَّتي لا تنام، وأن يكلؤهم في كنفه الَّذي لا يُضام، وأن ينصر إخواننا في سوريا على الظلمة المستكبرين في الأرض، المتجبرين على خلق الله، الَّذين يزهقون الأرواح، ويسفكون الدماء، ويهتكون الأعراض، وينتهكون الحرمات، أسأل الله أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأن يُنزل عليهم بأسه الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ انصُر إخوتنا في سـوريا، اللهمَّ انصر إخوتنا في مصر، اللهمَّ انصر إخوتنا في تونس، اللهمَّ انصر إخوتنا في ليبيا، اللهمَّ انصر إخوتنا في اليمـن، اللهمَّ انصـر إخوتنا فـي الأردن، اللهمَّ انصـر إخوتنا في المغرب، اللهمَّ انصر إخوتنا في الجزائر، اللهمَّ انصر إخوتنا في باكستان، وفي أفغانستان، وفي كل بلد من بلدان الإسلام.

اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سـكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم إنَّا نسـألك أن تعز الإسـلام والمسـلمين، وأن تجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى، اللهمَّ اجمع كلمة هذه الأمة علـى الهدى، وقلوبها علـى التقى، ونفوسـها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبـت أقدامنا، وانصُرْنـا على القـوم الكافرين، ربَّنـا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١٥

الحب والبغض في القرآن الكريم[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في موضوعنا الكبير الَّذي نتحدث عنه في كل جمعة، وهو موضوعات القرآن الكريم، حديثنا اليوم عن الحب والبغض في القرآن الكريم، حُب الإنسان لمن يستحق الحب، وبُغضه وكُرهه لمن يستحق البغض والكُره.

الحب معروف، أن يميل قلبك إلى فرد أو جهة تستحق حبك: رب، أو إنسان، أو شيء ما، وأول من يستحق أن تحبه هو الله، الله تبارك وتعالى أوَّل من يُحَب، وأولى من يُحَب.

محبَّة الله:

لماذا نحبُّ الله؟ الإنسان من شأنه أن يحبَّ الجمال، و«**الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»[٢]، مصدر الجمال الأعظم هو الله تبارك وتعالى، هو واهب كل جمال، وهو أصل كل جمال، لهذا نحب الله الجميل.

---

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١٢م.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٦٤٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

والإنسان يحب الكمال أيضًا، يحب العباقرة، ويحب النوابغ، ويحب الأبطال، نحبُّ عنترة العبسي، نحبُّ أبا زيد الهلالي، نحب كل بطل، ومصدر الكمال هو الله تبارك وتعالى، كل كمال في الوجود هو هبة من الله تبارك وتعالى، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

ونحب الإحسان، الإنسان يحب من أحسن إليه، والإنسان أسير الإحسان، من أحسن إليك وأدى إليك نعمة، أو قام لك بخدمة فأنت تحبه، هذه طبيعة في الإنسان، وأول من يُحسن إلينا هو الله تبارك وتعالى؛ لأن كل ما عندنا من خير إنَّما وهبه الله تعالى لنا، ومنحه الله لنا، خيرات الدين وخيرات الدُّنْيا، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]، الَّذي أعطانا الوجود نفسه، من الَّذي خلقنا؟ من الَّذي أعطانا العقل، وأعطانا البيان؟ الله ﷻ، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ٣، ٤]، البيان النطقي، والبيان الخطي، ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ ـ ١٠]، مصدر الإحسان كله هو الله تبارك وتعالى.

ولذلك أوَّل من يُحَب، وأولى من يُحَب، وأحق من يُحَب هو الله تبارك وتعالى، ومن هنا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، يحبون أصنامهم وآلهتهم المزعومة، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا ﴾ [البقرة: ١٦٥]. هم يحبون من يستحق الحب، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]. محبة متبادلة بينهم وبين ربهم، فالله يُحِب ويُحَب.

الله يحب الصالحين:

الله يحب الَّذين يستحقون الحب، الله يحب المؤمنين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويحب المحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين،

QaradawiBooks.com

أصناف كثيرة ذكرها القرآن يحبها الله تبارك وتعالى، ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

يحب كل هؤلاء، ولا يحب أضدادهم من أصحاب الصفات السيئة، والأخلاق الرديئة، لا يحب الكافرين، ولا يحب الظالمين، ولا يحب المعتدين، ولا يحب المستكبرين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب الخائنين، ولا يحب المسرفين، ولا يحب كل خوان كفور، ولا يحب كل مختال فخور، ولا يحب من كان خوانًا أثيمًا، كل أصحاب الرذائل والصفات السيئة لا يحبهم الله.

إنَّما يحب الله من يستحق أن يقترب منه، ويصبح في صفوف أهله وأوليائه ومحبيه، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾، الولي: المحب، وأولياء الله: أحبابه، ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

الله ﷻ ينادي المؤمنين أن يحبوه، ولا يحبوا أعداءه، كما نادى المؤمنين من أهل مكة: أن يعادوا أقرب النَّاس إليهم، ما داموا يكرهون الله، ويعادون الله، ويقفون ضد دينه وضد رسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]. لم يكونوا مجرد كفار، لو كانوا كفارًا مسالمين ما نهى الله عنهم، ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة: ٨]، إنَّما هم معادون لله، كما قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٢٢]. ليسوا مجرد كفار، ولكن هم يعادون الله، ويعادون رسوله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

محبة الله ورسوله أقوى من كل محبة:

ولذلك كان عن المؤمن: أن يحب الله، ولا يحب من يعادي الله ﷻ، ويحب رسول الله، ولا يحب من يعادي رسول الله ﷺ؛ لأن رسول الله هو الَّذي يهدينا إلى الله، هو الَّذي يأخذ بأيدينا إلى الله، هو الَّذي يُعرِّفنا بالله، ولذلك نحب الله ونحب رسوله ﷺ، ونقف ضد من يعادي الله ويعادي رسوله، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٢، ٦٣]، فمن يغاضب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله: لا نكون معه.

إذا كان الكل في كفة، والله ورسوله في كفة، ترجح عندنا الكفة الَّتي فيه الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ أوطان محببة إليكم، إن كان هذا كله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فالله ورسوله أحب إلى المؤمنين من كل ما في الدُّنْيا، كل ما يحرص عليه الناس، وما يتنافس فيه الناس: من الأهل والمال والعشيرة، والتجارة الَّتي يخشون كسادها، والمساكن والأوطان الَّتي يحبونها ويرضونها، إذا كان هذا كله في كفة، والله ورسوله في كفة: ترجح كفة الله ورسوله.

حب الله، وحب رسوله، وحب دينه ودعوته، وحب المؤمنين به، الَّذين اختاروا الله، واختاروا رسوله على غيرهما، كما وجدنا ذلك أيام الدعوة الأولى، كان الأمر واضحًا، إما الله ورسوله وأتباعه وأنصاره

QaradawiBooks.com

وحزبه، وإما الآخرون؛ فهم يوالون الله ورسوله، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، فهم مع الله ومع رسول الله، وليسوا مع الآخرين وإن كانوا آباءهم وأمهاتهم وإخوانهم وأقرب النَّاس إليهم.

محبة المؤمنين:

حب الله، وحب رسوله، وحب المؤمنين به، المؤمنون بالله يجب أن يتحابوا، ويتحابوا في الله ﷻ، الله ﷻ قال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، بماذا ألف بين قلوبهم؟ بالحب، فالحب بين القلوب كالأسمنت بين اللبنات، يربط بينها، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكما خاطب الله رسوله فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، لا تستطيع؛ فتأليف القلوب عمل إلٰهي عظيم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وهكذا تآلف الأنصار أهل المدينة، والمهاجرون الَّذين هاجروا إليهم من مكة، والمتوقع أنَّ النَّاس في هذه الحالة يتضايقون ممن هاجروا إليهم، وزاحموهم في معيشتهم، ويكرهون هؤلاء الوافدين، ولكن هؤلاء لم يكونوا كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. يجودون بالشيء وهم محتاجون إليه، يفضِّلون غيرهم على أنفسهم، يجوعون ليشبع إخوانهم، ويسهرون

QaradawiBooks.com

لينام إخوانهم، ويتعبون ليرتاح إخوانهم، هذه هي الأخوة، وهذه هي المحبة الإيمانيَّة، الأنصار يحبون المهاجرين، والمهاجرون يحبون الأنصار، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

هكذا جعل الله من المؤمنين أمة تقف كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا، حتَّى في أشد الحالات، حالات القتال، الواحد منهم يُعرِّض صدره ليتلقى السهام أو الرصاص؛ ليحمي أخاه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

هم متحابون في الله ﷻ، متعاونون، متضامنون، متكافلون في السراء والضراء، في حالة الغنى وحالة الفقر، في حالة الرخاء وحالة الشدَّة، في حالة اليسر وحالة العسر، كل واحد يحب إخوانه.

درجات المحبة:

والحب درجات.. أعلاها الإيثار، يمكن أن تحب أخاك كما تحب جارك وقريبك وصديقك، ويمكن أن تحبه كما تحب نفسك، وهذا حقيقة الإيمان كما قال النبيُّ ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنَفْسِه**»[1]. وهناك درجة أعلى وهي أن تُؤْثِرُه على نفسك، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

هذا هو المجتمع المؤمن الَّذي رباه رسول الله ﷺ، وعرفه المسلمون في عصورهم الراقية، عصر الازدهار، عصر المحبة والإيثار، العصر الإيماني، العصر القرآني، العصر المحمدي، العصر الإسلامي، الَّذي

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

تتوارى فيه الأنانية، ولا يقول الإنسان: أنا أنا، نفسي نفسي. لا، بل يقول: أخي أخي. أخوه مقدم على نفسه!

تجد الواحد منهم يذكر إخوانه، حتَّى يذكر من مات منهم، الحي يذكر الميت، يقولون كما حكى الله عن التابعين الَّذين جاؤوا بعد الصحابة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]. يطلبون المغفرة لإخوانهم الَّذين سبقوهم بالإيمان، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والأموات.. وخصوصًا الأموات الأحياء ـ مثل الشهداء ـ يذكرون إخوانهم الَّذين تركوهم في الدُّنْيا من بعدهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. هم في دار أخرى يستبشرون بمن بعدهم، أن هناك جيلًا يحمل الراية، ويحمل العقيدة، ويدافع عن الأمة، وعن حرمات الأمة، حتَّى مع اختلاف الدار لم يختلف الحب والإيمان، هذا هو الحب الَّذي يهتم به القرآن.

حب يبغضه القرآن:

وهناك حب لا يهتم به القرآن؛ بل يكرهه الله ﷻ، مثل حب الدُّنْيا، وحب المال، وحب الشهوات المحرمة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [آل عمران: ١٤]، أعراض الدُّنْيا، والهوى كله، ليس هذا ممَّا يهتم به القرآن، ولا رب العزة ﷻ، وصف الله مجتمع الجاهليَّة أنَّه يحب المال حبًّا جمًّا ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر: ٢٠]، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٞ﴾ [العاديات: ٨]، لحب المال لشديد، بدل أن يحب الله والآخرة والجنَّة، والباقيات الصالحات: يصبح

QaradawiBooks.com

حبه للدنيا مقدمًا على كل شيء، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣]، ليس هذا شأن المؤمن، المؤمن يستحب الآخرة على الدُّنْيا، لا كأولئك الكافرين الَّذين قدموا الدُّنْيا على الآخرة، الدُّنْيا لا تساوي شيئًا حتَّى يقدمها الإنسان على الآخرة.

المؤمن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه:

ولذلك كان شأن المؤمنين: أنَّهم لا يهتمون بما يحبه الكفرة والفجرة، الَّذين يضعون أنفسهم عبيدًا للدنيا، وما فيها من زخارف ومتاع، هو متاع الغرور، ومتاع قليل، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧]، فلا ينبغي للمؤمن أن يهتم لهذه الأشياء الَّتي أحبها الناس، وتركوا بها حب الله، وحب رسوله، وحب الآخرة.

كما ينبغي للمؤمنين أن يبغضوا ما يبغض الله، فإذا أحبوا ما يحب الله، فيجب أن يبغضوا ما يبغض الله، «**أوثق عُرَى الإيمانِ الحبُّ في الله والبغض في الله**»[(١)]، «**ومن أحبَّ لله وأبغضَ لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكملَ الإيمانَ**»[(٢)].

يجب أن تبغض من يستحق البغض، الكفار المعتدون الَّذين يؤذون الله ورسوله، الَّذين يضمرون الشر لأهل الإسلام، لا ينبغي أن تحبهم وتتخذهم

(١) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠): حسن بمجموع طرقه. عن البراء بن عازب.

(٢) رواه أبو داود في السنة (٤٦٨١)، والطبراني (١٣٤/٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩): حسن صحيح. عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

بطانة من دون المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ ليسوا من أهل دينكم وملتكم ودعوتكم، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يجتهدون في إفساد أمركم، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ يودون كل ما يعنتكم ويشقّ عليكم، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩].

لا ينبغي للمؤمن أن يقع فريسة لهذا، لا يعادي كل من هو غير مسلم، لا، ليس هذا هو المقصود، ولكن تعادي الَّذين يضمرون الشر وتبدو البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر، لا يستطيع أن يكبت كل ما في نفسه؛ فيظهر في كلامه بعض ما يدل عليه، هؤلاء هم الَّذين يبغضهم المؤمن.

أمَّا المؤمنون فينبغي أن يحبهم المؤمن ويؤثرهم على نفسه، لا يجوز للمؤمن أن يبغض المؤمنين، ينبغي أن يكون قلبه فسيحًا لحب الناس، لكنَّه لا يحب الشر والشريرين، والفساد والمفسدين، والاستكبار والمستكبرين، والخيانة والخائنين، والظلم والظالمين، والاعتداء والمعتدين، هؤلاء هم الَّذين لا ينبغي أن يحبهم الإنسان المسلم.

هذا ما يريده الإسلام من المسلمين، أن يكونوا أمة متحابة بعضها مع بعض، يحب بعضها بعضًا، ويؤثر بعضها بعضًا، ويعين بعضها بعضًا، ويشدُّ بعضُها أَزْر بعض، «**المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضَه بعضًا**»[1]، هذا ما يريده الإسلام، ويريد منهم أن يقفوا معًا ضد من يضمر لهم الشر، ويعاديهم، ويقف ضد أمتهم، يجب أن تكون الأمة كلها على قلب رجل واحد ضد هؤلاء الَّذين يعادون شعوبهم، ويفسدون عليهم دينهم

(١) سبق تخريجه صـ١٠٠.

QaradawiBooks.com

ودنياهم، ويسفكون دماءهم، ويهتكون عوراتهم، ولا يبالون بأحد منهم، لا برجل ولا بامرأة، ولا بشـــيخ ولا بشـــاب ولا بطفل، هؤلاء يجب أن تعاديهم الأمة كلها، هذا ما جاء به الإسلام.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي كلمتان في هذه الخطبة الثانية:

ثورة سوريا:

الكلمة الأولى عن إخوتنا الأحبة المجاهدين، الصابرين المصابرين المرابطين، في سوريا الشقيقة، العزيزة علينا، الحبيبة إلينا، الأثيرة لدينا.

لا زال إخواننا في سوريا يحملون الراية، يقفون ضد النظام المستكبر الجبار، الَّذي يقف ضد شعبه، يقتل الشعب، يسفك الدماء، يهتك الأعراض، ينتهك الحرمات، يقتل الرجال، ويقتل النساء، ويقتل الشيوخ، ويقتل الأطفال، ويقتل المدنيين الَّذين لا يحملون مدفعًا، ولا يحملون بندقية، ولا يحملون رصاصًا، ولا يحملون سيفًا، ولا يحملون سكينًا، ولا يحملون عصا، ولا يحملون حجرًا.

الشعب الَّذي قام منذ خمسة عشر شهرًا، ورأيناه بأعيننا في التلفازات شعب مسالم، ينادي فقط: نريد الحرية، الحرية للشعب. يُقتل هذا الشعب، كل النَّاس يُقتلون، يقتلهم الجيش الَّذي سلَّحه الشعب بأمواله، من عصارة أرزاقه، من قوته وقوت أولاده وقوت أحفاده، ارتدَّت هذه الأسلحة لتقتل الشعب.

يُقتل الشعب عن طريق الدبابات الَّتي ترميهم بالقذائف، وعن طريق المدافع الكبيرة الَّتي تقتل النَّاس بالعشرات والمئات، وعن طريق الراجمات الَّتي ترجم النَّاس بالصواريخ، وعن طريق المروحيات الَّتي

QaradawiBooks.com

تقذف النَّاس من السماء، وعن طريق البوارج الَّتي ترميهم من البحار، وعن طريق الشَّبِّيحة الملاعين، الَّذين يقتلون النَّاس بالسكاكين، ويقتلونهم بالرصاص، ويقتلونهم بكل وسيلة لديهم، هؤلاء الشَّبِّيحة الملاعين أسأل الله أن يلعنهم، وأن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأن يُنزل عليهم وعلى أمثالهم بأسه الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

هذا الجيش يقتل الشعب بكل فئاته، يقتلهم في ديارهم، ويقتلهم في طرقاتهم، يقتل رجالهم ويقتل نساءهم، ويقتلهم عن طريق القناصين الَّذين يقفون على أعالي البيوت والعمارات، يقذفون النَّاس من أعلى، يضربونهم ليصيبوهم في أعينهم وفي صدورهم، ولا يكتفون بذلك؛ بل إنهم يسفكون الدماء ويهتكون الأعراض، انظروا هتكوا الأعراض مع سفكهم الدماء!

وقال كوفي عنان: إنَّ هناك ستَّ نقاطٍ عرضتها على السوريِّين فلم تُنفذ واحدة منها. لماذا؟ لأنَّ النظام الحاكم في سوريا يرفض أن يتجاوب مع هذا الرجل، لم يجاوبه في أي شيء ممَّا طلبه، وهذا ما يعترف به الجميع، أنَّه منذ ذهبت خطة عنان، وذهب المندوبون والقتل يزداد كل يوم، بالأمس قُتل كذا وأربعون، وأول أمس قُتل كذا وخمسون، وقبل ذلك مجزرة فيها ثمانية وسبعون قتيلًا أو أكثر، ومئات الجرحى، وقبل ذلك مجزرة الحولة، مجازر بعد مجازر، هذا ما يفعله الجيش الظالم، الجيش الَّذي يُنسب إلى بشَّار الأسد.

وما بشَّار الأسد؟ كان طبيبًا يدرس في أوروبا، لما مات أبوه قالوا: لا بدَّ أن يرث الابن الحكم من أبيه! من قال هذا؟! في أي دين، أو في أي منهج، أو في أي قانون في الأرض أو في السماء: ما يوجب أن يرث الابن الحكم من أبيه، وإن لم يكن من أهل الحكم؟!

QaradawiBooks.com

هو طبيب تعلم طب العيون ليعالج أعين النـــاس، جاؤوا به ليركب على هذا الشعب العربي المسلم المؤمن، ويحكمه رغم أنفه، وتظل هذه الأسرة حوالي خمسة عقود تحكم سوريا.

إلى متى تظل هذه الأسر تحكم هذه البلاد، انتهى هذا، نحن في عهد الربيع العربي، انتهت الأســر الَّتي تحكم الجمهوريات، انتهى زين العابدين، وانتهى مبــارك، وانتهى القذافي، وانتهى علي صالح، ويجب أن تنتهي أسرة الأسد، هي في الحقيقة أسرة الجحش، معروفة في سوريا بأسرة الجحش، ولكنَّهم غيروا الجحش إلى الأسد، ومهما غيروه هو جحش، وهو وحش، وهو غير إنســان، ليس إنســانًا هذا الَّذي يقتل ويُخرِّب ويدمر ولا يكتفــي بذلك، بل ينتهك الأعراض، الأخوات في ســوريا، العــذارى، الأبــكار، الزوجــات والأمهات، الكبيرات والصغيرات، انتهكت حرماتهن، هتكت أعراضهن، اقتحم هؤلاء هذا الحمى.

أرأيتم مواطنًــا ينتهك حرمة أخته؟ المواطن الشــريف إذا تنازع مع أخيه لا ينتهك حرمته، المستعمرون هم الَّذين يفعلون هذا، ولكن أتباع هذا الأسد يشعرون أنَّهم ليسوا من هذا الشعب، هم أعداء هذا الشعب، أعداء أبناء سوريا؛ فلا يبالون أن ينتهكوا الحرمات، لا يبالون أن يهتكوا ستر امرأة حرة، قالوا: إن بعضهن قتلن أنفسهن ولم يرضين بذلك. نسأل الله أن يغفر لهن، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، وتموت ولا تأكل بثدييها أحيانًا، هؤلاء الَّذين سفكوا الدماء وهتكوا الأعراض، ولم يتركوا حرمة إلَّا وهتكوها وانتهكوها؛ ســيذلهم الله ﷻ، كما أذلوا هؤلاء المؤمنات، ولن تذل المؤمنة أبدًا.

QaradawiBooks.com

أقول للمؤمنات السوريات: أيتها الأخوات الحبيبات، أيتها البنات العزيزات، أنتن حرائر، لا تخفن أبدًا. الإنسان لا يُلام على ما يُكره عليه، حتَّى ولو كان كفرًا، عمار بن ياسر قال كلمة الكفر تحت الضغط، وجاء يبكي إلى النبي ﷺ، فنزل قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦][1]. المُكرهة معفوٌّ عنها، وعليها أن تعتز بنفسها، وعلى الإخوة السوريين أن يعرفوا هذا، وأن يتعاملوا بصدر رحب، وبنفوس مطمئنة مع هؤلاء الأخوات، هذا هو منطق الإيمان ومنطق الرجولة، لا ينبغي أن يتعامل أحد مع ابنته أو أخته أو خالته أو عمته أو قريبته بأي شيء يشعرها بالهوان أو بالذل، هي لم تفعل شيئًا، الظلمة المستكبرون العتاة الَّذين لم يخشوا خالقًا، ولم يرحموا مخلوقًا.. هؤلاء هم الَّذين يستحقون اللعنة، اللهمَّ العنهم في الدُّنْيا والآخرة، اللهمَّ خذهم أخذ عزيز مقتدر.

أنا أقول لإخواننا في سوريا: ثقوا أيُّها الإخوة أنَّكم منصورون، والله إنَّكم منصورون، لا يمكن حسب عدل الله في الكون، حسب سنة الله في الخلق أن ينتصر الظلم على العدل، لا يمكن أن ينتصر الباطل على الحق، لا يمكن أن تنتصر الرذيلة على الفضيلة، لا يمكن أن ينتصر الشرَّ على الخير، لا يمكن هذا أبدًا، هذا ضد سُنَّة الله، يأبى الله ﷻ إلَّا أن ينصر الحقَّ على الباطل، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء: ١٨].

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠٤/١٧).

QaradawiBooks.com

ثقوا أيُّها الإخوة في سـوريا أنَّكم منتصرون، يا أحبابنا ويا حبيباتنا، يا إخواننا ويا أخواتنا في سوريا العزيزة، نصركم قريب، عن قريب جدًّا سيزول هذا الطاغية، سيزول هذا الجبار، سـيبوء بخزيه في الدُّنْيا وفي الآخرة، سنراه في الآخرة والله تعالى يجزيه عن سيئ عمله، ما ارتكبه في هذا البلد الحر العزيز من مجازر، وما ارتكبه من سيئات، وما انتهكه من عورات؛ سـيأخذه الله به أخذًا أليمًا شـديدًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

هذه كلمتي الأولى لإخواننا في سوريا.

الانتخابات الرئاسيَّة في مصر:

والكلمة الثانية لإخواننا في مصر الَّذين يبدؤون مرحلة مهمة؛ بل هي في غاية الأهمية، وقد بدؤوا بها هنا في قطر وفي بلاد العالم المختلفة، في آسـيا وأفريقيـا وأوروبا وأمريكا وأسـتراليا، بـدؤوا الانتخاب في الخارج، وسيبدأ الانتخاب بعد أيام في داخل مصر.

أنا أنادي الإخوة المصريِّين أن يتقوا الله في أصواتهم، أصبح لهم أصوات، لم يكن لهـم صوت، لم يكـن المصريُّـون يهتمون بالانتخابـات، جاءت الانتخابات، فاتت الانتخابات، انتهت الانتخابات، نجح من نجح، ورسـب من رسـب، لا يهتم المصريُّون؛ لأنَّهم يعرفون أنَّ الانتخابات سـتتم سـواء حضروا أم غابـوا، الآن أصبح لهم صوت، صوتك يحيـي ويميت، صوتك يُنجح ويُخيب، صوتك له أهمية، ما الَّذي جعله هكذا؟ الثورة المصريَّة، ثورة المصريِّين، ثورة الأحرار، الثورة الَّتي قام بها جميع أبناء مصر إلَّا فئة قليلة، فئة لا تسـمن من شـبع، ولا تغني من جوع، أتبـاع النظام السـابق، وهم يستحيون من النَّاس ويستخفون منهم، كانوا يخجلون من أنفسهم.

QaradawiBooks.com

ولكن الَّذي حدث أن حسني مبارك سلَّم الأمانة إلى الجيش، إلى المجلس العسكري، وفي الجيش أناس أحرار صادقون مؤمنون، وأناس لا تزال قلوبهم مع النظام البائد، كانوا عبيدًا له، كنا نراهم وهم ينحنون لمبارك، ويكونون له كالأحذية، فكان ما كان، وانتهى الأمر.

وكان علاج هذه الأمور علاجًا سهلًا جدًا، فعله إخواننا في تونس، أن يُمنع كبراء أتباع النظام السابق الَّذين يؤثرون: من دخول الحياة السياسية عشر سنوات، لم نسجنهم، ولم نضربهم، ولم نقتلهم، ولم نجازهم، فقط ابعدوا عنا، أنتم أفسدتم الحياة السياسية، ولوَّثتم حياة مصر ثلاثين سنة، أو ستِّين سنة إذا حَسَبنا الوقت كله؛ فأريحونا منكم عشر سنوات. لو فعلوا هذا لاستراحت مصر، واستراح العالم، ولكن لم يفعل الجيش ذلك، تركهم كما هم يدخلون الانتخابات، ويرشحون أنفسهم للانتخابات.

ومجلس الشعب الَّذي انتُخب بأغلبية من المصريِّين: قرر أن يصدر قانونًا يعزل فيه هؤلاء، ولكن المجلس العسكري لم يحكم بهذا القانون، وأحاله إلى المحكمة الدستورية، والمحكمة الدستورية لم تفصل فيه، ستفصل فيه بعد أيام، لماذا هذا يا قوم؟

ابتُلي شعب مصر، هذا الشعب الكريم، الشعب المكافح، الشعب الَّذي رفض الذل والهوان، وقدَّم لنا ثورة مُعلِّمة ملهمة في ميدان التحرير، الميدان الَّذي اقترحت أن يُسمى ميدان الثورة، ابتُلي هذا الشعب بهؤلاء المفسدين الَّذين لا يريدون أن يتركوه وشأنه.

الآن أيُّها الإخوة أصبح هناك شخصان، بعد أن انتهت الجولة الانتخابية الأولى، رسب من لم يكن له حظ، ونجح اثنان: أحدهما يمثل

QaradawiBooks.com

ثورة مصر، ثورة الأحرار، ثورة الأبطال، ثورة الرجال والنساء، والشباب والشيوخ، ثورة كل مصري يعتز بمصريته، وهناك من يمثل أعداء الثورة، ليس هناك تقسيم آخر، لا تقل لي: إسلاميِّين وغير إسلاميِّين، وإخوان وغير إخوان. لا، بل هناك ثورة وأعداء الثورة، فمن مع الثورة ومن مع أعداء الثورة؟

من كان مع الثورة المصريَّة؛ فلا يجوز له لا شرعًا ولا عقلًا، ولا عُرفًا ولا خُلقًا، ولا بأي وجه أن ينتخب أعداء الثورة، أن يعطي صوته لإنسان كان آخر من عينه حسني مبارك، كيف نعيد حسني مبارك مرَّة أخرى؟ الشعب قام على بَكْرة أبيه رافضًا الحكم الَّذي حُكم به على ستَّة من أنصار مبارك؛ لأنَّه ليس الحكم المأمول، كيف نختار شخصًا اختاره مبارك ليكون رئيسًا لوزرائه، وهو الَّذي أذل النَّاس بمعركة الجمال والخيول والبغال والحمير؟!

كيف يجوز لمصري عنده ذرة من عقل في رأسه، عنده ذرة من إيمان في قلبه، عنده ذرة من احترام الكرامة والحرية: أن يختار مثل هذا رئيسًا لمصر؟ يا للعار، يا للشنار، يا للمصيبة إذا اختارت مصر أحد الفلول الَّذين كانوا مع العهد البائد والنظام الفاسد، النظام الجائر الَّذي مزَّق البلاد شر ممزق، لا يجوز لأحد أن يختار واحدًا من هؤلاء أبدًا.

أنادي أبناء مصر، كل أبناء مصر: في الصعيد، وفي الوجه البحري، وفي القاهرة، وفي الإسكندرية، وفي كل المحافظات، أنادي المصريِّين بملء صوتي، وأقول: والله ما أقولها إلَّا لله: لا يجوز لمصري حر تجري في عروقه دماء الحرية، لا يجوز لمصري عزيز على نفسه: أن يختار هؤلاء الجائرين الظلمة، المفسدين في الأرض، الَّذين هتكوا الحرمات،

QaradawiBooks.com

الَّذين فعلوا بمصر ما فعلوا خلال ثلاثين سنة أو سِتِّين سنة، لا يجوز لمصري أن ينتخب واحدًا من هؤلاء أبدًا.

أنادي المصريِّين، كل المصريِّين، أنادي المسلمين وأنادي الأقباط، أقول للأقباط: يا أيُّها الأقباط، كونوا عقلاء، لا تكونوا مع من فعل بكم الأفاعيل من قبل، واتَّهمكم بتهم باطلة، لن ينفعكم إلَّا الإسلام، كونوا مع الإسلام ولا تكونوا ضده، الإسلام الحقيقي، الإسلام بمفهومه الوسطي، الإسلام كما يعرفه الدعاة الصادقون: لا يمكن أن يكون ضدكم أبدًا، لا تكونوا مع هؤلاء الظلمة، لا تكونوا مع أتباع مبارك، والله لن ينفعكم أبدًا.

وأقول للَّذِين أُعطوا الأموال، هناك أناس اشتروهم، هؤلاء معهم أموال كثيرة بالملايين والبلايين، من الداخل ومن الخارج، وهم يبعثرونها هنا وهناك، ويمينًا وشمالًا، وشرقًا وغربًا، أقول لهؤلاء: خذوا أموالهم، هي حلال لكم، أنتم أولى بها منهم، ولكن لا تفسدوا هذا بأن تختاروا الأسوأ، اختاروا الأصلح، أنتم تشهدون لله، القرآن يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]. اجعل شهادتك لربك، اشهد بالحق، لا تكن ممن يشهد زورًا، شهادة الزور عدها النبي ﷺ من أكبر الكبائر، ثمَّ قال: «**ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور، ألا وقول الزور**»[1]. خذ (الفلوس) لنفسك واشهد بالحق، حتَّى لو حلفوك بالله أو بالطلاق، هذا لا قيمة له شرعًا، لا يقع هذا عليك، اشهد بالحق، اختر من يكون مع الثورة، لا تتحير في هذا أبدًا.

هذا ما أقوله لكل مصري، أقول للمصريِّين: اشهدوا وأنتم أحرار لمن كان مع الثورة، لا تشهدوا لمن كان ضد الثورة أبدًا، لا يجوز في هذه

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

الحالة أن يقــف أحد على الحياد، يقــول: أنا محايد. ليــس هناك أحد محايد، إذا لم تعطِ صوتك لمن كان مع الثورة تكون قد أنجحت الآخر؛ حتَّى لو لم تعطه صوتك! يكفي أنَّك حرمت مرشح الثورة من صوتك!

حرام على كل مصري أن يقف علــى الحياد، يجب أن يعطي صوته لمن يعتقد أنَّه أحق، لا يجــوز أن تتورط مصر مرَّة أخرى لتقع في أيدي هؤلاء، حرام عليكم أيُّها المصريُّون، أدوا لله حق الشهادة، اشهدوا بالحق، لا تشهدوا بالباطل، لا تشــهدوا زورًا، أدوا الأمانات إلى أهلها، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨].

أســأل الله تبارك وتعالــى أن يلهــم المصريِّين رشــدهم، ويلهمهم الصواب، وأن يذهبوا جميعًا إلى صناديق الانتخاب، ويختاروا الإنســان الصالح، لا الإنســان الفاســد الَّذي يكذب يقول الكلام وينكره، يكذب على الله ويكذب على الناس، لا يجوز لنا أبدًا أن نكون مع هؤلاء، أسأل الله تعالى أن يهب لمصرنا خير الأمرين، وأن يهبها حياة طيبة آمنة مطمئنة.

اللهم إنَّا نســألك العفوَ والعافيةَ في الدين والدنيــا والآخرة، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفســنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا، ســخاءً رخاءً وسائر بلاد الإســلام، اللهمَّ انصر إخوتنا في سوريا، وانصر إخوتنا في مصر، وانصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنــا في اليمن، وانصر إخوتنا فــي الأردن، وانصر إخوتنا في الجزائــر، وانصر إخوتنا فــي موريتانيا، وانصــر إخوتنا في باكستان وأفغانستان، وفي إندونيســيا وماليزيا، وفي نيجيريا والسنغال، وفي كل مكان في أرض الإســلام، اللهمَّ انصر العاملين للإسلام، اللهمَّ

QaradawiBooks.com

ارفع راية القرآن، اللهمَّ أعلِ كلمة الإسلام، اللهمَّ افتح لإخواننا فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهمَّ خُذ الظالمين والجائرين على شعوبهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصُرْنا على القوم الكافرين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٦

الفرح والحزن في القرآن الكريم

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نعود إلى ما كنا فيه من قبل، نتحدث عن موضوعات القرآن الكريم، وللقرآن موضوعات يتحدث فيها تتعلق بالعقيدة، وتتعلق بالعبادة، وتتعلق بالشريعة، وتتعلق بالأخلاق، وتتعلق بالحضارة، وتتعلق بالتقاليد، وتتعلق بكل شيء يحتاج إليه الفرد، وتحتاج إليه الأسرة، ويحتاج إليه المجتمع، وتحتاج إليه الأمة، وتحتاج إليه الإنسانية كلها.

أحدثكم اليوم عن بعض العواطف، عن الجانب العاطفي الَّذي يتحدث عنه القرآن كثيرًا، كما تحدث عن الرضا والغضب، وكما تحدث عن الضحك والبكاء، وكما تحدث عن الصفاء والكدر، يحدثنا القرآن أيضًا عن الفرح والحزن.

الجانب العاطفي في الإنسان:

الإنسان من شأنه أن يفرح، ومن شأنه أن يحزن، هذه عواطف بشرية

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢١ سبتمبر ٢٠١٢م.

غير مرخص للطباعة
نسخة معدلة

لا تتخلف عن إنسان ما، كل إنسان يصيبه ما يُفرحه، ويصيبه ما يُحزنه، فليست كل حياته أفراحًا، وليست كل حياته أحزانًا، والإنسان المؤمن العاقل الَّذي يلتزم رضا الله تبارك وتعالى، ويبتعد عما يسخطه يحاول أن يصف عواطفه وأن يزنها بالميزان السليم، ميزان الشرع، وميزان العقل، وميزان المجتمع؛ بحيث لا ينحرف بها عن طريقها المستقيم، ويسير في الطريق الأعوج، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

من شأن الإنسان أن يفرح، إذا كان الإنسان عاطلًا ووجد عملًا فرح، إذا كان فقيرًا ووجد مالًا فرح، إذا كان عزبًا ووجد زوجة ملائمة فرح، إذا لم يكن له ولد وآتاه الله أولادًا فرح، كل ما يصيبه من نعماء الدُّنْيا يفرحه، هذا فرح طبيعي ينشرح به صدره، ويبتسم له ثغره، وتنفعل به حياته انفعالًا مريحًا، هذا شأن الإنسان.

استعاذة النبي من الهم والحزن:

والمثل الأعلى في ذلك هو رسولنا مُحَمَّد ﷺ، فقد كان يفرح ويحزن، بعض النَّاس قال: إنَّه كان متواصل الأحزان. ولكن المحققين من العلماء قال: لم يثبت بهذا حديث صحيح، جاء هذا في حديث ضعيف[١]. فلم يكن متواصل الأحزان، بل كان يستعيذ بالله تعالى من الهم والحَزَن، كما جاء في صحيح البخاري[٢]، وكما جاء في سنن

(١) رواه الترمذي في الشمائل (٢٢٦)، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، نشر المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، والطبراني (١٥٥/٢٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٥٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠٢٦): رواه الطبراني، وفيه من لم يسم. وضعَّفه الألباني في فقه السيرة (٢٠٢)، عن هند بن أبي هالة التميمي.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

أبي داود من أدعيته ﷺ: «اللهمَّ **إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهر الرجال**»[1]. فهو لا يحب الهم ولا الحَزَن: الحَزَن على ما فات، والهم بما هو قادم، لا يحب أن تنقلب حياته حياة كدر مستمر، لا، ليست هذه هي الحياة، بل هو يفرح، وكثيرًا ما يفرح.

والقرآن يذكر لنا الحزن، ما بين حزن منفي، وحزن منهي عنه، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩]. نزل ذلك بعد أن انكسر المسلمون في غزوة أحد، وفقدوا سبعين من الصحابة الأبطال، فقال لهم: ﴿**وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟**﴾.

عدم الاستسلام للأحزان:

الإنسان لا يملك أن يحزن، ولكن لا ينبغي أن يتعاطى ما يحزنه، أو يسبب لنفسه الحزن، أو يستسلم للحزن، قال الله تعالى لرسوله: ﴿ **وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٧]. لا تحزن على الكفار، هم يريدون أن يُحزنوك فلا تحزن عليهم، هذه طبيعة الناس، ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ** ﴾ [التغابن: ٢]، وأنت لا تستطيع أن تهدي النَّاس جميعًا، ﴿ **مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ** ﴾ [طه: ٢، ٣].

ولذلك نهاه في آيات كثيرة في القرآن أن يحزن؛ لما أصابه من انشغال الكافرين عنه وعن دعوته، وعدم استجابتهم له، كان ذلك يحزنه

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥)، عن أبي سعيد الخدري، وفي سنده راوٍ ليِّن الحديث، ولكن المفردات المستعاذ منها ثبتت في الصحاح.

QaradawiBooks.com

كثيرًا؛ فنهاه الله تعالى أن يحزنه ذلك، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤١]. لا يحزنك هؤلاء.

ونهاه أن يحزن لأكاذيبهم عليه، وتقولهم عليه، قال: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]، ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥]. العزة لله، الله هو الَّذي يملك العزة، فلا ينبغي أن تحزن، ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، كلامهم لا شكَّ كلام محزن، كلام مؤلم، والإنسان الحر، الإنسان المخلص حينما يرى النَّاس يتقولون عليه الأقاويل، ويفترون عليه الأكاذيب: لا شكَّ أنَّه يحزن بطبيعته، بحكم الطبيعة البشرية لا يملك أن يرد أحزانه!

ولكن لا ينبغي أن يستسلم للأحزان، ينبغي أن يكون أقوى شكيمة، وأشد عزيمة، ويقف ضد هؤلاء؛ فلا يجوز أن يستسلم لما يقوله الكفار، فهم يقولون كلامًا كثيرًا ولكنَّه مردود عليهم، ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، يعلمون أنَّك غير كاذب، ولكن هو الجحود بآيات الله ﷻ، يعرفون صدق آيات الله تبارك وتعالى، ولكنَّهم ينكرونها، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

لا ينبغي للإنسان إذن أن يستسلم للأحزان، إنَّما ينبغي أن يقف الموقف الوسط، ولذلك كان هذا موقف رسول الله ﷺ، مات ولده إبراهيم وهو رضيع فقال: «**إنَّ العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، ولا نقول إلَّا ما يرضي ربَّنا، وإنَّا لفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

قلوبنا تحزن، ولكن لا نقول إلَّا ما يرضي الله، لا يستطيع الإنسان أن يغالب دموعه، ولا أن يرد الحـزن الَّذي يدخل عليه، إذا مات عزيز عليه أو حبيب إليه؛ سـيدخل الحزن على قلبه بطبيعة الحال، ولكن لا يجوز أن يسـلم نفسـه إلى هذا الحزن، ويركبه الغم صباحًا ومسـاءً، وصيفًا وشتاءً، وعلى طول الدهر، لا، ليس هذا شأن المؤمن.

طبيعة الحياة بين السراء والضراء:

المؤمن يعلم أنَّ الحياة متغيرة، هـذه طبيعة الدُّنْيا، فيها الكدر وفيها الصفاء، فيها السعادة وفيها الشقاء، فيها ما يَسر وفيها ما يُحزن، فلا ينبغي أن نُغلِّب الجانب السـيئ على الجانب الحسن، والجانب المحزن على الجانب السـار، بل ينبغي أن نأخذها على ما هي عليه، هذه هي الدُّنْيا، الله تعالى يقول فـي طبيعة الإنسـان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]. يكابد المشقات، وهذه هي طبيعة الدُّنْيا، لا تخلو من نعمة زائلة، أو من مصيبة قاتلة، هكذا هي الحياة.

جُبِلَتْ على كَـدَرٍ وأنت تُرِيدُها صَفْـوًا مـن الآلامِ والأكـدارِ
ومُكلِّـفُ الأيَّـامِ ضـدَّ طباعِها مُتَطَلِّبٌ فـي الماءِ جَـذوةَ نارِ[1]

فلا تطلب أن تكون الدُّنْيا باسـتمرار مبتسـمة لك، فالدنيا تبتسـم وتعبث، والإنسـان يفرح ويحزن، فهذه هي طبيعة الحيـاة، وهذه هي طبيعة الإنسـان، وإذا حزن الإنسـان فينبغـي أن يغالب حزنـه، يغالبه بالصبر، ويغالبـه بالرضا بما قضى الله ﷻ، ويعلـم أن هذه هي الدُّنْيا، وهذه هي الحياة!

(١) من شعر أبي الحسن التهامي، يرثي ولده. انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب (٣٥/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

أمَّا أن يستسلم للأكدار، ويستسلم للغمِّ، ويستسلم للحزن؛ فإنَّه يخسر كثيرًا. فمن نعم الله على الإنسان المؤمن أن ما يصيبه من هم وغم وحزن؛ يكفر به عنه السَّيِّئات، كما قال النبيُّ ﷺ: «**ما يصيبُ المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أذًى ولا غمٍّ، حتَّى الشوكة يشاكها، إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**»[1]. فهذه الأشياء تُكفر خطاياك، تخفف عنك الذنوب، فلماذا تستسلم للكدر دائمًا، وللحزن باستمرار؟ ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان المؤمن.

هناك أشياء تُفرح، الله تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. فكما أن هناك محزنات هناك مفرِّحات، من ذلك أن يفرح الإنسان بفضل الله وبرحمته.

النهي عن فرح البطر والغرور:

هناك فرح مطلق، وهو الَّذي يورث الأشر والبطر والغرور، وهو ما نهى عنه قوم موسى قارونَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. الفرح هنا فرح البطر والأشر والغرور، الَّذي جعل قارون يقول عن ماله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. (بشطارتي) أنا وذكائي ومهارتي جئت بهذا المال، وهو من فضل الله تعالى عليه، المال في الحقيقة مال الله، يؤتيه الإنسان كما يشاء، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣)، عن أبي سعيد وأبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هكذا قال له قومه: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧]. هذه وصايا المؤمنين لكل ذي مال، وكل غني.

فهذا هو الفرح المطلق الَّذي لا يجوز للمؤمن أن يكون هذا خُلُقه، فرح البطر والغرور، كالَّذين قال الله فيهم: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٥، ٧٦]. فهذا الفرح بغير الحق فرح مذموم، كما قال الله عن بعض الكفار: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]. يفخر بما عنده من مال، وما عنده من أولاد، وما له من عزوة، وما له من جاه، يفرح بهذا فرح الأشر والبطر والغرور، هذا فرح مذموم.

الفرح بنعمة الله وفضله:

ولكن ليس كل فرح من هذا النوع، بعض النَّاس يفرح بفضل الله، يفرح بنعمة الله ﷻ، يفرح بالعلم، يفرح بالإيمان، يفرح بمكارم الأخلاق، يفرح بما وفقه الله من عمل الصالحات، كل ما أورده الله من خير يفرح به، يفرح بنصر الله ﷻ كما حكى الله تعالى عن فرح المؤمنين في سورة الروم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢، ٣]. حزن المؤمنون لانهزام الروم أمام الفرس، فقد كان الفرس يعبدون النار؛ فهم أقرب إلى الوثنيين، وكان الروم نصارى أهل كتاب أقرب إلى المسلمين، ولذلك يعتبرهم الإسلام أهل كتاب؛ فيجوز أن تتزوج كتابية، فهذا يدل على قرب النصارى من المسلمين، فقال:

QaradawiBooks.com

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٢ ـ ٥]. حين ينصر النصارى على المشركين، يكون هذا نصرًا من الله ﷻ، يفرح به المؤمنون.

ويقول الله تعالى في الشهداء الَّذين قُتلوا في سبيل الله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. فرحين بما آتاهم الله من الشهادة، كانوا يتمنون أن يموتوا شهداء، ويسألون الله أن يرزقهم الشهادة، ويختم لهم بها، فلما أوتوا الشهادة فرحوا بها، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]. يستبشرون بالمؤمنين الَّذين وراءهم مستعدين للقتال والموت في سبيل الله، فهم فرحون بالواقع مستبشرون بالمستقبل.

هذا هو شأن المؤمنين، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، والله تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الرعد: ٣٦]. يفرحون بالقرآن، كلمة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في القرآن تدل على المدح، كلمة (**الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ**) فيها مدح وفيها ذم، أحيانًا يكونوا طيبين، وأحيانًا يكونوا سيئين، وكذلك كلمة (**الَّذِينَ أُتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابَ**)، أمَّا كلمة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فيها مدح، ولذلك يفرحون بما أُنزل إلى النبي ﷺ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، يفرحون بما أُنزل إلى رسوله من الكتاب.

QaradawiBooks.com

الفرح بثمرة العمل الصالح:

المؤمن يفرح، والنبي ﷺ يقول: «**للصائم فرحتان يفرحُهما: إذا أفطر فرح بفِطْرِه، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه**»[1]. الفرح الأول فرح فطري فرح البشر، كان ممنوعًا من الأكل ثمَّ جاءته الحرية فيفرح بحريته، يأكل ما يشاء، ويشرب ما يشاء ممَّا أحل الله له، والفرح الثاني فرح ديني، فرح بالآخرة، يفرح بالنتيجة الكبرى، «**إذا لَقِيَ ربَّه فرح بِصَوْمه**»، سيحصل على نتيجة عمله، يستلم شهادة النجاح، يأخذها بيديه من الله تبارك وتعالى.

الفرح إذنْ ليس كله مذمومًا، وليس كله ممدوحًا، والإنسان المؤمن يفرح للخير، ويحزن للشر، سيِّدنا يعقوب عليه السلام حزن عندما فقد ابنه يوسف عليه السلام، بطبيعة الإنسان الَّذي يحب أولاده، يحزن إذا فقد واحدًا منهم، وخصوصًا الصغار، سُئل أحد الأعراب: أي أولادك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتَّى يكبر، وغائبهم حتَّى يحضر، ومريضهم حتَّى يُشفى. فالصغير يُحب!

فرح يعقوب بعودة يوسف:

فلما فقد يعقوب ابنه يوسف حزن عليه، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ۞ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٤ ـ ٨٦]، وحينما جاءت البشائر قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]. شم ريحها،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، لا زلت في أوهامك أن يوسف لا يزال حيًّا، وما هي إلَّا أيام حتَّى جاء البشير، ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]. من شأن الإنسان أن يفرح بمثل هذا.

فرح أم موسى بنجاة ولدها:

أم موسى عليه السلام بشرها الله أنَّه سيفرحها بأنَّه سيعيد إليها ولدها، قال لها: ألقِهِ في اليم، ابنك هذا الَّذي ولدتيه، وتحرصين على حياته، ضعيه في التابوت في الصندوق وألقيه في البحر، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فألقته في البحر، في نهر النيل، وهو نهر كبير أشبه بالبحر، والتقطه آل فرعون، رأوا صندوقًا يجري في البحر؛ فالتقطوه وفتحوه، فوجدوا هذا الغلام، ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، لا يعلمون أن هذا الولد الَّذي فرحوا به هو الَّذي سيزيل ملك فرعون، فرعون الَّذي كان يقتل الأولاد ليحافظ على ملكه: التقط هذا الرضيع ورباه؛ حتَّى زال ملكه على يديه، لا يعلم أنَّ الله تعالى ينفذ إرادته بما يشاء من أسباب.

وردَّ الله موسى إلى أمه بعد ذلك، حينما أبَى الطفل أن يرضع من أي امرأة، حتَّى هيأ الله له أخته وقالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]؟ قالوا لها: نعم. فأخذته إلى أمه، رده الله إلى أمه، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣]، هذه أحزان مشروعة، وأفراح مشروعة أيضًا.

QaradawiBooks.com

الفرح والحزن بلا إفراط أو تفريط:

هذا شأن الإنسان أن يفرح وأن يحزن، ولكن باعتدال، المشكل هو الإفراط والتفريط، أن يغالي في فرحه حتَّى يصل به إلى البطر القاتل، أو يغالي في حزنه حتَّى يصل به إلى الهم الجارح الكاسر، ما ينبغي للإنسان أن يُفْرط في عواطفه إلى هذا الحد، وإنَّما ينبغي أن يكون معتدلًا، ألا يُخسر في الميزان، ولا يفرط في الميزان، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، هذا هو شأن الإنسان المؤمن في عواطفه، كما كان نبينا ﷺ، وكما كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فحياتهم حياة اعتدال، كما قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

هذا شأن المؤمنين دائمًا، لا ييأسَوْا ولا يحزنوا على ما فاتهم من خير، من غُنم، من نعمة، ولا يفرحوا بما أوتوا، الفرح الَّذي ينسيه الخيرات، وينسيه نعم الله ﷻ عليه، وفضله عليه، هذا الفرح وهذا الحزن مذموم، لا ينبغي للإنسان أن يكون أسيرًا لمثل هذا الفرح ومثل هذا الحزن، أمَّا الفرح المعقول، والحزن المعقول فهما من طبيعة البشر، ولو شاء الله أن يخلق البشر على غير هذا الحال لخلقهم، ولكن هكذا خلقهم.

الدار الَّتي ليس فيها حزن ولا غم ولا بكاء ولا شيء يُكدِّر هي الجنَّة، أهل الجنَّة وحدهم هم الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. الخوف ممَّا يأتي، والحزن على ما مضى، فهم لا يخافون من مستقبل، ولا يحزنون على ماضٍ، هؤلاء أولياء الله.

QaradawiBooks.com

وكل تقيٍّ هو ولي لله، لا تظنوا الأولياء أناسًا خارقين للعادة، كل مؤمن حقيقي هو ولي لله، كل واحد منكم يستطيع أن يكون وليًّا لله، ليس الوليُّ هو من تُخرق له العادات، كل مؤمن حقيقي وليٌّ، أنت وليُّ الله، لست وليَّ الشيطان، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. من هم أولياء الله؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]. المؤمنون الأتقياء هم أولياء الله، لا أحد غيرهم، يستطيع أهل هذا المسجد جميعًا أن يكونوا أولياءً لله، ولمن تكون وليًّا إذن؟ هل أنت وليٌّ للشيطان؟ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، الله ولي المؤمنين، وليس وليًّا لغيرهم، فلماذا لا يكون الله وليك؟ ولماذا لا تكون وليًّا لله؟

أولياء الله إذًا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا في الدُّنْيا ولا في الآخرة، لا يخافون؛ لأنَّهم لا يخافون إلَّا الله، ولا يحزنون لأنَّهم لا يحزنون إلَّا على أن تفوتهم طاعة الله، أن يفوتهم فرض من الفروض، أن يقعوا في معصية من المعاصي، هذا هو الَّذي يُحزن حقًّا، إنَّما يحزن الإنسان إذا فاتته الاستقامة.

المسلم المستقيم فَرِح في الدنيا والآخرة:

أمَّا الإنسان المستقيم فهو فَرِحٌ في الدُّنْيا، وفَرِحٌ عندما يفارق الدُّنْيا، تأتيه المبشرات كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]، أي عند موتهم، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، اطمئنوا تمامًا، أنتم مقبلون على مرحلة جديدة ليس فيها

QaradawiBooks.com

خوف ولا حزن، ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، سرور وبشارة في هذا الوقت، هذا هو شأن الَّذين قالوا: ربنا الله.

صحت عقيدتهم واستقاموا، عملوا الصالحات واستمروا عليها إلى الممات؛ فإذا دخلوا الجنَّة انتهى الحزن، وقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]. ليس فيها شقاء ولا كدر، ولا تعب ولا معاناة.

هذه هي الدار الآخرة، لا يحزن فيها مؤمن صالح، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩]، السرور هنا هو الفرح الثابت، يُسَرّ ويفرح في الدار الآخرة، حينما يلقى كتابه بيمينه.

حزن الكافرين في الدار الآخرة:

أمَّا الآخر فيلقى كتابه بشماله، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٣]، انقلب السرور إلى حزن، الدار الآخرة تتغير فيها الأحوال، تصبح فيها الأمور غير ما كانت، الَّذين كانوا فرحين في الدُّنْيا يحزنون في الآخرة، والَّذين كانوا يضحكون في الدُّنْيا يبكون في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩]. هناك فئتان في الدنيا: فئة الَّذين أجرموا، وفئة الَّذين آمنوا، فالمجرمون الكفار كانوا يضحكون في الدُّنْيا من المؤمنين، ويسخرون منهم، ويستهزؤون بهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٠ ـ ٣٦].

QaradawiBooks.com

هكـــذا أيُّها المؤمنـــون تنقلب الموازيـــن، وتتغير الأمـــور، فاعملوا للآخرة، اعملوا حتَّى لا تكونوا فـــي الآخرة باكين حزانى على ما فاتكم من خير، وما أصابكم من شر، اعملوا لتكونوا ضاحكين في هذا اليوم، مســـرورين بأعمالكم، فرحين بما آتاكم الله من فضلـــه، وفي هذا اليوم يُجزى كل امرئ بما عمـــل، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نتحدث في الخطبة الثانية عن جملة أمور:

قضية الرسوم المسيئة:

الأمر الأول: أن مجلة في فرنسا نشرت رسومًا مسيئة لسيدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ، وكأن هؤلاء القوم يريدون أن يستخفوا بنا، في كل شهر أو شهرين يُظهرون لنا رسمًا من الرسوم، أو فيلمًا من الأفلام، أو شيئًا من هذه الأشياء المخلة؛ حتَّى يهيج المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وتثور ثائرتهم، ويخرجوا متظاهرين من مساجدهم ومن ديارهم؛ شاكين وباكين، ومتضجرين ومتأففين، ويفعلون ما يفعلون، فقالوا: نستطيع أن نهيج المسلمين ونخرجهم بهذه الطريقة.

ولقد أدرك الإخوة الَّذين يحكمون تونس هذه اللعبة، فقالوا: لن نخرج ولن نسأل عن هؤلاء القوم، لا بد أن نعمل على أن نجادلهم ونحاكمهم إلى منطق الأمور.

وأعتقد أن هذا هو الموقف الأصح، والموقف الأرجح، فلا ينبغي أن يستثيرنا القوم كلما أرادوا أن يستثيرونا ونخرج هائجين حينما يُهيِّجوننا، لا، لا بدَّ أن نقول لهؤلاء القوم: لا بدَّ أن يكون لكم موقف معنا ويكون لنا موقف معكم، هل تريدون أن نتعادى أم تريدون أن نتصالح؟ هل تريدون أن نعيش معًا لنبني معًا، أم تريدون أن يهدم بعضنا بعضًا، ويقتل بعضنا بعضًا؟

QaradawiBooks.com

إن نبينا مُحَمَّد ﷺ هو جزء أساسي من مقدساتنا، هل تريدون هدم هذه المقدسات، أم تريدون الحفاظ عليها؟ إن كنتم تريدون هدم مقدسات الآخرين فهيَّا نتحارب ونتخاصم، ويعادي بعضنا بعضًا، ويقاتل بعضنا بعضًا، وإن كنتم تريدون أن نعيش أناسًا متفاهمين فاحترموا مقدسات الآخرين، لا بدَّ أن تُحترم الأديان الأخرى، لا بدَّ أن يُحرَّم ازدراء أديان الأمم الأخرى، هذا أمر لا بدَّ أن يُحافَظ عليه، ويُخاصَم من أجله، أمَّا أن نظل هكذا فلا ينبغي أبدًا!

الأمر الَّذي يجب أن تحترمه الأمة وتعمل من أجله، هو احترام الأديان، لا يجوز لأحد أن يستخف بدين الآخر بزعم الإبداع والحرية! أي إبداع وحرية في شتم الآخرين، وإهانة مقدساتهم، والتعدي على هذه المقدسات؟ هل هذا احترام لحقوق الناس؟ هل هذا احترام لمقدسات الآخرين؟ هل هذا احترام لأديان الآخرين؟ ليس احترامًا أبدًا.

فهذا هو ما نصرُّ عليه، ونطالب به حكوماتنا، ونطالب به الجامعة العربيَّة، ونطالب به منظمة التعاون الإسلامي، ونطالب به الأمم المتحدة، ونطالب به مجلس الأمن، ونطالب به الدول والحكومات المختلفة، ونطالب به كل العقلاء والشرفاء في العالم حتَّى يؤمنوا بهذه الحقيقة، هذا أمر.

قضية بنجلاديش:

الأمر الثاني الَّذي أريد أن أُحدثكم عنه هو ما جاءنا من بلد إسلامي معروف هو بنجلاديش، كان هذا البلد في الزمن الماضي جزءًا من باكستان، كانت باكستان قسمين: باكستان الشرقية، وباكستان الغربيَّة، ثمَّ انفصلت الشرقية عن الغربيَّة، وأصبحت الشرقية اسمها بنجلاديش، والغربيَّة هي باكستان كما هي.

QaradawiBooks.com

باكستان الشرقية أو بنجلاديش تريد اليوم أن تصادم الحريات العامة للناس، وأن تحجر عليهم في دينهم ودنياهم، وأن تحرِّم عليهم ما يُحل الله ﷻ، وما تحلــه دول العالم الأخرى، وأن تحارب الإســلام في دار الإسلام، كان المســلمون في الهند الكبرى، ولكنَّهم انفصلوا عن الهند الكبرى بإسلامهم، قالوا: إننا مضطهدون في بلد أكثريتها هندوسية تعبد الأصنام، فلا بد أن يكون لنا بلد نحن أحرار فيه نتعبد بشريعتنا، ونحتكم إلى قرآننا وسنتنا. فانفصلت باكستان بقسميها الشرقي والغربي.

الأصل إذن أن هذا بلد إسلامي انفصل من أجل الإسلام، لا وجود له إلَّا بالإسلام، انفصلوا وتركوا ما تركوا من أملاك؛ من أجل أن يكون لهم بلدهم الإسلامي، فكيف يُحارَب الإسلام في بلد نشأ من أجل الإسلام؟ كيف يُقاوَم دعاة الإســلام؟ كيف يُعتقل منهم من يُعتقل؟ ويُحكم على من يُحكم عليــه منهم بالإعــدام بغير حــق؛ إلَّا أن يقولــوا: ربنا الله؟ ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]؟

يا أهل بنجلاديش، حرام عليكم أن تخونوا هذا الدين العظيم الَّذي أقمتم بلدكم من أجله، تخونوا القرآن، وتخونوا الســنة، وتخونوا علماء الإسلام، وتخونوا شهداءكم، وتخونوا أسلافكم، وتخونوا مجموع بلدكم المسلم، لا تفتروا على الإســلاميِّين، لا بدَّ أن تعترفوا بالعصر الحاضر، بالعالم كله الَّذي يقيم الديمقراطية وينشئ الحريات للناس، ويتيح للنَّاس أن يتخيروا لأنفسهم، من يريد أن يدعو إلى الإسلام يدعو إليه، ومن يريد أن يدعو إلى الاشــتراكية يدعو إليها، ولكن لا يحجر على الإسلاميِّين، حرام أن يُحجر عليهم، وأن تعتبر الدعوة إلى الإســلام إجرامًا وشــرًّا، يُحاكم المرء من أجلها، لا يجــوز أن يفعل هذا البلد الإســلامي الحر الأصيل، الَّذي فعل ما فعل، واستقل ما استقل من أجل الإسلام.

QaradawiBooks.com

لا يجوز أن يُحاكم البروفيسور غلام أعظم الَّذي كان أميرًا للجماعة الإسلاميَّة من قبل، يُحاكمونه لأنَّه لم يكن يؤيد انفصال بنجلاديش عن باكستان، كل النَّاس لم يكونوا يؤيدون الانفصال، كانوا يريدون وحدة البلاد، ثمَّ استسلموا للواقع، إنهم كانوا يريدون أن يتجمع المسلمون؛ ليكونوا قوَّة كبرى أمام الهند، وأمام الصين، وأمام البلاد الكبرى حولهم، فلا يجوز أن يفعلوا ما يفعلون برجل بلغ التسعين أو أكثر، يريدون أن يحكموا عليه بالإعدام، أي بلد هذا؟!

ألا تعلمون أن أمة الإسلام مليار وثلثا المليار من المسلمين في العالم، كل هؤلاء ينظرون إليكم ويستمعون إليكم يا أهل بنجلاديش، أتظنون أنَّكم بعيدون عن المسلمين؟ أتظنون أنَّكم بعيدون عن العالم كله؟ تفعلون ما تشاؤون وتحكمون على من تشاؤون، ولا أحد يقول لكم: لا يجوز، قِفوا عند حدكم، ارحموا الناس، خافوا الله؟!

هذا ما نقوله لإخواننا في بنجلاديش، أقول هذا باسمي، وأقول هذا باسم الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين، الَّذي يمثل المسلمين في أنحاء العالم، في مشارق الأرض ومغاربها، عشرات ومئات الآلاف من العلماء في أنحاء العالم يقولون بقولي هذا، ليس هذا بقول فرد واحد، وإنَّما ملايين الأفراد، فالأمة وراء العلماء المخلصين، ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

هذه رسالتي الثانية أوجهها إلى إخواني في بنجلاديش، وأعتقد أنَّهم مسلمون، والمسلم مهما شرد لا بدَّ أن يرجع إلى الإسلام، لا بدَّ أن يرجع إلى القرآن، لا بدَّ أن يرجع إلى العلماء، لا بدَّ أن يرجع إلى دعاة الحق، لا بدَّ أن يرجع إلى قُوَّال الصدق، لا بدَّ أن يرجع إلى الله تبارك

QaradawiBooks.com

وتعالى، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

ثورة سوريا ورسالة لإيران:

الأمر الثالث أيُّها الإخوة هو أمر الإخوة في سوريا، وهذا أمر لا يجوز أن نغفله أبدًا، لا بدَّ أن نتحدث عنه في كل خطبة، وفي كل جمعة؛ لأنَّه موضوع حي يراه النَّاس ويسمعونه، ويباشرونه ويرون آثاره، في كل يوم يُقتل النَّاس بالجملة، عشرات ومئات تقتلهم الدبابات، تقتلهم الطائرات، لا الطائرات المروحية فقط، بل طائرات الميج المقاتلة، الَّتي تقاتل في الميادين الكبرى، في الحروب العالميَّة! أبناء سوريا يُقاتلون من جيشهم، الجيش الَّذي مولوه من عصارة أرزاقهم، من قوت أولادهم.

كوَّنوا هذا الجيش، واشتروا له من روسيا الأسلحة الثقيلة، كان المفروض أن تُحارَب إسرائيل بهذه الأسلحة، لم يُطلق على إسرائيل إلى اليوم رصاصة واحدة، إسرائيل آمنة مطمئنة مستبشرة بهؤلاء الَّذين يقولون ما يقولون، وينفخون ما ينفخون، ولكنَّهم لا يفعلون شيئًا، كل ما استعمله هذا الجيش كان في أبناء سوريا.

من أوَّل يوم منذ قامت هذه الثورة، وأبناء سوريا الأحرار الأبرار الأطهار، المخلصون الصادقون: يطالبون بالحرية لبلدهم، بالكرامة لمواطنيهم، هل هذا عيب؟ هل عيب أن يطلب النَّاس الحرية، ويطلبوا الكرامة، ويطلبوا العدالة، ويطلبوا الحق كما طالب به غيرهم؟!

طالب بهذا أهل تونس، وطالب بهذا أهل مصر، وطالب بهذا أهل ليبيا، وطالب بهذا أهل اليمن، طالب هؤلاء جميعًا بالحرية والكرامة

QaradawiBooks.com

ونالوهـــا، ولكن هؤلاء لا يريدون أن ينيلوا الشـــعب الســـوري الحرية، يريدون أن يقتلوا الشعب ولو قتلوا من قتلوا!

سنة ونصف وهم يحاربون هذا الشعب، يحاربونه بالجيش النظامي، ويحاربونه بالشبِّيحة، الَّذين يقتلون النَّاس في بيوتهم، ويقتلون النَّاس في طرقاتهم، يقتلونهم بالســـكاكين وبكل ســـلاح معهم: يقتلـــون الرجال، ويقتلون النساء، ويقتلون الأطفال الصغار الرضع.

إلى متى هذا كله؟ ولماذا؟ لأن الشعب السوري يريد أن يتخلص من الأســـد، كما تخلص النَّاس من زين العابدين، وكما تخلصوا من مبارك، وكما تخلصوا من القذافـــي، وكما تخلصوا من علـــي صالح: يجب أن يتخلصوا من الأســـد. حكمت أســـرة الأسد خمسين ســـنة، ورَّث الأب الحكم لولده من بعده، وانتهت أكثر من دورتين للأسد، ماذا يريد بشَّار الأسد أن يحكم سوريا أكثر من ذلك؟!

كفاك يا أيُّها الوحش ما عملت في هذا الشـــعب، هذا الشـــعب لقي ما لقي، وصبر ما صبر، وصابر ما صابر، ولكنَّه الآن مُصِرٌّ على أن ينال الحرية، ولا بدَّ أن ينال الحرية، ولا بدَّ للعرب جميعًا وللمسلمين جميعًا أن يقفوا مع هذا الشـــعب، حرام عليكم أيُّها العرب، وحرام عليكم أيُّها المسلمون، وحرام عليكم أيُّها الأحرار والشـــرفاء في العالم: أن تتخلوا عن هذا الشعب الســـوري البطل، الَّذي يريد الحرية، متى استعبد هؤلاء النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]؟ لماذا يريدون أن يستعبدوا الشعب السوري؟ هدَّموا البلد، هدَّموها تهديمًا، انظر إلى البلد تجد بلدًا مُهدَّمة

(١) سبق تخريجه صـ٢٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مُحرَّقة، انظر إلى القتلى الَّذين لا يجدون أحدًا يستطيع أن يحملهم إلى المقابر، إلى متى يظل هذا الشعب هكذا؟

لا بد أن نكون مع هذا الشعب، أدعوكم أيُّها الأحرار أن تكونوا مع هذا الشعب بأنفسكم، بأيديكم، بألسنتكم، بقلوبكم، من يستطيع أن يؤيد هؤلاء، من كان خبيرًا في الأسلحة وهذه الأشياء ويستطيع أن ينفع بخبرته الشعب السوري فليذهب إليهم، ومن لم يستطع فليدفع ماله، أي شيء من المال، ادفع ولو ألف ريال لإخوانك، هناك أناس في كل سنة يذهبون إلى الحج متطوعين، بعضهم يحج للمرة السابعة، وبعضهم يحج للمرة العاشرة، وبعضهم يحج للمرَّة العشرين، وبعضهم يحج للمرة الأربعين، لماذا هذا؟ تبرع بقيمة حجك التطوعي الَّذي لم يفرضه عليك الدين، ولم يطالبك به الرب ﷻ، تبرع بهذا لإخوانك هؤلاء الَّذين يحتاجون إلى كل جنيه، وإلى كل ريال، وإلى كل دينار، هؤلاء الإخوة يحتاجون إلى أن نعاونهم، لا يجوز لنا أن نتركهم أبدًا.

كان يزورني سفير إيران في الدوحة من يومين لأنَّه سيترك البلد ويعود إلى بلده، وقلت له: إن عندي رسالة هي أمانة يجب أن تُبلغها إلى المسؤولين في إيران، وإلى المرشد الأعلى السيد علي خامنئي بالذات، قل لهم: حرام عليكم أن تؤيدوا النظام الحاكم في سوريا، وتخذلوا الشعب السوري العظيم، حرام عليكم أن تؤيدوا خمسة في المائة أو عشرة في المائة، وتقتلوا التسعين في المائة بأسلحتكم وبرجالكم؛ ومنهم حزب الله، ومنهم رجال يأتون من العراق، ومنهم رجال يأتون من إيران، وقُبض على بعضهم، لا يجوز لكم أن تفعلوا هذا، حرام عليكم هذا، لا بدَّ أن تؤيدوا هذا الشعب، من حق هذا الشعب أن ينال حريته.

QaradawiBooks.com

والمفروض في الإيرانيين أنَّهم قاموا، وأذهبوا نظام الشاه الباغي والمتكبر الجبار، وخلصوا الشعب الإيراني من بطشه، فلماذا تريدون بطش بشَّار الأسد وجماعته وزبانيته وشَبِّيحته في الشعب السوري؟ لماذا لا تكونوا صادقين وتكونوا رجال رسالة؟!

قلت له: أبلغ هذا عنِّي، فهذا رأيي، وهذه أمانة أبلغها لك، وأرجو أن تبلغها لهم، أنا أقول هذا لإخواننا الإيرانيِّين: نحن نقف معكم حتَّى لا يمنعونكم من حق امتلاك الطاقة النوويَّة السِّلْمِيَّة، ولكن لا نقف معكم أبدًا وأنتم تحاربون الشعب السوري، تحاربونه برجالكم، وتحاربونه بأموالكم، وتحاربونه بأسلحتكم، وتقولون للروس: مدُّوا النظام السوري بالأسلحة. تقفون مع الروس في هذا، بالأموال والسلاح والرجال، هذا لا يجوز أن تشارك به إيران مع النظام السوري.

الشعب السوري شعب عظيم، ولا بدَّ أن ينتصر، نحن مؤمنون بهذا، وأنا شخصيًّا مؤمن إيمانًا صادقًا لا يعتريه شك ولا ريب أبدًا: أنَّ الشعب السوري لا بدَّ أن ينتصر، ولكن نريد أن نقرِّب نصره، لا نريده أن يخسر كل يوم رجالًا ونساءً وشيوخًا وأطفالًا، نريد لهذا الشعب أن يفرح بالنصر، ومن حق المحزون أن يفرح، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥]، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]، نريد أن نفرِّح الشعب السوري؛ لينضم إلى الشعوب الأربعة الَّتي انتصرت وارتفعت راياتها، ولا بدَّ أن ينتصر الشعب السوري إن شاء الله.

يا أيُّها الأحرار من العرب والمسلمين، يا أيُّها الأحرار في العالم، كونوا مع إخوانكم في سوريا، أمدوهم بكل ما تستطيعون أن تمدوهم به، يا رجال العرب، لماذا لا تمدونهم بالأسلحة؟ لماذا تتركونهم

QaradawiBooks.com

وحدهم؟ حـــرام والله، يا عرب، يا قادة العرب، حـــرام عليكم أن تتركوا السوريين يُقتلون كل يوم؛ وأنتم قادرون على أن تمدوهم، لا يجوز هذا أبدًا، الله ﷻ سينصر هؤلاء، فلا بد للمغلوبين أن ينتصروا، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

اللهم إنَّا نســـألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانـــا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ اســـترْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهمَّ هيِّئ لنـــا من أمرنا رشـــدًا، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفســـنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم عليك بالطغاة البغـــاة الظالمين، اللهمَّ عليـــك بالظالمين في ســـوريا، اللهمَّ خُذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ أنزل عليهم بأســـك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ إنَّا نســـألك أن تأخذهـــم أخذًا أليمًا شديدًا، اللهمَّ رد عن إخواننا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، اللهمَّ افتح لإخواننا في ســـوريا فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مســـتقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، يا أرحمَ الراحمين.

اللهـــم ولِّ أمورنـــا خيارنا، ولا تـــولِّ أمورنا شـــرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا ســـخاءً رخاءً وسائر بلاد المســـلمين، اللهمَّ انصر إخوتنا في مصـــر، وانصر إخوتنا فـــي تونس، وانصر إخوتنـــا في ليبيا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في فلســـطين، وانصر إخوتنا في

QaradawiBooks.com

المغرب، وانصر إخوتنا في العـــراق، وانصر إخوتنا فـــي لبنان، وانصر إخوتنا في باكســـتان، وانصر إخوتنا في أفغانســـتان، وانصر إخوتنا في بنجلاديـــش، وانصر إخوتنا في بورما، وانصـــر إخوتنا في كل مكان في العالم، انصر المظلومين والمســـتضعفين يا ربَّ العالَمِين، وأيدهم بروح من عندك، وأيدهم بجند من جندك، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإســـرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصُرْنا على القوم الكافرين.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

١٧

الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (١)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا مع موضوعات القرآن الكريم، وما أكثر موضوعات القرآن الكريم، الموضوعات الَّتي تتناول كل المعاني الَّتي تحتاج إليها البشرية في حياتها المادية، وفي حياتها الروحية، وفي حياتها الاجتماعية، وفي حياتها الاقتصادية، وفي حياتها السياسية، وفي حياتها الأخلاقية، في كل ألوان حياتها ومراحلها، تحتاج الإنسانية إلى هذه الموضوعات القرآنية، فهي الَّتي يضرب القرآن فيها المثل، ويضع الأسس، ويرسم الأمثلة؛ ليستفيد النَّاس منها، ويأخذوا النماذج المثلى لحياتهم من هذا القرآن الكريم.

اليوم نتحدث عن موضوع المُلك في القرآن الكريم، والمُلك هو ما يسميه النَّاس الآن السياسة، لم تجئ كلمة سياسة في القرآن الكريم، إنَّما جاء بدلها المُلك. والمُلك إما مُلك الله تبارك وتعالى، وإما مُلك الناس.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٥ أكتوبر ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

المُلك الحقيقي لله:

ومُلك الله تبارك وتعالى هو المُلك الحقيقي، وهو المُلك الأعظم، لأنَّه ملك السماوات والأرض، ملك الإنس والجن والملائكة، والحيوانات والحشرات، والوحوش والزواحف، وكل ما يُعرف وما لا يُعرف، وما يُملك وما لا يُملك، وما يُرى وما لا يُرى، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]، كل هذا يملكه الله تبارك وتعالى، ففي الحقيقة المَلِك الحق هو الله، ﴿ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، الله هو الملك، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣]، هو ربهم، وهو ملكهم، وهو إلههم.

ليس هناك ملك إلَّا الله تبارك وتعالى، ولذلك جاء في القرآن أكثر من أربعين مرَّة عن ملك الله للسماوات والأرض، وبعضها للنَّاس مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. مثل هذا في القرآن أشياء بسيطة، وكلها بعد ذلك مُلك لله ﷻ، خصوصًا في الآخرة، قد يوجد في الدُّنْيا من يزعم أنَّه ملك مع الله، ولكن في الآخرة يتميز كل شيء، ويصبح الملك لله تبارك وتعالى وحده، ليس هناك شريك، وليس هناك سميٌّ، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢٦]، فالله هو مَلك الملوك، وأمَّا مُلك الدُّنْيا فهو للناس.

QaradawiBooks.com

المُلك المجازي:

وهناك مُلك مجـازي، ومُلك حقيقي. المُلك المجـازي هو أن يُعتبر الإنسان ملكًا في نفسـه، في أهله، في أسـرته، في بيته، حينما تكون له امرأة، ويكون له بيت يملكه، ويكون له خـادم يخدمه، ويكون له المال الَّذي يحتاج إليه، هذا يسميه النَّاس ملكًا، ولذلك قال سيِّدنا موسى لقومه: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائـدة: ٢٠]. كان في بني إسرائيل أنبياء، إذا هلك فيهم نبي يأتيهم نبي آخر، وهكذا من عهد إبراهيم إلى عيسـى عليه السلام، كثر فيهم الأنبياء؛ لأنَّهم كثر فيهم الفساد والطغيان، وحينما يكثر فيهم الفساد والطغيان يرسل الله إليهم أنبياء، كما قال لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]. إذا طغوا استحقوا أن يرسل الله إليهم رسولًا، فكثر الأنبياء في بني إسرائيل.

ولكن أيضًـا كان من بني إسـرائيل ملـوك، ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائـدة: ٢٠]. بعـض النَّاس آتاهم الله الملك، كما قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]. هذا الملك العظيم أن يكون عند صاحبه حياة مسـتقرة، عنده زوجة، عنده أبناء، عنده أسرة، عنده بيت، عنده خادم، عنده حياة مستقرة، هذا هو الملك، ماذا يريد الإنسان ليكون ملكًا أكثر من هذا؟

قال رجل لسـيدنا عبد الله بـن عمرو بن العاص: أنا عنـدي امرأة. قال: الحمد لله. قال: وعندي بيت أملكه. قال: إذنْ فأنت من الأغنياء. قال: وعندي خادم يخدمني. قال: أنت إذنْ من الملوك[1]. فهذا هو المُلك المجازي.

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأمَّا المُلك الحقيقي فهو أن يملك الإنسانُ الناسَ، ويسيطر عليهم، يكون له الحكم فيهم، يكون له فيهم الأمر والنهي، يأمرهم فينفذون أمره، وينهاهم فينتهون عما نهاهم عنه، يطلب منهم المال فيأتيه المال، يطلب منهم عمل شيء فيقومون به، هذا هو الملك الحقيقي، وقد آتى الله هذا الملك لكثير من الناس، فمنهم من قام بحق هذا الملك ورعاه، ونفَّذ كل ما يأمر الله تعالى فيه، ومنهم من عصى وتمرد.

الملوك في القرآن الكريم:

وقد ضرب لنا القرآن أمثلة من الملوك الصالحين؛ مثل سيِّدنا يوسف عليه السلام، وسيدنا داود عليه السلام، وسيدنا سليمان عليه السلام، وسيدنا طالوت عليه السلام، ومثل ملكة سبأ الَّتي يسمونها بلقيس، ذكرها القرآن في سورة النمل، هذه وإن كانت ملكة وثنية، كانت تعبد الشمس من دون الله في أوَّل الأمر، ولكنَّها كانت ملكة عادلة، ثمَّ إنَّها أسلمت مع سليمان لله ربِّ العالَمِين، وكذلك ذو القَرْنَيْن كان ملكًا عادلًا، آتاه الله الملك، وآتاه من كل شيء سببًا، فهؤلاء من الملوك الَّذين ذكرهم الله في القرآن وأثنى عليهم.

وهناك ملوك آخرون لم يثنِ الله عليهم؛ بل ذمَّهم ولعنهم، وذكر فسادهم في الأرض، مثل الملك الَّذي كان في عهد سيِّدنا إبراهيم: نمروذ، ومثل الملك الَّذي كان في عهد سيِّدنا موسى: فرعون، فهؤلاء من أطغى النَّاس على عباد الله، ومن أظلم النَّاس في أرض الله، فهؤلاء الملوك الَّذين ذكرهم القرآن.

يوسف عليه السلام:

أول ملك ذكره الله في القرآن سيِّدنا يوسف عليه السلام، لم يؤتِه الله مُلكًا كاملًا، لأن سيِّدنا يوسف قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١].

(مِن) هنا يسمونها (مِن التبعيضية)، أي أعطاه بعض الملك، جزءًا من الملك؛ لأنَّه كان هناك مَلك هو الَّذي جعله حاكمًا، ملك مصر في ذلك الوقت، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، في أيام الملوك الَّذين كانوا يسمونهم العمالقة، هم ملوك من أرض العرب، ليسوا فراعنة، ولذلك لم يقل القرآن هنا: قال فرعون. التوراة قالت عن ملك سيِّدنا يوسف: فرعون. ولكنَّه لم يكن فرعونًا، القرآن أضبط وأدق، كان هذا الملك من ملوك العمالقة، الَّذين حاربهم بعد ذلك أحمس من المصريِّين ويسمونهم الهكسوس.

هذا الملك حينما قال ليوسف: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. قال له يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥]. وهو يقصد بالأرض هنا أرض مصر، كأن مصر هي الأرض كلها، حتَّى إنَّ المصريِّين يقولون الآن: مصر أم الدنيا. وكأن القرآن يشير إلى هذا، ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، حفيظ: مؤتمن لا أضيع شيئًا اؤتمنت عليه، وعليم: عندي علم وخبرة.

الإنسان الَّذي يُولَّى على المناصب الكبرى، ويُولَّى من الملك أو جزءًا منه ما يُولَّى، لا بدَّ أن تكون فيه هاتان الخصلتان: الحفظ والعلم، أو القوة والأمانة، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، فسأله أن يجعله على خزائن الأرض فجعله عليها، أصبح عزيز مصر، الوزير الأول، كبير الوزراء، الأمور العامة كلها في يده، خصوصًا أن مصر مقبلة على أزمة تستمر ثمانية سنين، لا يجد النَّاس فيها القوت، فلا بد أن يُوفَّر لهم القوت من قبلها، أن يحفظوا القمح في سنابله، طريقة لحفظ القمح سنين أطول.

QaradawiBooks.com

هكذا كان يوسف أمينًا على خزائن الأرض، الزراعة في يده، والتموين في يده، والمالية في يده، والاقتصاد في يده، الأرض كلها في يد يوسف عليه السلام، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]، ليس لمصر وحدها، وإنَّما لمصر ومن حولها؛ لأن أهل فلسطين جاؤوا إلى مصر يطلبون القوت، كانت أزمة عامة، ليس في النيل ماء، ليس هناك ماء، لا في الحبشة، ولا في فيكتوريا والبحيرات، كل هذه لم يكن فيها ماء، فبقي النَّاس سبع سنين لا يجدون ماء، إلى أن هيَّأ الله لهم الماء، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

فكان يوسف هو الملك الَّذي مكَّنه الله في الأرض وحكم فيها بالعدل، حتَّى كان يأكل ولا يشبع، في يده خزائن الأرض، الأموال كلها في يده، الأغذية كلها في ملك يديه، ولكنَّه إذا أكل لا يشبع، فسألوه: لماذا لا تشبع أيُّها الأمير؟ قال: إنِّي أخاف إذا شبعت أن أنسى جوع الفقراء[1]. لا بدَّ أن أُعوِّد نفسي أن لا أشبع ممَّا آكل؛ ليظل يحس بجوع الجائعين، وفقر الفقراء، هكذا كان يوسف عليه السلام.

وظل هذه السنين الخمس عشرة، سبع سنين يخزنون القمح في سنابله، وسبع سنين يأكلون ممَّا خزنوه إلَّا قليلًا، ثمَّ عام فيه يغاث النَّاس، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩]، فكانوا قد استعدوا لذلك، لأنَّه لو جاءك المطر وليس عندك حبوب فماذا تعمل

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٣/٦)، عن الحسن.

QaradawiBooks.com

بالمطر؟ ينزل المطر وليس عندك حب تضعه في الأرض، لكن سيِّدنا يوسف قال لهم: لا بدَّ أن تحجزوا لهذه السنة حبوبًا.

وهذا ممَّا ألهمه الله من تفسير الرؤيا الَّتي رآها الملك، ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، ففسر هذا وبدأ ينفذ بنفسه، ثمَّ قال بعد أن جاء أبواه وإخوته، وسجدوا له، أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر، وتحققت الرؤيا الَّتي رآها: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. هذا ما يطلبه الإنسان بعد أن يلقى في الدُّنْيا ما يلقى، أن يلقى الله مسلمًا على الإسلام، وأن يكون مع الصالحين من عباد الله، هذا هو المَلِك الأول يوسف الصديق، الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، أربعة أنبياء معرقون في النبوة، فهذا هو الَّذي آتاه الله من الملك ما آتاه.

موسى ليس ملكا:

لم يؤتِ الله موسى المُلك، وقد نجاه الله من بني إسرائيل، وأغرق فرعون، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، ولكن لم يؤتِ موسى المُلْك، كتب الله لبني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة، ولكن موسى مات قبل دخولها، قال لقومه: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. قالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، أهل فلسطين الأصليين قوم جبارين لا نقدر عليهم، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

QaradawiBooks.com

إن خرجوا بأنفسهم سندخل نحن! وهل يترك أحد وطنه لغيره مختارًا؟! ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، يخافون عصيان أوامر الله، ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ [المائدة: ٢٣]، أنعم عليهم بالمعرفة، ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، ابدؤوا المعركة، العصا السابقة سابقة، الضربة الأولى نصف المعركة، ابدؤوا بدخول الباب، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. فماذا كان ردهم؟ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤].

انظر ماذا قال هؤلاء؟ في مقابل ما قاله أصحاب مُحَمَّد ﷺ في بدر، في يوم كانوا فيه أقل عَددًا من المشركين، وأضعف عُددًا من المشركين، وأضعف استعدادًا منهم، لم يكونوا على أُهبة للمعركة أبدًا، ومع هذا قالوا: والله يا رسولَ الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾. ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنَّا معكما مقاتلون[1]. فهناك فرق بين أصحاب موسى وأصحاب مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام.

ولذلك لم يُكتب لموسى أنْ يكون ملكًا، ويحكم النَّاس في أرض مستقلة، كتب الله عليهم أنْ يظلوا في صحراء سيناء يعيشون فيها أربعين سنة بعيدًا عن قهر الفراعنة والملوك، لأنَّهم أذلهم فأصبح الذل سجية وطبيعة ثانية فيهم، فأراد الله أنْ ينشئ جيلًا جديدًا في الصحراء بعيدًا عن الذل حتَّى يدخل هذه الأرض، ولذلك لم يملك موسى عليه السلام.

طالوت عليه السلام:

إنَّما كان أوَّل من ملك من بني إسرائيل هو طالوت عليه السلام، حينما أراد الله أنْ يغير حال بني إسرائيل بعث لهم طالوت ملكًا،

(١) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٠٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، نحن أولى بالملك منه، ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، هذا اصطفاء من الله، ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، هيَّأه عقليًّا وجسميًّا، عنده خبرة بالحروب وآلاتها، وأدواتها وكيفيتها، وعنده جسم قوي مؤهل لهذا، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فكان طالوت أوَّل ملك اصطفاه الله، وبعثه لبني إسرائيل.

ذلك أنَّ بني إسرائيل تمرَّدوا على الأنبياء، وما كانوا يسمعون لهم، قال لهم نبيهم: قاتلوا في سبيل الله. فما قاتلوا ولا عملوا شيئًا، فبعث الله لهم ملكًا، رجل عنده الحكمة وعنده القوة، عنده العلم وعنده الجسم، يقدر على أنْ يسوسهم، وأن يدبر أمرهم، وأن يجبرهم على ما يريد، فكان طالوت هو هذا الرجل.

اختبرهم طالوت، في أوَّل الأمر؛ فقالوا: نحن مستعدون. ولكنَّه لم يأمن بني إسرائيل، كثيرًا ما يقول بنو إسرائيل: نحن مستعدون. وعند العمل الحقيقي لا يجد أحدًا، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، هناك نهر سيقابلكم وأنتم عطشى، فمن سيصبر عن الشراب ومن الَّذي لا يصبر؟ لا يُسمح لكم بالشراب ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، يأخذ كفًّا من الماء ويشربه، فقط يبل ريقه، هذا هو الاختبار، ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، الآلاف المؤلفة كلها شربت، وملأت بطنها بالماء؛ إلَّا عدد قليل مثل عدد أهل بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا من أتباع طالوت، هم الَّذين لم يشربوا إلَّا غرفة بأيديهم[1].

(١) رواه البخاري في المغازي (٣٩٥٨)، عن البراء.

QaradawiBooks.com

فلما بدأت المعركة واصطف الصفان قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. كان أعداء بني إسرائيل على رأسهم رجل اسمه (جالوت) ملك جبار ظالم قوي، فقال أتباع طالوت: لا طاقة لنا بجالوت وبجنوده. ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وهم علماؤهم الَّذين يعلمون أن وعد الله حق؛ قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، صحيح نحن قلة وأعداؤنا كثرة، ولكن القليلين إذا كان الله معهم: يغلبوا الكثيرين إذا كان الشيطان معهم، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩، ٢٥٠].

هكذا طلبوا من الله هذه الأمور الثلاثة: أن يفرغ عليهم الصبر؛ فالشجاعة صبر ساعة: ساعة الحرب، ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، هذا هو حين البأس، حينما تلقى العدو، المهم هو الصبر في هذا الوقت، قد تفقد الصبر طول المدة، لكن الصبر عند هذا الوقت هو المهم، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

دعوا ربهم: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، حتَّى تصبح كأنها ثابتة في الأرض مربوطة بوتد أو بحديدة أو بشيء، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، حتَّى لا نتزحزح أبدًا ولا نتزعزع من أماكننا، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. هذه هي المطالب الثلاثة الَّتي دعوا ربهم بها، فماذا كانت النتيجة بعد هذا الدعاء؟ ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١].

دعاء في قلب المعركة، لم يدعوا به وهم في بيوتهم نائمون على ظهورهم، أو جالسون بين زوجاتهم وأولادهم، يقولون: يا رب انصرنا. لا،

QaradawiBooks.com

بل كانوا يحملون أسلحتهم، ويقابلون أعداءهم في قلب الساحة، ويدعون الله وهم في هـذا الحال، ومثل هذا الدعـاء إذا صدر من أهله فـي محله؛ فمن الطبيعي ومن سـنن الله، ومما وعد الله به أن يستجيب الدعاء، وأن ينصرهم، ولذلك كانت النتيجة: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾. ربنا هو الَّذي يدير المعركة.

لما كانـت غزوة بدر كان المسـلمون ثلاثمائة وثلاثة عشـر، معهم فرسان اثنان أمام ألف معهم مائة فرس، وينحرون كل يوم عشرة إبل أو تسعة، فربنا ﷻ قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفـال: ١٧]. ربنا هو صاحب المعركـة، الله هو الَّذي يقتل الكافرين، مُحَمَّد ﷺ أمسك حفنة رمل، ورمى بها في وجوه القوم، وهو يقول: «**شـاهت الوُجُوه**»[1]. فلم يبقَ رجـل إلَّا وملأ التراب عينيه، ما هذه الرميـة؟ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾. هنا يقول الله: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

كما قـال الله تعالى في غـزوة بني النضيـر: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

إذا كان الظالمون الَّذين يحكمون سوريا الآن بالحديد والنار، إذا كانوا يظنون أن عندهم الجيش بأسلحته وعتاده، بما ملكوه طوال العقود الماضية من أموال الناس، ومن أرزاق الناس، ومن أقوات الأولاد، جمعوا من ذلك ما جمعوا من هذه الأسـلحة الثقيلـة: الدبابات، الطائـرات، الراجمات،

(١) رواه أحمد (٣٤٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسـناده قوي على شـرط مسـلم، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير ابن خثيم فمن رجال مسـلم، وهو صدوق. وابن حبان في التاريخ (٦٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٢٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

البوارج، القنابل، الأسلحة المختلفة، ملكوا هذه الأشياء، وظنوا أنَّها تمنعهم من الله، وتنصرهم على المؤمنين، الَّذين لا يملكون مثل هذه الأسلحة الكبيرة، لا والله، سيُهزمون، الله سيهزمهم، الَّذي هزم اليهود في عهد النبوة، والذي هزم جالوت في عهد طالوت سيهزمهم أيضًا.

داود عليه السلام :

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. جالوت المتكبر الجبار في الأرض سلَّط الله عليه شابًّا صغيرًا من بني إسرائيل لم يكن يعرفه النَّاس من قبل، ظهر فجأة في هذه المعركة، كان طالوت يقول: من يقتل جالوت أزوجه ابنتي، وأعطِه من مالي ما أعطي، وأفعل وأفعل[1]. فظهر داود عليه السلام، وضربه بحجر من المقلاع فأصاب به جالوت، قُتل جالوت وانهار كل من معه، أحيانًا هذه الجنود تكون موقوفة على الرأس، فإذا سقطت الرأس سقطت هذه الأملاك، وسقط أهلها، خروا ركعًا سجدًا، لم يعد عندهم شيء، قُتل جالوت فانتهى الناس، فكان هذا موقفًا جليلًا لداود، آتاه الله بعده الملك والحكمة، ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وعندما مات طالوت أصبح داود هو الملك، بعد طالوت عليه السلام، ملَّكه الله بني إسرائيل، وعلَّمه كيف يصنع حديد الدروع، كانوا يعملونها قطعة واحدة من الصفيح، فعملها هو حلقات حتَّى يلبسها المحارب ويتحرك بها في سهولة ويسر، ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ١١]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، لتحفظكم عند الشدائد، عند الحرب، هكذا كان داود عليه السلام.

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٥٥/٥)، وتفسير ابن كثير (٦٦٩/١).

QaradawiBooks.com

والنبي ﷺ أثنى على داود، فقال: «**ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود عليه السلام كان يأكلُ من عمل يده**»(١). مع أنَّ الله تعالى آتاه الملك، لكنَّه لا يأكل من مُلكه، يأكل ممَّا يبيعه من عمل هذه الدروع، يبيعها للمحاربين ويأكل من ثمنها، وهو مَلِك، لكنَّه ملك من الملوك العظام.

كان يسبح الله آناء الليل والنهار، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]، وكان يحكم النَّاس بالعدل، وبما أنزل الله ﷻ من الكتاب والحكمة، كان يحكم بين النَّاس في يوم، ويجلس يومًا في خلوته للعبادة، فالله سبحانه وتعالى قال له: النَّاس يحتاجون إليك، أهم من العبادة: أن تنظر في أمور الناس، وتحكم بينهم. فعلَّمه عمليًّا أنَّ النَّاس أحوج إليك من العبادة، فيوم من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة، كما جاء في بعض الأحاديث(٢).

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢١، ٢٢]، فلما خاف منهما قالوا: لا تخف. هل هما كانا من البشر أم من الملائكة تزيَّا بزي البشر؟ قال مفسرون هذا، وقال مفسرون ذلك، المهم قالوا: ﴿لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾، لا تبعد عن الحق، ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾. الحكم بالحق دائمًا هو سواء الصراط، ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، بدل أن تروح وتجيء وتتعب نفسك طول

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معديكرب.

(٢) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٩٥)، وحسن إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٢٠٥، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

النهار من أجل نعجة واحدة؛ ضمها إليَّ وأنا أرعاها لك، فسيدنا داود قال: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤]. ظلمك بهذا، ليس له الحق!

فهل سمعت يا داود الطرف الثاني لماذا قال له هذا؟ يقولون: إذا جاءك أحدهم وقد فُقئت عينه، فلا تحكم له حتَّى ترى الآخر؛ فلعله فقئت عيناه الاثنتان. لا تحكم لأحد دون أن تسمع كلام خصمه، لكن داود تعجل، تأثر بالرجل وحكم له، ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]، معظم الشركاء يظلم بعضهم بعضًا ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وهؤلاء قليلون في البشر، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۞ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٤ ـ ٢٦].

استخلفك الله في الأرض لتكون ملكًا على الناس؛ فاحكم بين النَّاس بالحق، ولا تتبع الأهواء، لا تتبع المشاعر والعواطف، لا، حكِّم العقل، حكِّم الكتاب المُنزَّل، حكِّم الحق فيما ينوب النَّاس بعضهم من بعض، ولا تتبع الشهوات، إياك والهوى فتضل، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾، يحذره من اتباع الأهواء؛ لأن داود كما رأينا حينما سمع الرجل تأثر به، وعطف عليه بسرعة دون أن يسمع الآخر؛ والواجب أن يسمع للطرفين.

واجب كل قاضٍ يحكم بين الناس: أن يسمع للخصمين جميعًا، ويسوِّي بينهما في مجلسه، هذا ما أوصى به سيِّدنا عمر أبا موسى الأشعري في خطابه إليه، أن يسوي بينهما في وجهه، لا يكن أحدهما

QaradawiBooks.com

أقرب إليك من الآخر[١]، فلا بد أن يكون الملك المؤمن أو الحاكم المؤمن تابعًا للحق لا تابعًا للهوى؛ حتَّى يسدد الله قوله، ويبعده عن الخطأ ما استطاع، حتَّى لو أخطأ يكون خطؤه ناتجًا عن اجتهاد منه، ومن أخطأ عن اجتهاد فهو معذور بل مأجور، « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران** ـ أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة ـ **وإذا أخطأ فله أجرٌ واحد**»[٢] هو أجر الاجتهاد. أنَّه اجتهد وأعمل عقله؛ وإن لم يوفَّق إلى النتيجة الصائبة، فهو لا يُعذر فقط، بل يُؤجر أجرًا واحدًا، وهكذا كان نبي الله داود.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الحكام العادلين، الَّذين يسيرون سيرة داود عليه السلام، وسيرة طالوت عليه السلام، وسيرة يوسف عليه السلام، اللهمَّ آمين، نسألك اللهمَّ العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة يا ربَّ العالَمِين، وادعوا ربَّكم يستجب لكم.

* * *

(١) رواه الدارقطني في الأقضية والأحكام (٤٤٧١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إعانة المسلمين في بورما:

اجتمع إخوة لنا في مؤتمر إسلامي في تركيا، اجتمعت فيه الجماعات والجمعيات الإسلاميَّة الخيرية والإغاثية المختلفة، الَّتي تهتم بإغاثة الملهوفين، وقضاء حاجات المحتاجين، وكان هؤلاء الَّذين اجتمعوا في تركيا من أجل إخوتنا المستضعفين الَّذين حدثتكم عنهم في الجمعتين الماضيتين أهل بورما (مَيَنْمار) الَّذين يُستضعفون في الأرض، والَّذين يُحال بينهم وبين ما يشتهون وما يحتاجون إليه في حياتهم، هم وأولادهم يحتاجون إلى مساكن، يحتاجون إلى تعليم، يحتاجون إلى صحَّة، يحتاجون إلى أشياء كثيرة ولا يُمكن أن يُتركوا.

المسلمون في هذه البلاد حوالي تسعة ملايين، لكنهم لا يُعطوَن حقوقهم، وقد كانوا في أراكان يعيشون ملوكًا، بعضهم ملك وحكم عشرات السنين، بل مئات السنين، وهم مسلمون منذ القرن الأول الهجري.

هؤلاء اجتمع المسلمون من أجلهم في إستانبول، وقرروا أن يُعينوهم بكل ما يستطيعون؛ حتَّى يستطيعوا أن يحيوا أنفسهم، أن يبقوا مسلمين، أن يعيشوا مسلمين، عارٌ على أمة مُحَمَّد الَّتي تبلغ مليارًا وثلثي مليار في الأرض، أكثر من مليار وستمائة مليون، هذا عدد المسلمين، عارٌ عليهم أن يتركوا إخوانهم هناك للأكثرية المتجبرة في الأرض تُذلهم وتسحقهم، والمسلمون من حولهم في بنجلاديش يتركونهم؛ بل لا يقبلونهم أن يدخلوا في أرضهم.

نسخة مجانية

هؤلاء من حق المسلمين أن يعينوهم، كل المسلمين أمة، وأمة واحدة، الله سمَّاهم أمة حينما قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. يخاطب الكل، كل من يتبع مُحَمَّد ﷺ، كل من يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، يخاطبهم بهذه الصراحة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. لا تصح العبادة ولا تكمُل التَّقوى إلَّا بالوحدة، لا بدَّ أن تتوحدوا وتتآلفوا.

ولذلك تدعو هنا بعض الجمعيات الخيرية لإعانة هؤلاء الإخوة، وجمعية قطر الخيرية دفعت ستَّة ملايين ريال قطري لهؤلاء، وسيجتمع أكثر من ثمانين جمعية إغاثية: في العالم الإسلامي، وفي أوروبا، وفي البلاد المختلفة خارج العالم الإسلامي لإنصاف هؤلاء الإخوة أبناء بورما (مينمار)، هؤلاء يستحقون أن يُعانوا، وعلينا نحن أن نعينهم.

إعانة إخواننا في سوريا:

كما علينا أن نعين إخواننا في سوريا، وكل أسبوع أنادي بهذا، مطلوب منا أن نغيثهم؛ لأنَّه لا يجوز لنا أن نتركهم لهذا الجيش الجرَّار: جيش الأسد الوحش، الَّذي يقتل النَّاس بالمئات، كل يوم يقدم السوريون مئات من النَّاس أو أكثر من مائة على الأقل، لا يصبح صباح، ولا يمسي مساء، ولا تُظلِم ليلة، ولا يُشرق نهار إلَّا والسوريون يدفعون هذا، فهل يجوز لنا أن نترك الإخوة في سوريا أو الإخوة في بورما؟ هل يجوز للمسلمين أن يتخلوا عنهم؟ هل يصح أن يقول أحد: نفسي نفسي؟

لا، بل أخوك منك وأنت منه، «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن نفَّس عن مؤمن كُربة من كربات الدُّنْيا نفَّس الله عنه كربة**

QaradawiBooks.com

من كربات يوم القيامة»[١]، «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه**»[٢]، ما معنى لا يُسلمه؟ أي: لا يتخلى عنه، لا يتركه وحده، يقول له: أنا أخوك، أنا صديقك، أنا معك عند الشدَّة، أنا معك عند الحرج، أنا لا أنساك أبدًا.

هذه هي أمة الإسلام، لا يجوز أن نقول: كل بلده وحده، وكل شعب وحده. لا، هذه جاهلية، الإسلام لا يعرف هذا، المسلمون بعضهم إخوان بعض، إذا وُجد مسلم في مشارق الأرض ومغاربها في أقلية ضعيفة، في أي بلد لا يعرفها الناس، وعرفت أنَّه يعاني، وأستطيع أن أبذل له ولو قليلًا؛ فيجب أن أبذل ما استطعت ولا أتخلى عنه أبدًا، «**المسلمون يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[٣].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يعين الأمة على بأسائها وضرائها، وأن يكون بعضهم لبعض إخوة متحابين متعاونين متناصرين، يعين بعضهم بعضًا، وينصر بعضهم بعضًا، ويدفع بعضهم عن بعض.

اللهم هيِّئ لأمتنا من أمرها رشدًا، اللهمَّ لا تكلها إلى أنفسها طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ إنَّا نسألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٥.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٠٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اللهمَّ انصُر إخوتنا في ســـوريا، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشـــر عليهم فضلك ورحمتك، اللهمَّ انصر الجيش السوري الحر على الجيش النظامي الظالم الجائر المستكبر في الأرض، اللهمَّ خُذ هذا الجيش المستكبر أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ خُذه أخذًا أليمًا شديدًا، اللهمَّ أنزل عليه بأســـك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ خُذ كل من أيَّد الأسد وعاونه وشد أزره، اللهمَّ انصر المؤمنين الصادقين يا ربَّ العالَمِين.

اللهمَّ انصُر إخوتنا في مصر، وانصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصـــر إخوتنا في المغرب، وانصر إخوتنا في فلســـطين، وانصر إخوتنـــا في الصومال، وانصـــر إخوتنا في أثيوبيا، وانصر إخوتنا في تركيا، وانصـــر إخوتنا في الجزائر وموريتانيا، وانصر إخوتنا في العراق وإيران ولبنان، وفـــي كل مكان، انصر الإخوة الصادقين على المنافقين والزائفين يا ربَّ العالَمِين.

اللهمَّ انصُر أهل الحق على أهل الباطل، وانصر أهل العدل على أهل الظلم، اللهـــمَّ وَلِّ أمورنا خيارنا، ولا تولِّ أمورنا شـــرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا، سخاءً رخاءً وســـائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٨

الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٢)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نعيش معًا في موضوعات القرآن الكريم، الموضوعات الَّتي يجليها هذا الكتاب العظيم في سوره وآياته المكية والمدنية، القصيرة والمتوسطة والطويلة، كل هذه تجلي لنا الموضوعات الَّتي في هذا الكتاب.

أراد الله أن يكون هذا الكتاب مصدرًا ومرجعًا للمسلمين خاصَّة، وللناس عامة، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، في هذا القرآن تبيان كل شيء، وتفصيل كل شيء.

تحدثنا في الأسبوع الماضي عن المُلك في القرآن الكريم، فما يسميه النَّاس في عصرنا السياسة والحكم يسميه القرآن المُلك، فهناك أناس آتاهم الله المُلك أو بعض المُلك، وأحسنوا التصرف فيه، عَرفوا نعمة الله

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

عليهم حين مكَّن لهم في الأرض، وهيَّأ لهم أسباب التحكم في الخلق؛ فعملوا بما أمـر الله، وانتهوا عما نهى الله عنـه، فأقاموا العدل، وحكموا بالقسط، وسووا بين النَّاس فيما لهم وما عليهم، وكانوا أئمة يُهتدى بهم.

وضربنا مثلًا لهؤلاء بما ذكرناه عن سيِّدنا داود عليه السلام، وقبله سيِّدنا طالوت، سماهم الله ملوكًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وكذلك الملك داود آتاه الله الملك والحكمة، فكلمة ملك ليس عليها اعتراض في القرآن الكريم، قد يُسمَّى الشخص ملِكًا ولا حرج في ذلك.

إنَّما الحرج في الخروج عن منهج الله، أو الولوج في توريث من لا يستحق التوريث، كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ [البقرة: ١٢٤]، تؤم النَّاس وترأسهم، وتسوسهم وتقودهم، ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]؟ أولادي من بعدي؟ ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. الظالمون لا ينالهم عهد الله، من استرعى الذئب فقد ظلم، فالظالمون مُبعدون عن وراثة هذه الإمامة والرئاسة والمُلك.

سليمان عليه السلام:

ولذلك يمكن أنْ يرث الإنسان أباه في الملك إذا كان أهلًا؛ كما ورث سيِّدنا سليمان أباه داود؛ حينما ارتضاه قومُه ملكًا عليهم، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥، ١٦].

ورث سليمان علم داود، فورث الملك والنبوة؛ ولم يرث مال داود، لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**نحن الأنبياء لا نُـوَرِّث، ما تركناه صدقة**»[1]. الأنبياء

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)، ومسلم في الجهاد (١٧٥٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

لا يورثون، وكم من أناس ورثوا من أبائهم أشياء، ولكن لم يرثوا المال، قال الله تعالى عن إبراهيم وإسحق: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]. فليس كل إنسان يرث أباه في كل شيء.

أعطى الله الملك لسليمان حينما دعا ربه وقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]. طلب من الله ملكًا لا ينبغي أن يُعطى لأحد من بعده، يمكن أن يكون هناك ملوك من بعده، ولكن لا يؤتون ما أوتي سليمان بن داود.

عُلِّمنا منطق الطير:

آتى الله سليمان بن داود من الملك ما لم يؤته أحدًا، أعطاه الله منطق الطير، يعرف لغة الطيور: لغة الهدهد، ولغة النمل، يفهم لغة هذه الحيوانات، وتفهم عنه، وتنقل الرسالة منه، لم نرَ ملكًا يُؤتَى هذا الملك، فكان من جنوده الجن والإنس والطير، القرآن يقول: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۞ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٦، ١٧].

عَلِم سليمان منطق الطير، وعلم منطق النمل، النمل حولنا بالمئات والآلاف والملايين في كل مكان، هل تسمع نملة؟ هل تعرف النملة كيف تتكلم؟ ولو عرفت هل تفهم لغتها؟ ولكن سليمان فهم لغة النمل، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، كانت النملة مؤدبة، لا تريد أن تقول: إن سليمان يُهلك المخلوقات الَّتي أصغر منه ولا يبالي بهم ولا بحياتهم، قالت: لا، هو يفعل ذلك وهو لا يشعر، لأنَّه لا يرانا.

QaradawiBooks.com

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ حينما سمع النملة وهي تحذر قومها وزميلاتها من موكب سليمان وجنوده، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، تبسَّم تبسُّم الشاعر بنعمة الله الكبرى عليه، نعم الله تبارك وتعالى تترى عليه، وتحيط به عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومن خلفه، أن عنده هذه الطيور والحشرات ويفهمها وتفهمه، يمكن أن يكلفها بشيء وتسمع منه، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾، النعم الَّتي على الوالدين هي نعم على الأولاد، تفيض عليهم، وفقني إلى أن أشكر هذه النعمة حق شكرها.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾، ليس المهم أن يكون العمل صالحًا فقط، ولكن أن يكون مرضيًّا عند الله، يمكن يكون العمل صالحًا، ولكن تنقصه بعض الأشياء، ينقصه أن يكون متقنًا، «**إنَّ الله يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**»[1]، «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء**»، فرض الإحسان، إحسان العمل وإتقانه وإحكامه، وتهيئته على أفضل ما يكون فريضة، «**فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحدَّ أحدكم شَفْرَتَه، وليُرح ذَبِيحَتَه**»[2]، إلى آخر ما جاء، هذا كله من الإحسان.

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، أكون من أحد الصالحين المعروفين، الَّذين يدخلون في دائرة الصالحين، الإنسان يحب دائمًا أن يكون من الصالحين، وأن يجعله الله منهم، لا يريد أن يكون من الكفار،

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٤)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

ولا من الفجار، ولا من الأشرار، ولا من الفاسدين، ولا من المفسدين، فإن الله لا يحب المفسدين، ولا يحب كل كفار أثيم، ولا يحب الخائنين، ولا يحب الظالمين، فكُن ممن يحبهم الله، ولذلك سيِّدنا سليمان دعا الله ﷻ أن يجعله من الصالحين.

هذا ممَّا آتاه الله لسليمان في ملكه العظيم الَّذي لا ينبغي لأحد من بعده، آتاه الله معرفة لغات الطير، ومن الطير الَّذي عرف لغته الهدهد، لما جاء سليمان بجنوده من الإنس والجن والطير: جيش ضخم، فتفقد سليمان الطير، المفروض أن يتفقد القائد جنوده، لا يكون في غفلة عنهم، لا أن يعيش هو في قصره مستريحًا تأتيه الملايين والمليارات والبلايين؛ فيقبضها وينفقها ويُصرِّفها هنا وهناك، شيء يجعله في الداخل وشيء يُصرِّفه إلى الخارج، شيء يجعله باسمه وشيء يجعله بأسماء آخرين، ليس هذا هو الملك الصالح، ولا الحاكم الصالح، الحاكم الصالح هو الَّذي يهتم بجنوده قبل أن يهتم بنفسه، وقبل أن يهتم بأسرته، يهتم برعيته.

ما لي لا أرى الهدهد:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠]، هناك هدهد يمثل هذا النوع من الطيور، الهدهد طائر جميل المنظر، نراه في الحدائق، وهو في مصر يقولون عنه: من الطيور صديقة الفلاح، الَّتي تأكل ديدان الأرض وحشراتها؛ فتريح الفلاح من الأشياء الَّتي تأكل زرعه. ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۞ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢٠، ٢١]، ما الَّذي جعله يغيب ولا يحضر جلستي هذه؟ بعض المفسرين قال: يعذبه عذابًا شديدًا؛ فيحبسه بين طيور آخرين لا يقبلونه ولا يطيقونه،

QaradawiBooks.com

فينقرونه ويزعجونه. ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢١ ـ ٢٢]، عرفت ما لم تعرفه، وذهبت إلى اليمن، سليمان في الشام في فلسطين، وهو ذهب إلى اليمن رحلة طويلة، وجاء بنبأ يقين، فما هو هذا النبأ اليقين الَّذي جاء به هذا الهدهد؟

﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۞ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٣ ـ ٢٦]. فلما سمعه سيِّدنا سليمان قال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]. لم يكذبه ولم يصدقه، وهذا هو موقف الإنسان مع الجنود ومع الرعية، حينما يأتيه واحد بخبر عجيب وغريب؛ لا يقول له: أنت كذاب. ولا يأخذ كلامه مُسلَّمًا من غير أن يمتحنه.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، كان الملوك يبعثون برسائلهم مع مثل هذه الطيور، وهناك نوع من الحمام يسمونه (الحمام الزاجل)، يبعثونه برسائل إلى الآخرين، العشاق يبعثون برسائل إلى من يعشقونهم، والحكام يبعثون برسائل إلى ولاتهم، أو إلى بعضهم وبعض، فقال للهدهد: سنبعثك برسالة إليهم، ألقها إليها ثمَّ انتظر وانظر ماذا يفعلون. فذهب الهدهد وألقى رسالة سليمان إلى هؤلاء القوم من سبأ، وسبأ جزء كبير من اليمن ذكره القرآن في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]. بلد فيها مياه، وفيها سدود، وفيها أنهار، وفيها جنان، وفيها ظلال، وفيها فواكه، وفيها حبوب، فاذهب إليهم وألقِ إليهم هذا الكتاب.

QaradawiBooks.com

إنِّي ألقي إليَّ كتاب كريم:

فلما أُلقي الكتاب إلى ملكة هؤلاء، كانت امرأة تملكهم، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾، هذه المرأة هي الَّتي يسمونها في العربيَّة (بلقيس) ملكة سبأ، قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]، لأنَّه كان مختومًا، ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]. انظر هذا كتاب ليس فيه كلام كثير، لأن الكلام الكثير أحيانًا لا تكون فيه فائدة، هما كلمتان ابتدأهما سليمان بالبسملة، وهذا دلنا على أنَّ البدء بالبسملة سنة الأنبياء، كما فعل نوح عليه السلام حينما ركب السفينة قال: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١]. وكذلك سليمان لما كتب كتابه بدأه باسم الله الرحمن الرحيم.

ترجم القرآن رسالة سليمان، فهي لم تكتب بالعربيَّة، وكلام سليمان كله لم يكن بالعربيَّة، والنمل لا يتكلم بالعربيَّة، ولا الهدهد يتكلم بالعربيَّة، لكن الله يترجم لنا ما قاله الهدهد وما كتبه سليمان لملكة سبأ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾. لا أطالبكم بشيء، أنا أطالبكم فقط ألا تستكبروا عليَّ، فالعلو هنا هو الاستكبار في الأرض، أن تتعالى على الناس، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٤]، وكما قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]. هذا العلو في الأرض مذموم في القرآن الكريم، فسليمان يقول لهم: لا تعلوا عليَّ، إياكم أن تتكبروا عليَّ، أو تتمردوا عليَّ، أنا لا أطالبكم بشيء، لا أطالبكم بمال، ولا أطالبكم بجزية، ولكن أطالبكم ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾.

هكذا جاء هذا الكتاب من سليمان الَّذي أصبح معروفًا عند ملوك المنطقة كلها، يعرفون سليمان، وملك سليمان، وما آتاه الله لسليمان،

QaradawiBooks.com

ولذلك قالت لهم: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾. هذا الكتاب جاء من سليمان، من فلسطين، جاء من الملك الَّذي أوتي مُلكًا لم يؤتَ لأحد.

يا أيُّها الملأ أفتوني في أمري:

وهنا وقفت المرأة مع قومها، الموقف الآن ليس موقفًا هينًا، مَلك في قوَّة سليمان، وقدرة سليمان، ومُلك سليمان يهدد ويقول: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾. هنا جمعت من تستشيره من قومها، جمعت أهل الخبرة، الَّذين تستشيرهم في الأمور الهامة من أمور البلد وأمور الشعب، ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ والملأ كبار القوم، الَّذين يملؤون العيون مهابة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]، ليس من شأني أن أقوم بالأمور وحدي، لا أقطع في أي أمر حتَّى تشهدوني، حتَّى تحضرون معي وتشاركوني، وتشاوروني وأشاوركم، هذا هو الَّذي سماه الإسلام الشورى، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهو ما يطلقون عليه في عصرنا (الديمقراطية)، أن ترد الأمر إلى الشعب، فالديمقراطية هي الشورى، هي ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾، ألا ينفرد الملوك والرؤساء والأباطرة بالأمور وحدهم، ويفرضون على الشعب ما يريدون، بل يفرضون على الشعب ما يكرهه وما لا يريده، لا، ليس هذا هو الحكم الراشد، وليس هذا هو المُلك العادل، الحكم الراشد والمُلك العادل أن تراجع النَّاس في كل ما يهمهم، هذا معنى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾. يتشاورون فيه.

وهكذا شاورت ملكة سبأ قومها، ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٢، ٣٣]، قالوا لها: نحن قوم مستعدون للحرب، عندنا

QaradawiBooks.com

القوة، ما يحتاج إليه الجيش من أدوات ومن أسلحة، ومن أقواس ومن سهام، ومن سيوف ومن رماح، كل هذا عندنا، ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، مدربون وشجعان، لا نخاف من أحد.

عندهم القوة والبأس، أي عندهم الناحية المادية والناحية المعنوية، قد يكون عند بعض النَّاس سلاح، ولكنَّهم إذا واجهوا العدو خافوا وهربوا من أمامه، فما قيمة الأسلحة في هذه الحالة، قالوا: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، نحن سلمنا الأمر إليك، علينا نحن أن نحارب، ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾. فكري في الأمر مع من تريدين ونحن مستعدون لأي خطوة، إن سالمتِ نسالم معك، وإن حاربتِ نحارب معك.

إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها:

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، ما معنى أفسدوها؟ بعض النَّاس فهم أنَّ الملك إذا دخل قرية في بلده أفسدها، لا، بل إذا دخلوا قرية غيرهم فاتحين غالبين أفسدوها، كأنَّما تتحدث عن عمل ما نسميه في عصرنا (الاستعمار)، حينما تريد دولة قوية أن تستعمر دولة ضعيفة، حينما تريد دولة غالبة ذات شوكة أن تستعمر دولة مغلوبة، في هذه الحالة يفسدون هذه الدولة الَّتي يدخلونها ويخربونها، هذا عمل الملوك الغالبين المستعمرين في البلاد.

أمَّا عملهم في العباد فهو الإذلال، فمهمتهم إفساد البلاد، وإذلال العباد، هذا شغل الاستعمار، ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، يذلوا الأعزاء، القوم الَّذين لهم همة مع الشعب، وهم الَّذين يحفظون على النَّاس قوتهم وكرامتهم وشجاعتهم، يحفظون الشعب من أن ينهار، هؤلاء يذلهم الملوك، فيذلون أعزة القوم،

QaradawiBooks.com

ويفسدون بلاد القوم، كما نرى نظام الحكم السوري الآن يفسد البلاد ويذل العباد، يدمر البلاد، حينما تنظر إلى البلاد السوريَّة: حلب، ودمشق، وحماة، وحمص، ودرعا، وإدلب، كل هذه البلاد هدمها النظام السوري. ويذلون العباد، إذا استطاعوا أن يمسكوا بأحد يذلونه، إما يقتلونه قتلًا، أو يحبسونه ويذلونه فيما هو شر من القتل، هذا صنع الحكام الظلمة دائمًا.

﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، هل القول: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. من كلام بلقيس لقومها، أم من كلام القرآن يصدق على كلامها، أن ما تقوله بلقيس حقيقة، وأنَّ الاستعمار يفعل هذا إلى اليوم، يفسد البلاد ويذل العباد؟

إنِّي مرسلة إليهم بهدية:

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، سأجرب حظي مع سليمان لأنظر هل هو ملك من ملوك الأرض، يمكن أن يفرح بهدية من الذهب والماس ونحوها، أو هو غير ذلك، صاحب دعوة وصاحب رسالة؟ فلما ذهب حاملو الهدية من بلقيس إلى سليمان قال لهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل: ٣٦]، عندي من المال أكثر وأفضل ممَّا عندكم؛ فلست في حاجة إلى هديتكم، ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۞ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦، ٣٧]، ارجع إليهم بهديتهم؛ فليس بيننا وبينهم إلَّا القتال.

ورجع من يحمل الهدية إلى بلقيس وأخبرها بهذا القول، وعرفت أن سليمان ليس من ملوك الأرض المعروفين، الَّذين تغرهم الهدايا وترضيهم الأموال، وتبعدهم عن الطمع في بلاد الآخرين، فعزمت على أن تغير ما بها، وتذهب إلى سليمان مسلمة لله ربِّ العالَمِين.

QaradawiBooks.com

وهنا نجد سليمان يستفيد من بعض جنوده، قلنا إنَّ القرآن قال: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]. كل الملوك جنودهم من الإنس، ليس عندهم جنود من غير الإنس، يمكن أن يكون عند أحدهم عشرة آلاف جنديٍّ، أو مائة ألف جنديٍّ، أو مليون جنديٍّ، لكن كلهم من الإنس، أمَّا سليمان فكان عنده جنود من الجن، كما كان من جنوده الريح سخرها الله له، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۞ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٦، ٣٩]، فكل هذا من جنود سليمان، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، قبل أن تعرف البشرية ما عرفته في عصرنا من الطيران فوق الأجواء، الطائرات الَّتي كانت بسيطة ثمَّ أصبحت لها إمكانات هائلة؛ كأنها مدينة سائرة في الجو، قبل هذا سخر الله الريح لسليمان عليه السلام، وسخر له الجن.

أراد سليمان أن يسخر بعض جنوده من الجن: العفاريت، هناك جن فعلًا لا نراهم، لأن كلمة (جِن) من (جَنَّ) أي استتر، ومنها الجنَّة لأن الأشجار تسترها، وجن عليه الليل أي اظلم عليه الليل، فالجن مستترون عنا، يروننا ولا نراهم، عالم الجن هذا عالم موجود، نؤمن به، وفي القرآن سورة تسمى (سورة الجن)، ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، إلى آخر السورة.

أيكم يأتيني بعرشها:

قال سليمان لأصحاب مجلسه: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]. عرف سليمان ممَّا أوحى الله إليه أن هذه الملكة ستأتي مسلمة إليه، فأراد سليمان أن يريها بعض ما آتاه الله من آيات

QaradawiBooks.com

ملكه، ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨، ٣٩]، أستطيع خلال هذه المدة الَّتي تجلس فيها في مجلسك هذا أن آتيك بعرشها، لكن أعطني فرصة هذا المجلس أربعة أو خمسة ساعات.

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، ما بين غمضة عينك وانتباهتها آتيك بهذا العرش، كيف يفعل هذا؟ عنده علم من الكتاب يستطيع بواسطته أن يأتي بهذا العرش في لمح البصر، الله أكبر! هذا الشخص آدمي، لأن الَّذين يجلسون مع سليمان إما إنس، أو جن، أو طير، فإذا لم يكن هذا القائل جنًّا ولا طيرًا؛ فلا بد أن يكون إنسًا، أوتي علم الكتاب، آتاه الله علمًا لا يعرفه النَّاس استطاع بواسطة هذا العلم أن يأتي بالعرش في لمح البصر، قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]، لم تقل: لا، ليس هو. ولا قالت: هو. ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢].

وأسلمت المرأة مع سليمان لله ربِّ العالَمِين، أسلمت لله لا لسليمان، الإسلام لا يكون للبشر، الإسلام لله، من يسلم يسلم لربه، لا يسلم لنبي، ولا يسلم لملك، ولا يسلم لولي، ولا يسلم لصالح، الإسلام لله، كلنا مسلمون لله، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

هذا هو الملك سليمان، أخذ منا الوقت كله، ونعود بعد الحج إن شاء الله، أنا ذاهب إلى الحج إن شاء الله، فبعد الحج نكمل الحديث عن هؤلاء الملوك الَّذين ذكرهم القرآن، نكمل ملك سليمان، وذكرنا فيه ملك بلقيس هذه المرأة العادلة الَّتي كسبت الدُّنْيا والآخرة بالإسلام،

QaradawiBooks.com

سنتحدث عن بقية الملوك الصالحين، وعن الملوك الظالمين والجائرين إن شاء الله.

نسـأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وآخـر دعوانا أنَّ الحمد لله ربِّ العالَمِين، ادعوا ربكم يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة الكرام:

أُحدثكم حديثًا سريعًا عن أمور مهمة في هذه الخطبة الثانية:

قضية القدس والمسجد الأقصى:

الأمر الأول: هو أمر القدس والمسجد الأقصى، الَّذي نراه كل يوم يُدنَّس، ونراه كل يوم يُعتدى عليه، أصبح اليهود في عدوان دائم على هذا المسجد الأقصى، وأصبحت مؤسسة القدس الدولية، الَّتي أسسها القوميون والإسلاميُّون لتكون راعية للمسجد الأقصى، وراعية لمدينته: القدس الشريفة، أصبحت هذه المؤسسة تنادي العرب والمسلمين في أنحاء الأرض، وتنادي الأحرار والشرفاء من البشر؛ ليكونوا جميعا على أُهبة لإنقاذ المسجد الأقصى، الَّذي أصبح اليهود يعتدون عليه في كل يوم تقريبًا، أصبحوا يقتحمونه في الصباح وفي المساء، أفرادًا وجماعات من المتطرفين؛ ممن يريدون أن يقرؤوا فيه التوراة، ويصلوا فيه صلواتهم، ويريدون أن يدخلوا المسجد الأقصى نفسه ليجعلوا لهم فيهم مكانًا.

في سنة ١٩٦٩م. حاول أحد اليهود أن يحرق المسجد الأقصى، وما استطاع إلَّا أن يحرق جزءًا من منبر صلاح الدين، حينذاك هاج المسلمون في العالم، واجتمع قادتهم لأول مرَّة في قمة وأنشؤوا ما سُمي منظمة المؤتمر الإسلامي من أجل منبر صلاح الدين.

الآن يحفر اليهود تحت المسجد خمسين حفرية حتَّى بنوا تحته مدينة، هناك اعتداءات مستمرة على هذا المسجد، يريدون أن يعملوا فيه

QaradawiBooks.com

ما عملوه في المسجد الإبراهيمي، الَّذي يسميه الفلسطينيُّون الحرم الإبراهيمي؛ كما يسمون المسجد الأقصى الحرم القدسي، وهذا تعبير مجازي؛ لأنَّه ليس هناك حرم إلَّا مكة والمدينة، هذا المسجد الإبراهيمي قسمه اليهود بينهم وبين المسلمين، هم يريدون أن يفعلوا ذلك بالمسجد الأقصى؛ بل يريدون أن يأخذوا هذا المسجد كله!

إخواننا في مؤسسة القدس ينادون العرب والمسلمين في العالم: يا مسلمون، المسجد الأقصى ثالث المساجد الَّتي لا تُشد الرحال إلَّا إليها[1]، القدس هي المدينة الثالثة في الإسلام بعد مكة والمدينة، والمسجد الأقصى هو المسجد الثالث في الإسلام من حيث المكانة، بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، كيف للمسلمين أن يسكتوا على اعتداء اليهود عليه؟

هذا الكلام السريع نقوله الآن لنُذكِّر المسلمين بهذه القضيَّة الكبرى، وإلا فإننا يمكن أن نصحو يومًا نجد اليهود فعلوا ما فعلوا؛ ونحن في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون، هذا هو الأمر الأول.

صدور الحكم في قضيَّة معركة الجمل:

الأمر الثاني: هو ما حكمت به المحكمة المصريَّة بالنسبة لقضية معركة الجمل، كما يسمونها؛ الَّتي كانت في ميدان التحرير، هؤلاء الَّذين جاؤوا راكبين الجمال والخيول، والبغال والحمير، واقتحموا الميدان ليدوسوا الناس، ويفعلوا ما يفعلون، هؤلاء حكمت المحكمة ببراءتهم جميعًا، كما رأينا المحكمة من قبل حكمت بالبراءة على من كانوا مع

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة المتَّفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧).

QaradawiBooks.com

مبارك الَّذين فعلوا ما فعلوا خلال أيام الثورة كلها، وهؤلاء أيضًا حكموا بالبراءة، ليس على أي واحد منهم أي تبعة، هذا أمر عجيب! الَّذين فعلوا ما فعلوا كلهم برآء؟! ألا يوجد على أحدهم شيء أبدًا؟

وقالوا: إنَّ النائب العام هو الَّذي أحال القضيَّة ولم يحل معها أدلتها. قضيَّة مكشـــوفة، ليس فيها أدلة تدين هؤلاء، لماذا لا تكون فيها أدلة؟! النائب العام ومن معه من قضاة للأســـف لم يكونوا أمنـــاء كما ينبغي، ولذلك الرئيس مُحَمَّد مرسي حفظه الله أقال النائب العام، وأحاله ليكون سفيرًا في الفاتيكان.

والنائب العام يقول: لا يســـتطيع الرئيس أن يقيلني، أنا في مكاني، لا أُقال ولا أُعزل. عجيب هذا! من هو هذا الَّذي لا يُقال ولا يُعزل؟! أهو نبي؟ كيف لا يســـتطيع رئيس الجمهوريَّة أن يقيله ولا يعزله؛ حتَّى وإن ظهر خطؤه الكبير؟ إذا قلنا: إن هذا خطأ وليس عمدًا. مثل هذه الأشـــياء تكون متعمدة؛ لإظهار الفاعلين وكأنهم لا شيء عليهم، هذا ما ينكره أي إنسان ذو فطرة سليمة وذو عقل رشيد.

نحن مع الرئيس مرســـي، ونحن نريد أن تُعاد هذه القضيَّة، وأن تُرد ليُحاكم هؤلاء محاكمة عادلة، وأن تجمع لها الأدلة بحق، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، هذا هو الأمر الثاني.

ثورة سوريا:

وهناك أمر ثالث هو ما حدث لتركيا مع موســـكو، أصبحت موسكو أيُّها الإخوة في هذه الفترة عدوة أولى للإسلام والمسلمين، لأنَّها وقفت ضد الشعب السوري، الشعب السوري قُتل منه أكثر من ثلاثين ألفًا، بأي

QaradawiBooks.com

سلاح قُتلوا؟ بالسلاح الروسي، تمد روسيا نظام الحكم السوري بالأسلحة، وتمده بكل ما يحتاج إليه، في أثناء المعركة وصلت أسلحة إلى سوريا من جهات شتى، إلى الجيش السوري الَّذي لا زال يقاتل إلى الآن، يضرب النَّاس بالطائرات، ولا أدري لماذا لا تُمنع هذه الطائرات، لماذا لا يمنع مجلس الأمن الطائرات في سوريا من الضرب، كما منع الطائرات في ليبيا من الضرب؟ لِمَ تضرب هذه الطائرات الشعب؟ هل من يريد أن يمنع النَّاس من التظاهر السلمي يضربهم بالطائرات؟ ولا يضربهم بمجرد طائرات مروحية، بل يضربهم بطائرات الميج المقاتلة، الطائرات الحربية الكبرى، هذه طائرات روسية.

يجب أن يقف العالم العربي والعالم الإسلامي ضد روسيا، يجب أن نقاطع روسيا، يجب أن نعتبر روسيا هي العدو الأول، وروسيا هي الَّتي تقف في مجلس الأمن؛ حتَّى لا يصدر قرارًا بإدانة النظام السوري، ويحكم ضده ويوجب مقاتلته، الَّذي يقف ضد هذا هم روسيا والصين، ولكن روسيا تزيد على الصين في أنَّها تُسلِّح النظام السوري، تمده بالأسلحة باستمرار.

ولذلك وقفت تركيا الإسلاميَّة، الَّتي يحكمها حزب العدالة والتنمية، الحزب الإسلامي الصريح، وقفت ضد روسيا، ووقفت ضد النظام السوري، أسقطت الطائرة الروسية المقاتلة، وأرغمتها على الهبوط، وفتشوا فوجدوا فيها ذخائر وأسلحة مرسلة إلى سوريا، وخبراء عسكريين إلى سوريا.

يجب أن نعلم أنَّ الَّذين يقاتلوننا في سوريا ليس هو النظام السوري وحده، النظام السوري يقاتل الشعب السوري، هذا الشعب الَّذي لم

QaradawiBooks.com

ينضم إليه بالمساندة أي شعب. أمير قطر دعا العرب إلى أن يقاتلوا دفاعًا عن الشعب السوري، ولم يستجب له أحد للأسف، فهذا الشعب السوري يقاوم وحده، ولكن النظام السوري يقاتل معه الروس ويساعده الصينيون، ويقاتل معه الإيرانيون.

الإيرانيون يقاتلون في سوريا برجالهم، ويقاتلون بأسلحتهم، ويقاتلون بأموالهم، حينما تحتاج الميزانية السوريَّة إلى الملايين والملايير تأتي الأموال الإيرانية إلى سوريا، فإيران أيضًا هي عدوتنا، هي عدوة العرب، تقاتل الشعب السوري، الثلاثون ألفًا الَّذين قُتلوا في سوريا قتلهم الإيرانيون، وقتلهم الصينيون، وقتلهم الجيش النظامي السوري، قتلوا الرجال والنساء، والشيوخ والشباب والأطفال، الَّذين قُتلوا، والَّذين سُجنوا، والَّذين عُذِّبوا، والَّذين شُرِّدوا في البلاد ولا يجدون مكانًا يؤويهم، وسيأتي الشتاء عن قريب فلا يجدون مكانًا يُدفئهم، كل هؤلاء ضحايا الروس، وضحايا الإيرانيين.

الإيرانيون يقفون ضد العرب من أجل أن يُنشئوا إمبراطورية فارسية، لا، ليس هذا ما دعا إليه الخميني، وليس هذا ما قاموا به ضد الشاه: الملك السابق، وقد أصبحوا ظالمين مثله وأشد منه، فالملك لم يقتل شعبًا؛ كما قتل الإيرانيون السوريين عن طريق رجالهم، وعن طريق حزب الله اللبناني الَّذي يرسل جنوده إلى سوريا ليُقتلوا ويُعادوا في الصناديق إلى لبنان، هكذا ضبطوا الإيرانيين وضبطوا اللبنانيين، هذه كلها حقائق.

الإيرانيون والروس يقاتلوننا نحن العرب، يقاتلون إخوتنا السوريين، يذبحونهم، يفعلون بهم ما يفعلون، لا تظنوا أن هذا من الجيش السوري وحده، الجيش السوري يفعل ما يفعل بالأسلحة الروسية، الَّتي يوصي

QaradawiBooks.com

بها ويؤكد عليها الإيرانيون، الإيرانيون يضغطون على الروس؛ لأنَّهم يشترون منهم أسلحة، فهم يستطيعون بواسطة ذلك أن يضغطوا عليهم، والروس يستجيبون للضغط، فأعداؤنا هم الروس، وهم الإيرانيون الَّذين خانوا رسالتهم، وأصبحوا يقتلون إخوانهم المسلمين، ولأنهم ليسوا على مذهبهم فلا بأس عندهم أن يُقتل الآلاف، وعشرات الآلاف من هؤلاء.

ما هكذا تكون الرسالة أيُّها الإيرانيون، ما هكذا يُقتل المسلمون السنيون ويُعذَّبون، هذا ما لا يقبله مسلم يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويعلم أنّ «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه**»[(١)]، لا يجوز له أن يظلمه، ولا أن يدعه يُظلم ولا يرد عنه الكيد والبأس، ليس هذا من الإسلام في شيء، «**المسلمون يسعى بذمَّتِهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[(٢)].

نقول لهؤلاء: إنَّ الله تعالى يراقبهم، وينظر إليهم، ويسجل عليهم، ويحصي كل ما يفعلونه، وسيحاسبهم حسابًا عسيرًا في يوم ليس هناك فيه ملك إلَّا الله، ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

يا أيُّها الإيرانيون، اتَّقوا الله في المسلمين في سوريا، ارحموا المسلمين، ارحموا الرجال، ارحموا النساء، ارحموا الشيوخ، ارحموا الأطفال، ارحموا الشباب، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، وإلا ستأتيكم نقمة الله عاجلة والله، سيدعو المسلمون عليكم، ادعوا جميعًا، ادعوا على الإيرانيين، وادعوا على الروس، وادعوا على

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٥.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٩.

QaradawiBooks.com

جيش سـوريا النظامي الظالم، الجيش الَّذي يقتل ويُذبح ويدمر، ادعوا على كل هؤلاء الظلمة، وأدعو كل الحجاج: ثلاثة ملايين حاجٍّ، أن يدعوا الله تعالى في موسـم الحج أن يأخذ الظالمين، أن يأخذ المتجبرين في الأرض، أن يأخذ الَّذين ليس في قلوبهم رحمة، أن يأخذ هؤلاء الوحوش أخذ عزيز مقتدر، أن يأخذهم أخذًا أليمًا شديدًا، وينزل عليهم بأسه الَّذي لا يُرد عن القـوم المجرمين، فالله ﷻ لا يغفل أبدًا، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، «**إنَّ اللهَ ليُمْلي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يُفْلِتْـه**»[1]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

اللهم إنَّا نسـألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانـا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ اسـترْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العُليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السُّـفلى، اللهمَّ أعلِ بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، اللهمَّ انصر إخوتنا في سوريا، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًـا، واهدهم صراطًا مسـتقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيـزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم أنزل بأسـك على الحكام الظالمين في سوريا، وعلى كل من يعينهم في الداخل والخارج، اللهمَّ أنزل عليهم بأسـك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ أدر الدائرة عليهم، وسُـق الوبال إليهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، اللهمَّ انصر إخوتنا في مصر،

(١) سبق تخريجه صـ٦٣.

QaradawiBooks.com

وانصـــر إخوتنا في تونس، وانصـــر إخوتنا في ليبيـــا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في المغرب، وانصر إخوتنا في بنجلاديش، وانصر إخوتنا في بورما، وانصر إخوتنا في البوسنة والهرسك، وانصر إخوتنا في إريتريا، وانصر إخوتنا في أثيوبيا، وانصـــر إخوتنا في الصومال، وانصر إخوتنا في كل مكان يا ربَّ العالَمِين، اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٩

الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٣)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا فيما كنا فيه، نتحدث عن موضوعات القرآن، وما أعظمَ موضوعات القرآن، وما أكثرَ موضوعات القرآن!

كنَّا نتحدَّث عن المُلك والحكم في القرآن، والمُلك والحكم لله ﷻ، قد يوجد في الدُّنْيا ملوك، ولكنَّهم هم أنفسهم مملوكون لله، لا يملكون كل شيء، وإنَّما يملكون بعض الأشياء.

الملك الحقيقي لله:

المُلك الحقيقي لله ﷻ، وخصوصًا في الآخرة؛ حيث يتميز الأمر بأنَّ الملك كله لله، من أسماء الله تبارك وتعالى (المَلك)، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، إلى آخره، فمن أسمائه تعالى أنَّه الملك، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، هو الملك، وهو المالك.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأظهر ما يكون ذلك في الآخرة؛ حيث ترجع الأملاك كلها لله، فهو في هذا اليوم الملك والمالك، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، ولذلك جاء في سورة الفاتحة: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وفي بعض القراءات المتواترة: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ). فهو المالك لا مالك غيره، وهو الملك في هذا اليوم، ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦]، ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، فالله ﷻ هو الملك الحق.

ولذلك يذهب الملوك، يرحلون بالموت وبالانقلابات وبما يعرف النَّاس وبما لا يعرفون، تتغير الأملاك من شخص إلى آخر، أمَّا المُلك الَّذي يستمر ويبقى، ولا يعتريه فناء ولا تغير؛ فهو مُلك الله تبارك وتعالى.

وكما أنَّ المُلك لله، فالحكم أيضًا لله، ليس هناك حاكم مطلق يشرِّع للخلق ما يشاء، يأمر وينهى، ويحلل ويحرم إلَّا الله، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فالحكم لله والملك لله.

الله تعالى يؤتي الملك من يشاء:

ولكنَّه ﷻ أعطى المُلك بعض عباده، ملَّك أناسًا في الدُّنْيا وحكَّمهم، كما قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. الله يؤتي الملك لبعض النَّاس وينزعه من بعض الناس، ويورثه من ناس إلى آخرين، هذا صنع الله تبارك وتعالى في كونه، هو صاحب هذا الكون، وهو مالك هذا الملك، ولذلك ترى أناسًا كانوا في عزة ملكية، كانوا يتحكمون

QaradawiBooks.com

في عبـــاد الله، ثمَّ يأتي حكـــم الله ﷻ؛ فيُنزلهم من هـــذه الملكية المترفعة المتجبرة في الأرض، إلى عبودية ذليلة، أصبحـــوا يذلون لخلق الله، هكذا صُنع الله في هذا الكون!

تحدثنا أيُّها الإخوة في جمعات سابقة عن ملوك عادلين، يقيمون عدل الله في أرض الله، على عباد الله، لا يحكمون بالباطل، ولا يسودون النَّاس بالطغيان، إنَّما يسودون النَّاس بالعدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨]، العدل هو الَّذي أمر الله بـــه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحـــل: ٩٠]، ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الأعـــراف: ٢٩]، الله هـــو الَّـــذي يأمر بالعـــدل. ومن خصائص الحكام الَّذين يحكمون بأمر الله وبحكم الله: أن يأمروا بالعدل دائمًا، ذكرنا من هؤلاء سليمان بن داود عليه السلام، وداود عليه السلام.

سليمان عليه السلام:

فممن حكموا بين النَّاس بالقسط ســـليمان عليه السلام، الَّذي آتاه الله مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، هكذا سأل الله، ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، فحكم بالعدل، وســـوَّى بين الناس، وضرب مثـــلًا في الإخـــلاص لله، والتواضع لخلـــق الله، فكان سليمان حاكمًا عادلًا، لم يكن ملكًا ظالمًا كما يصوره أصحابه من اليهود والنصارى وغيرهم، يصورونه ملكًا ظالمًا، وأحيانًا يعبد الأصنام، ولكنَّه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٢٥]. سخر الله له الجن والشـــياطين والريـــاح، ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ۞ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۞ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۞ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٣٦ ـ ٤٠].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كان سليمان رغم ملكه العظيم شاكرًا لله ﷻ، شكر الله وحمد الله هو وأبوه، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥، ١٦]. حكى الله عنه قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

لما هيَّأ الله له الرجل الَّذي عنده علم من الكتاب، وأتى بعرش ملكة سبأ الَّتي عرفت باسم بلقيس، جاء به من اليمن إلى فلسطين في لمح البصر، أو قبل لمح البصر، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، هذا هو الملك الشاكر، الَّذي لا يدعي لنفسه أنَّه هو صاحب العظمة، وصاحب الجلالة، وصاحب الأفعال، وأنَّه هو الَّذي يستطيع أن يسخر كل شيء، وينفذ كل شيء، لا، لم يقل هذا، ولكن حمد الله، ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

هكذا كان سليمان عليه السلام، وقد آتاه الله الفهم كما قال ﷻ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]. في قضيَّة اختلف فيها هو وأبوه داود، ولكن الله أعطى الفهم لسليمان.

هذا سليمان عليه السلام الَّذي كان يخالط الفقراء والمساكين؛ كأنه واحد منهم، ويقول: مسكين خالط مسكينًا[1]. هو مسكين مع أنَّه صاحب الممالك العظيمة، الَّذي سُخر له الجن والإنس والطير، ويعرف لغات النمل والطير، فهو مع ذلك يرى أنَّه عبد الله ﷻ، كل شيء جاء من فضل الله تبارك وتعالى عليه.

(١) تفسير الرَّازي (٢٢٠/٣٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

ملكة سبأ:

تحدثنا عن مُلك سليمان العادل والقوي، وتحدثنا في قصته عن ملكة سبأ الَّتي ذكرها الله تعالى في القرآن رغم أنَّها امرأة، ورغم أنَّها كانت كافرة، كما قال الهدهد: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۞ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٣، ٢٤]. يعبدون الشمس ولم يعبدوا الله ﷻ، هكذا حكى الهدهد، ورغم هذا حكم الله لها بأنها ملكة عادلة، تستشير قومها في كل شيء.

حينما أرسل لها سليمان كتابه، وهو كتاب موجز مختصر: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]. جملتان قصيرتان جدًّا، ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، لا يُكثر من الكلام، الَّذين يُكثرون من الكلام لا يحسنون العمل، ولكن سليمان عليه السلام قلل من الكلام؛ بحيث لا يطيل عليها القول، وطلب منها الإسلام.

وحينما جاءها هذا الكتاب جمعت قومها، الملأ الَّذين يملؤون العين والقلب مهابة، الكبراء من قومها، وقالت أشيروا عليَّ: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]. سيرتي في الملك أنِّي لا أقطع في أمر، أي أمر ذي بال يأتمر به النَّاس ويهتم به الناس؛ حتَّى تحضروا وتستمعوا إليَّ، وتعرفوا القضيَّة من جذورها، وأخبرتهم بأمر سليمان، قالوا لها: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: ٣٣]. نحن عندنا القوة والقدرة على القتال، ولا نتأخر ولا نجبن، ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]. ونحن مفوضون الأمر إليك، فقالت لهم: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. الملوك الفاتحين إذا

QaradawiBooks.com

دخلوا قرية ليفتحوها ويستعمروها: أفسدوا القرية، وأذلوا أعزتها، يحاولون أن يفسدوا القرية: يفسدوا عمارتها، ويفسدوا مبانيها، ويفسدوا زراعتها، ويفسدوا صناعتها، ويفسدوا كل شيء فيها حتَّى يؤخروها، ويذلوا رجالها الأقوياء، ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ﴾، قال القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾. هذا شأن الاستعمار، أنَّه يفسد البلاد ويذل العباد.

قالت ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]. أرادت أن تختبر سليمان؛ لتعرف أهو من ملوك الدُّنْيا الَّذين يهتمون بالهدايا والمجوهرات والتحف وهذه الأشياء، أم له شأن آخر؟ فلما أرسلت إليه بالهدية لم يقبل الهدية، وقال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ۞ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦، ٣٧]. نحن لسنا من أهل الهدايا ولا من عُشَّاق التحف، ولا من عُبَّاد هذه الأشياء الَّتي يتعبد بها كثير من النَّاس كأنها أوثان، نحن أصحاب رسالة نريد أن نبلغها للناس، فإذا لم يستجيبوا لنا سنغزوهم بجنودنا وأسلحتنا، ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾.

وهنا عرفت المرأة أن هذا الرجل ليس من ملوك الدُّنْيا، وليس من عشاق التحف والهدايا وهذه الأشياء؛ فصممت على أن تذهب إليه مسلمة، وجاءت إليه مسلمة، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾ [النمل: ٤٤]، القصر الَّذي شيده سليمان، ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ [النمل: ٤٤]، كما نرى في بعض القصور عند بعض الأغنياء والكبراء، أفنية من زجاج؛ فيُخَيّل إليك أنَّه نهر، ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

QaradawiBooks.com

هذه امرأة حكمت بالعدل قومها، ونوه الله بشأنها لأن الله ﷻ يحب العدل، ويأجر على العدل، حتَّى لو كان العدل من كافر، فالعدل من كافر يُنمِّي ويُعمِّر، والظلم من المسلم يُخرِّب ويُدمِّر، إذا ظلم المسلم كان ظلمه شرًّا مستطيرًا يصيب النَّاس أجمعين، ولا يرحمه هذا أنَّه مسلم، الإسلام يقتضي أن تكون عادلًا، من أسماء الله (الحكم العدل)، فلماذا تكون أنت ظالمًا؟ فالظلم يأتي بالخراب على أهله، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل: ٥٢]، هكذا يحكم الله بخراب بيوت الظالمين.

حكى القرآن لنا عن هذه المرأة الَّتي كانت مشركة، كانت عربيَّة من أهل اليمن، وكانت عادلة، وكانت ذات بأس في قومها، يحترمها قومها الرجال، حكى القرآن عنها أنَّها انتهت بإسلامها مع سليمان لله ربِّ العالَمِين، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، لم تسلم لسليمان، وإنَّما أسلمت مع سليمان، لمن؟ لله ربِّ العالَمِين، الإسلام لله، الإسلام ليس لنبي ولا لملك، ولا لأحد من الناس، إنَّما يسلم النَّاس لله، فهذه المرأة من الملوك العادلين الَّذين ذكرهم الله للنَّاس في القرآن الكريم.

ذو القَرْنَيْن:

ومن الملوك العادلين الَّذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، ونوه بأمرهم: ذو القَرْنَيْن الَّذي ذكره الله تعالى في سورة الكهف، تحدث عنه فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٥]. فهو من الملوك العادلين، هل كان نبيًّا أم كان ملكًا؟ الظاهر في القرآن أنَّه كان ملكًا، وأنَّه لم يُوحَ إليه، وإنَّما حكم بالعدل.

QaradawiBooks.com

القرآن على عادته في ذكر القصص لم يذكر اسم ذي القَرْنَيْن ولقبه، ما اسمه؟ في أي زمن كان؟ من أي بلد كان؟ في أي موقع من العالم، في شرقه أم في غربه؟ في شماله أم في جنوبه؟ القرآن على عادته في قصصه لا يهتم بهذه الأشياء الَّتي يهتم بها المؤرخون؛ لأن القرآن ليس كتاب تاريخ، ولا كتاب جغرافيا، ولا كتاب فيزياء، ولا كتاب كيمياء، ولا كتاب فلك، ولذلك لا يهتم بما تهتم به هذه العلوم من الوقائع والأرقام، والأشياء الدقيقة الَّتي يهتم بها المختصون، إنَّما يهتم بمواضع العِبَر الكبرى الَّتي يستفيد منها الناس، أي ناس في أي مكان وفي أي زمان وفي أي حال، ولذلك لم يذكر لنا من هو ذو القَرْنَيْن.

بعض المفسرين قالوا: ذو القَرْنَيْن هو الإسكندر المقدوني. الإسكندر الأكبر الَّذي درسناه في التاريخ، وهو من مقدونيا من بلاد اليونان وما حولها، وهو الملك الَّذي فتح الفتوح وذهب إلى مصر وغيرها، ولكن من يقرأ سيرة الإسكندر، ويقرأ ما ذكره القرآن عن ذي القَرْنَيْن يعرف أنَّه أبعد شيء عن هذا الملك، لأن ذا القَرْنَيْن ملك مؤمن، معروف أنَّه مؤمن، ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]، ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧]، معروف أنَّه ملك مؤمن صادق الإيمان، فلا يمكن أن يكون هو الإسكندر الأكبر.

وبعضهم قال: إنَّه من أذواء اليمن. كان عند اليمنيين ملوك يسمونهم الأذواء، جمع ذو، مثل ذو يزن، وذو كذا، لكن ليس هناك دليل أنَّه من اليمن، ولم يوجد في هؤلاء من غزا هذه الغزوات الَّتي ذكرها القرآن لذي القَرْنَيْن، القرآن ذكر لنا أنَّه غزا غزوات ثلاث: غزوة للمغرب، وغزوة

للمشرق، وغزوة بينهما لعلها للجنوب أو للشـــمال، وهي غزوات كبرى، وكان له فيها أمور وأشـــياء كبيرة أعتقد أنَّه لا يحســـن بنا أن نتحدث عنها اليوم، فنرجئها إلى جمعـــة قادمة نتحدث فيها عن هذا الملك العظيم، ربنا يقول: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤، ٨٥]. مكَّن الله له في الأرض، وأعطاه من الآلات والهبات، ما يجعله قادرًا على هذا التمكين، وفتح له من الفتوح ما هو أهل له، فنحن نكتفي بهذا القدر في هذا اليوم، ونرجئ حديثنا عن ذي القَرْنَيْن إلى جمعة أخرى إن شاء الله.

نســـأل الله أن يبصرنا بأســـرار القرآن، ومعاني القرآن، وعِبر القرآن، ويفتح قلوبنا لهداه؛ إنَّه سميع الدعاء.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، وادعوه يستجب لكم، إنَّه نعم المولى ونعم النصير.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا بدَّ لي أن أحدثكم عن بضعة أمور:

غزة دار العزة:

أولًا نحمد الله تبارك وتعالى أن انتهت معركة غزَّة على خير، معركة غزَّة كانت معركة بين حق وباطل، بين عدل وظلم، بين إيمان وكفر، فإسرائيل دولة طاغية، دولة لا تعترف بالحق، ولا تقيم العدل، ولا تعرف رأفة ولا رحمة، لا تخشى خالقًا، ولا ترحم مخلوقًا.

هؤلاء الإسرائيليُّون هم كالَّذين ذكرهم الله في كتابه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥ ـ ٦٥]. هم دائمو النُّكْث، ودائمو النقض للعهود، ودائمو التعدي على الحدود.

أرادوا أن يضربوا إخوتنا في غزَّة، وأن يخرجوا من العملية كما يريدون، ولكن الله هيَّأ لهم رجالًا يقابلون صواريخهم بصورايخ، ويصبرون على ما ينزل بهم من هذه الصواريخ، وهيأ اللهمَّ لهم رجالًا أمثال الدكتور مُحَمَّد مرسي ومن كان معه من رجال آخرين: رجب الطيِّب أردوغان رئيس وزراء تركيا، والشيخ حمد بن خليفة أمير قطر، وبعض الإخوة من تونس، هؤلاء وقفوا ضد جبروت اليهود الصهاينة الإسرائيليِّين، الَّذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وأبوا أن يرضخوا لهم، وطلبوا منهم أن يوقفوا هذا العدوان بشروطهم، واستجابت

QaradawiBooks.com

إسرائيل، واستجاب معها الأمريكان، الَّذين ضغطوا على إسرائيل حتَّى رضخت وأذعنت لهذه الشروط.

والحمد لله ربِّ العالَمِين خرجت غزَّة مرفوعة الرأس، وإن كُنَّا قرأنا هذا اليوم أن إسرائيل اعتقلت خمسة من المجلس التشريعي، من الفلسطينيِّين الَّذين يمثلون حماس في هذا المجلس، أي أنَّها تريد أن تلعب وتعبث كما تعوَّدت دائمًا، ولكن لن تنخفض لغزَّة راية أبدًا، هي غزَّة دار العزَّة إن شاء الله، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

قام الإخوة الإسلاميُّون من أنحاء العالم لزيارة غزَّة، ذهب الإخوة من مصر، وذهب الإخوة من بلاد الخليج، وذهب من هنا من قطر فجر اليوم أخونا الدكتور علي القره داغي، ومعه بعض الإخوة من قطر وبعض الإخوة من مصر من اتحاد علماء المسلمين ليزوروا غزَّة، وستظل غزَّة قوية عزيزة بعزة الله تبارك وتعالى، وبإيمان المؤمنين، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، هذا أمر.

الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السوريَّة:

وهناك أمر آخر هو أمر إخوتنا في سوريا، لقد أقام إخوتنا في سوريا هذا الاتِّحاد الكبير، الَّذي ضم كل الفصائل في سوريا، كل المعارضين في سوريا، كل من يقول لبشَّار الأسد: لا. كل من يرفض الذل لشعبه، كل من يطلب الحرية لقومه، كل من يطلب الكرامة لأمته.

قام هذا الاتِّحاد الَّذي وكلوا رئاسته لأحد إخواننا من علماء الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين، الَّذي شرفني إخواني برئاسته، هذا الاتِّحاد

QaradawiBooks.com

الَّذي يشرف على قضايا المسلمين في العالم، ويقوم بما يجب عليه من إصدار البيانات في كل قضيَّة تقوم بين المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين بعضهم وبعض، يصدر بيانات يقول فيها كلمة الحق، لا يخاف في الله لومة لائم.

وكم أصدر الاتِّحاد بيانات في قضيَّة سوريا، هذه القضيَّة العادلة، قضيَّة شعب كامل يقاتل عن حريته، يدافع عن كرامته، يدافع عن أهله، عن رجاله ونسائه، وشيوخه وشبابه وأطفاله، يدافع عن أرضه وأمواله، عن كل البلد.

قام هذا الشعب السوري الَّذي قام من أوَّل يوم ليس معه سلاح، ليس في يده مدفع ولا بندقية ولا سيف، ولا سكينة ولا خشبة ولا حصاة، حتَّى الحجارة لم يكن في يده شيء، قام ينادي بحنجرته: يهتف للحرية، ويهتف للكرامة، ويهتف للشعب. ولكن الحكم السوري الظالم الجائر القاسي على شعبه أبَى هذا، رفض نداءات هذا الشعب الحر من أوَّل يوم، لم يقبل أبدًا أن ينادي الشعب بالحرية، وقف يقتل في هذا الشعب من أوَّل يوم، وأصر الشعب على موقفه، وظل يقاتل بدون سلاح، ويُقابَل هو بكل سلاح: بالمدافع والرشاشات، وبالبوارج الحربية، وأحيانًا بالطائرات.

فلما انكشف الأمر، ووصل إلى هذا الحد دعونا الإخوة في سوريا: أن يخرجوا من الجيش الَّذي استعبدهم، وجعلهم يقتلون إخوانهم وقومهم بأيديهم بأسلحتهم، يقتل السوري أخاه السوري، يقتل أباه، ويقتل أخاه، ويقتل ابن عمه وابن عمته، وابن خاله وابن خالته، ويقتل أمه وخالته، ويقتل أخته وبنت خالته وبنت عمه، يقتل أقاربه وقريباته، يقتل الرجال ويقتل

QaradawiBooks.com

النساء، هذا الجيش الَّذي أُجبر على هذا.. قلنا لهم: اتركوا هذا الجيش، من حقكم ـ بل من واجبكم ـ أن تتركوا هذا الجيش، كل من استطاع أن يترك هذا الجيش حرام عليه أن يبقى فيه يومًا واحدًا؛ بل ساعة واحدة، يجب على كل من في هذا الجيش أن يتركه، من بقي فيه فهو ظالم جائر يتحمل إثم هذا الجيش الَّذي يقتل النَّاس بالعشرات والمئات والآلاف.

نادينا أبناء الجيش السوري أن يخرجوا من هذا الجيش، وينضموا إلى إخوانهم؛ فخرج العشرات والمئات في أوَّل الأمر، ثمَّ تبعهم ما هو أكثر من ذلك وكوَّنوا الجيش السوري الحر، الَّذي وقف يدافع عن سوريا، ويقاتل الجيش النظامي الَّذي يقتل النَّاس بغير حق، يستعبد النَّاس بغير حق، يقتل النَّاس في الشوارع، ويقتل النَّاس في البيوت، يقتل المدنيين، يقتل الشيوخ الكبار، يقتل النساء، يقتل الأطفال: الأطفال الرُّضع، الأطفال الصغار، لا يبالي بمن يقتل لأنَّه لا قلب له، لأنَّه لا إيمان له، و«**لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهد له**»[1]، ليس عندهم أمانة، وليس عندهم عهد ولا عدل، وليس عندهم خوف من الله، ولا حياء من الناس.

دعونا هؤلاء النَّاس في الجيش السوري أن يتركوا هذا الجيش، ولا زلت أدعوهم إلى اليوم وإلى الغد وفي كل حين: أن يخرجوا من هذا الجيش، ألا يقتلوا إخوانهم، لا يقتلوا شعبهم، لا يكونوا أداة في يد هؤلاء الَّذين يعبثون بالشعب السوري، وبمقدرات الشعب السوري، وبأبناء الشعب السوري، لا يمكن لإنسان هو عضو في هذا الجيش أن

(١) رواه أحمد (١٢٣٨٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو يعلى (٢٨٦٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

يرضى لنفسه أن يكون أداة من الأدوات يسخرها النظام كما يشاء، هذا ما أدعو إليه أبناء الجيش السوري.

وأرى أنَّ الشعب السوري سينتصر إن شاء الله، وها هو العالم يرحب بهذا الاتِّحاد الجديد، وقطر تناديه أن يُكوِّن له سفراء، وقطر أوَّل من رحبت بسفير لهذا الاتِّحاد فيها، نحن نرى أنَّ الشعب السوري مظلوم، والمظلوم لا بدَّ أن ينتصر، والظالم لا بدَّ أن ينهزم، النبي ﷺ يقول: «**ثلاثة لا تُردُّ دعوتُهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبوابَ السماء، ويقول الربُّ: وعِزَّتِي لأنصُرَنَّكِ ولو بعد حين**»[1].

سينتصر هذا الشعب، والله سينتصر هذا الشعب المظلوم، الشعب الَّذي دافع عن حريته وبذل الآلاف، وهُدِّمت بيوته، وهُدِّمت مساجده، وهُدِّمت كل أملاكه، هذا الشعب سينتصر، وسيثأر لنفسه من هؤلاء الظلمة الجائرين المستكبرين في الأرض الَّذين لا يخافون الله ولا يستحيون من الناس، سيأتي يوم يراهم النَّاس وقد ذلوا وخضعوا، وأصبح النَّاس يأخذون منهم ثأرهم بأيديهم، والله إن هذا سيحدث، وسنُصَلِّي في المسجد الأموي إن شاء الله، سيُصَلِّي الثائرون وكل من يناصرهم وأنا أولهم، في المسجد الأموي إن شاء الله، نصلي صلاة الشكر على انتصار المؤمنين، وانهزام الظالمين الجائرين، وما ذلك على الله بعزيز!

وقفة مصريَّة من أجل غزَّة:

ثم لا بدَّ أن نتحدث أيُّها الإخوة عن مصر، مصر الَّتي وقفت مع إخوانها في غزَّة، لم تخذلهم كما كان يفعل حسني مبارك ورجاله، الَّذين

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

QaradawiBooks.com

كانوا ينصرون الجيش الإسـرائيلي المقاتل على إخوانهم في غزَّة، كما حكى لنا إخواننا من أبناء حماس وأبناء الجهاد حينما كانوا يجلسون مع عمر سليمان وأمثاله ممن كانوا يمثلون الدولة المصريَّة الظالمة، يريدون أن يرغموهم على أن يقبلوا ما تريده إسرائيل.

الآن أبَى الرئيس مُحَمَّد مرسـي أن يقبل ذلك، وأرسل رئيس وزرائه إلى غزَّة، وفتح المعابر لتصل بالناس إلى تمويل إخواننا في غزَّة، وذهب الإخوة جماعـات جماعات إلى غزَّة، حتَّى اسـتجابوا أخيـرًا لمطالب الإخـوة؛ كما سـمعنا مـن الأخ المجاهد خالد مشـعل فـي مؤتمراته الصحفية، الَّتي شـرح فيها الأوضاع، وكان معه في بعضها الأخ رمضان عبد الله شلح، كل هؤلاء بينوا لنا الموقف المصري الرائع، وظل مُحَمَّد مرسـي يجادل هؤلاء الَّذين يدافعون عن إسـرائيل الأمريكان وغيرهم، وقف لهم بالمرصاد يبين الحق من الباطل؛ حتَّى نصره الله ﷻ.

كان هذا أمرًا من الأمور الَّتي ينبغي أن نشكر الله تبارك وتعالى عليها، حينما يقف أهل الإيمان وقفة الرجال الأبطال الَّذين لا يحنون الرؤوس، ولا يطأطؤون الظهور، ليسوا مطايا تُركب، إنهم رجال لا يخافون إلَّا الله، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحـزاب: ٣٩]، كانت هذه وقفة الرئيس مُحَمَّد مرسي ومعه الرئيس أردوغان، ومعه الأمير حمد بن خليفة، كانت وقفة رجال أمام هذا الصَّلَف والاستكبار الإسرائيلي، وإنَّما استكبرت إسـرائيل لأنَّها لم تجد من يقف لها بالمرصاد، من يقول لها: نحن هنا، ونحن مسـتعدون للبذل والتضحية، لسـنا مسـتعدين لحني الرؤوس وطأطأة الرقاب. لا، فكان لا بدَّ من هذا الموقف الَّذي رأيناه.

QaradawiBooks.com

ثم رأينا موقفًا آخر هو موقف الرئيس مُحَمَّد مرسي من القضايا الداخليَّة في مصر، لقد وقف وقفة الرجال الأبطال الَّذين لا يخشون من المهاترات، وإنَّما يفعلون الفعل الَّذي يطلبه النَّاس ويحتاجونه، انتهت فترة النائب العام السابق، وعيَّن الرئيس نائبًا جديدًا، من حقه أن يعين نائبًا جديدًا ولا يظل يربت على كتف النائب السابق الَّذي كان ينبغي منذ ذهب حسني مبارك: أن يذهب معه، كان مقتضى الأمر أن يذهب معه؛ لأنَّه هو الَّذي جاء به، ولكن الرئيس مُحَمَّد مرسي لم يستخدم معه هذه اللغة، وتركه يبقى حتَّى ينتهي وقته ثمَّ يُعين رجلًا آخر، ليس عليه ما على هذا النائب، عيَّن رجلًا كانت له وقفته المشهودة ضد تزييف الانتخابات في سنة ٢٠٠٥م فكان المستشار طلعت إبراهيم هو النائب الجديد.

ملاحظات على مسودة الدستور المصري:

وأصدر الدكتور مرسي قرارات أخرى مهمة، تبقى اللجنة التأسيسية شهرين زائدين لتستكمل فيها أمور الدستور الَّذي صنعت فيه مصر ما لم يصنعه أحد، غيَّرت مواد كثيرة جدًّا إلى مواد رضيها الجميع ووقَّعوا عليها، حتَّى الَّذين انسحبوا مؤخرًا وقعوا على هذه المواد ثمَّ رجعوا عن كلامهم، هناك أناس لا يريدون أن يقبلوا الحق، وإنَّما لا يقبلون إلَّا الهوى، هوى أنفسهم، أو هوى من يسيرهم من غيرهم، والهوى شر إلٰه عُبد في الأرض. كما قال ابن عباس[1]، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

(١) المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أراد الدكتور مُحَمَّد مرسي أن يتيح الفرصة ليستكملوا الدستور كما يجب أن يكون، وكما يحب المصريُّون، وقد أرسلت إليهم من قطر ملاحظاتي على الدستور بعد أن رأيت آخر نسخة منه، وقلت لهم: إنِّي أرى أن هناك نقصًا في هذا الدستور يجب أن يُستكمل. وقرأ رسالتي عليهم المستشار الغرياني رئيس هذه الجمعية الدستورية.

إنِّي أرى أنَّ الدستور ينقصه بعض الأمور لم يلتفت إليها أحد، الدستور لا ينص على أهمية الإيمان بالله ﷻ، لا يوجد في الدستور نص يهتم بالإيمان بالله، يقول: المجتمع يقوم على الحرية والعدل وكذا وكذا. قلت لهم: يجب أن يقول: إنَّ المجتمع المصري يقوم أوَّل ما يقوم على الإيمان بالله ﷻ. فالإيمان هو القيمة الكبرى، قبل الحرية، وقبل العدالة، وقبل المساواة، وقبل هذه الأمور، نحن لسنا مجتمعًا كافرًا، لسنا مجتمعًا ملحدًا، كلنا إما مسلمون أو نصارى، وكلنا نؤمن بالله، لماذا لا يُذكر الإيمان بالله كأصل من الأصول؟

ذكرت لهم هذا، ولكن الَّذين يعيشون في هذه الجمعية مزعزعون يخافون من الَّذين يقفون ضدهم، كل شي يقفون ضدهم فيه، فهم يخشون منهم، لا يريدون أن يصارحوا! يا جماعة هذا أمر لا خشية فيه، هل يقف أحد ضد الإيمان بالله؟ لماذا لا نقول: مجتمعنا يقوم أوَّل ما يقوم على الإيمان بالله؟ هل يستحي أحد من هذا؟ هل نحن مجتمع يجحد الله ﷻ ويجحد رسالاته؟ لماذا لا نقول: إن هذا المجتمع يؤمن بالله وباليوم الآخر وبرسالات السماء كلها؟ للأسف لا يوجد هذا في نسخة الدستور الحالي.

الدستور الحالي أيضًا قال: لا يجوز الاستهانة أو الاستهزاء بالأنبياء. وأنا قلت لهم: إن هذا كلام طيب جدًّا، ولكن لا بدَّ لنا أن نقول: مثل

QaradawiBooks.com

موسى عليه السلام، والمسيح عيسى عليه السلام، ومحمد عليه السلام. تصوروا أن هذا الدستور لا يذكر كلمة (محمد) في أي مادة من المواد، مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، صاحب هذا الدين، ونبي هذه الأمة، وهي أمة تَخْرج بمئات الملايين في الشرق والغرب من أجل صورة أو رسم يسيء إليه، ما بالكم لو أن أحدًا قال لهم: ومن مُحَمَّد هذا؟ دستوركم لا يعرف محمدًا. كيف لا يُذكر مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام؟ لا بدَّ من ذكره في هذا الدستور، ولا مانع أن نذكره مع موسى وعيسى؛ فنحن نؤمن بهؤلاء الأنبياء جميعًا.

ويجب أن نذكر المُقَدَّسات جميعًا، افرض واحد مزَّق القرآن، أو داس على القرآن، أو بال على القرآن، أليس هذا ممَّا يغضب له المسلمون؟ المفروض أن تكون مقدسات الأديان جميعًا تكون موضع احترام عند الجميع حتَّى الوثنية، لا نعيب مقدسات الوثنية، نحن نؤمن بالله ونرفض الشرك، ولكن نقر أصحابه على ما هم عليه، نحن نرى كلما قام النَّاس من أجل صورة مسيئة أو شيء من هذا يقول الآخرون: هذا حق التعبير. ولكن التعبير لا يجوز أن يدوس على مقدسات الأديان، النَّاس تقاتل عن دينها، ويمكن أن تدفع بالآلاف من أبنائها لتقتل من أجل الدين، فلماذا لا تُحترم مقدسات الأديان؟ اكتب وارسم ما شئت، ولكن ابعد مقدسات الأديان، ولكن إخواننا لم يستجيبوا لهذا للأسف الشديد.

وأنا اعترضت أيضًا على القسم، المفروض أن هناك قسم يقسم عليه رئيس الدولة، ويقسم عليه رئيس الوزراء والوزراء وأعضاء مجلس النواب والشيوخ والقضاة والموظفون الكبار: أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن أحافظ على استقلال الوطن ووحدة وسلامة أراضيه. هذا القسم له كفارة عندنا

QaradawiBooks.com

نحن المسلمين، لو حنث أحدهم في هذا القسم ماذا عليه؟ يطعم عشرة مساكين، أو يصوم ثلاثة أيَّام؛ إذا لم يكن قادرًا، وانتهى الأمر! وبهذا يستطيع كل إنسان أن يحنث في قسمه.

ولذلك غيَّرنا في دستور الإخوان من قديم، وغيرنا دستور الصحَّة العالميَّة من حوالي بضعة عشر سنة، قلنا لهم: بدل أن يقول: أقسم بالله كذا. يقول: أتعهد وألتزم بمقتضى إيماني بالله العظيم: أن أحترم كذا وكذا. هذا هو الَّذي ينبغي، وحتى الأشياء الَّتي أقسموا على احترامها، الدستور والقانون والحفاظ على سلامة الوطن ووحدته، فقط هذا؟ أين رعاية الإيمان، ورعاية القيم، ورعاية الأخلاق، ورعاية الأديان؟ لا بدَّ أن يشمل القسم كل الأمور المهمة الَّتي يؤمن بها أبناء الشعب جميعًا.

هذا ما قلته لهم، ولا زلت أقوله وأصرّ عليه، وأرى أن هذه أمور مهمة يجب على المؤمنين أن ينادوا بها، وأن يدعو إليها معي، نحن لا نريد أن نفرض على النَّاس شيئًا غريبًا عنهم، ولكن ننادي بما يؤمنون به، ولا ينبغي أن يخاف النَّاس بعضهم من بعض؛ لأن هذا الخوف يُضيِّع عليهم أمورًا كثيرة، ينبغي أن نقول الحق لا نخاف في الله لومة لائم، كل ما نعتقد أنَّه حق ونؤمن به: ندعو إليه إخواننا، وندعو إليه غيرنا؛ حتَّى يعيش النَّاس في سلام مطمئنين، هذا ما ندعو إليه الآخرين، كل الآخرين: مسلمين ومَسيحيِّين، ولا أدري لماذا خرج المسيحيون من هذه الجمعية التأسيسية، وكل ما يطلبونه يُحقق لهم، وهم متفاهمون مع الإسلاميِّين تمامًا، لا يجوز لأهل مصر أن يصبحوا بعضهم ضد بعض، بل ينبغي أن يكون الجميع سواسية كأسنان المشط الواحد، يحب بعضهم بعضًا، ويحترم بعضهم بعضًا، ويقر بعضهم لبعض، حتَّى يعيشوا

غير مرخصة للطباعة

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

اللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى، اللهمَّ إنَّا نسألك أن تعز الإسلام وتكرم المسلمين، اللهمَّ وَحِّد كلمة العرب والمسلمين، اللهمَّ وَحِّد كلمة الإخوة الفلسطينيِّين، اللهمَّ وَحِّد كلمة المصريِّين، واجمعهم على كلمة سواء، اللهمَّ اجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، والنيات على الجهاد في سبيلك، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ انصُر إخوتنا في غزَّة، وانصر إخوتنا في سوريا، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهمَّ انصر إخوتنا في مصر، وإخوتنا في تونس، وإخوتنا في ليبيا، وإخوتنا في اليمن، وإخوتنا في كل مكان يا ربَّ العالَمِين.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم، وصلِّ اللهمَّ على عبدك ورسولك مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢٠

الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٤)[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ما زلنا مع الموضوعات الَّتي يطرحها القرآن الكريم، وقد طرحنا في الأسابيع الماضية عن الملوك والحُكَّام في القرآن، ذكرنا من الملوك الَّتي أثنى عليهم القرآن وعلى عدالتهم، وعلى قيامهم للنَّاس بالقسط: داود وسليمان عليهما السلام، وذكرنا أيضًا من الملوك من أهل العدل وإن لم يكونوا من أهل الإيمان قصَّة الملكة العربيَّة بلقيس ملكة سبأ باليمن الَّتي أسلمت مع سليمان لله ربِّ العالَمِين.

ذو القرنَيْن:

ووقفنا عند ملك مهم من هؤلاء الملوك، الَّذين وصفهم القرآن بأنَّهم من أهل الحق والعدل، وأهل الخير والصلاح، وهو الملك الَّذي سمَّاه القرآن (ذا القَرْنَيْن)، وهو المذكور في سورة الكهف، وهي السورة الَّتي ذكر الله فيها عددًا من الصالحين منهم فتية أهل الكف، هؤلاء الشباب

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الصالحون، ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، هؤلاء الَّذين هجروا قومهم وذهبوا إلى هذا الكهف، وظلُّوا فيه ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي، وازدادوا تسعًا بالتقويم القمري، هؤلاء ذكرهم القرآن، وذكر القرآن صاحبي الجنتين، وذكر القرآن كذلك قصَّة موسى والخضر عليهما السلام.

وذكر أيضًا في آخر السورة قصَّة هذا الملك، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٥]. مَن الَّذين سألوا عن ذي القَرْنَيْن؟ يُقال: إنَّ الَّذين سألوا هم اليهود. ويقال: إنَّ الَّذين سألوا هم قريش حينما سألوا اليهود عن أمر مُحَمَّد فقالوا: اسألوه عن كذا وكذا. فسألوه عن ذي القَرْنَيْن[١].

حقيقة ذي القَرْنَيْن:

وهنا نجد المُفَسِّرين اختلفوا في أمر ذي القَرْنَيْن، فمنهم من قال: إنَّه هو الإسكندر الأكبر، الإسكندر المقدوني المعروف بفتوحاته وانتصاراته في المشرق والمغرب. وبعض المفسرين جزم بأن ذي القَرْنَيْن هو الإسكندر[٢]، ولكن من يعرف سيرة الإسكندر يعرف أنَّه ملك وثني، لم يكن هو ولا مملكته في مقدونيا وفي بلاد اليونان يعرف التوحيد، ولا يعرف النبوة، ولا يعرف كيف يعبد الله عزَّ وجلَّ، فكان يعبد الأصنام، ولذلك يستحيل أن يكون الإسكندر هو الملك الَّذي مكَّن الله له في

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٠١/١، ٣٠٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢٧٠/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠٥/١٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٤٤٨/٦)، تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

الأرض، والذي جاء في ذكره: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]. إلى آخره، ممَّا يدل على أنَّه ملك مؤمن، فلا يكون أبدًا الإسكندر المقدوني، ولا ملكًا من ملوك اليمن في ذلك الوقت، لأنَّهم كانوا ملوكًا وثنيين، فهذا الملك غير هؤلاء، ولذلك يقول الله تعالى عن ذي القَرْنَيْن: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤]. تمكين الله للملوك في الأرض لا يكون إلَّا للمؤمنين، وللمؤمنين بعد أن يُبتلوا.

الابتلاء يعقبه التمكين:

بعض الصوفية والصالحين اختلفوا فيما بينهم: هل الأولى للمؤمن أن يُبتلى أم يُمكَّن؟ فقال الإمام الشافعي: وهل يُبتلى إلَّا بعد أن يُمكَّن؟ إنَّ الله ابتلى بني إسرائيل ثمَّ مكَّنهم(١).

ابتلى الله بني إسرائيل بفرعون وملئه فأذاقوهم من العذاب ما أذاقوهم، ثمَّ مكَّن الله لهم في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦]، ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وابتلى الله سيِّدنا يوسف عليه السلام ابتلاءات شديدة مع إخوانه، ومع امرأة العزيز، وفي السجن، ابتلاءات بعد ابتلاءات، ثمَّ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]،

(١) إحياء علوم الدين (٢٦/١).

QaradawiBooks.com

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٦]. فتمكين الله لعباده دلالة على رضاه عنهم، وأنَّهم من أهل الإيمان، فالله هو الَّذي مكَّن لهذا المَلِك في الأرض، ممَّا يدل على أنَّه ملك مؤمن، وهو ما تدل عليه الآيات الَّتي ذكرت قصته في سورة الكهف.

ربط الأسباب بالمسببات:

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤، ٨٥]. من سُنَّة الله تعالى في الكون أنَّه ربطه بشبكة الأسباب والمُسَبَّبات، كل شيء في الدُّنْيا له سبب، هذه سنة الله ﷻ، فمن أراد أن يصل إلى الأشياء بغير أسبابها فقد خالف سُنَّة الله، ومن خالف سُنَّة الله لا يمكن أن تؤتيه شيئًا، فهذا المَلِك هيَّأ الله تعالى له الأسباب وآتاه إيَّاها، فاتَّبع الأسباب ومشى وراءها.

رحلة إلى المغرب:

كان لهذا الملك العظيم رحلات ثلاث في الأرض: رحلة إلى الغرب، ورحلة إلى الشرق، ورحلة إلى الوسط في الشمال، يقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]. وصل في ناحية المغرب إلى مكان ينظر إليه الناظر فيُخيل إليه أنَّ الشمس غربت في هذه العين، هناك قراءة تقول: (**عين حامية**): أي حارة، وقراءة تقول: ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي فيها الطينة السوداء، هذا في نظر الرائي طبعًا، وإلا فالشمس لا تغرب في عين!

حينما تقف أمام البحر يُخيَّل إليك أنَّ الشمس غطست في البحر، وإذا كنت في مكان أخضر يُخيَّل إليك أنَّها دخلت في الخضرة،

QaradawiBooks.com

وهكذا، فهو خُيِّل إليه أنَّ الشمس دخلت في هذه العين الحمئة أو العين الحارة.

الملك العادل:

ووجد عند هذه العين قومًا من الأقوام، أمة من الأمم، ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]، قالوا له ما يُقال للأباطرة والملوك الكبار الفاتحين، إذا فتحوا بلدًا: ماذا تعمل في هؤلاء الناس؟ هؤلاء النَّاس غُلبوا على أمرهم وسلَّموا للفاتحين؛ فماذا أنت فاعل فيهم؟ ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ من يستحق التعذيب ممن أفسد في الأرض، ممن لوَّث الحياة، ممن اقترف آثامًا وجرائم، ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، تعفو عنهم، وتفك أسرهم، وتجبر كسرهم!

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ [الكهف: ٨٧]، منهجنا أننا لا نترك المسيء والمفسد؛ بل نأخذه بذنبه، نعذبه في الدُّنْيا، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧]، نحن لا نملك إلَّا عذاب الدُّنْيا، أمَّا عذاب الآخرة فالذي يملكه هو ملك الآخرة، وهو ملك الدُّنْيا وملك كل شيء: الله ﷻ، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ومن أفسد في الأرض: من سرق الأموال، ومن نهب الأرزاق، ومن قطع الأعناق، ومن قتل الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، وفعل ما فعل، هذا يستحق عذاب الدُّنْيا وعذاب الآخرة، عذاب الدُّنْيا لنا، وأمَّا عذاب الآخرة فهو إلى الله.

كما وجدنا القرآن يقول عن قطاع الطرق: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]. فهكذا قال ذو القَرْنَيْن:

QaradawiBooks.com

في الدُّنْيا نعذبهم، وفي الآخرة نـــكل أمرهم إلى الله ﷻ، هذا لمن بقي على دينه، نؤاخذه على إجرامه، ونترك دينه لله ﷻ.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الكهـف: ٨٨]، من آمن بما آمنا به، وكان ذو القَرْنَيْن كما قال العلامة الهندي أبو الكلام آزاد[١]: إن ذا القَرْنَيْن كان على دين زرادشت[٢]. وزرادشت قالوا: إنَّه كان نبيًّا، وكان له كتاب، ولكن رُفع كتابه، وكان يدعو إلى التوحيد، وإن حُرِّفت ديانته فيما بعد، وأُدخلت فيها الشـــركيات والوثنيات بمرور الزمن[٣]، قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٨، ٨٩].

رحلة إلى المشرق:

بعد أن تعامل مع هؤلاء النَّـــاس في المغرب، اتخذ أســـبابًا أخرى ورحل إلى المشرق، كان رجلًا فاتحًا، الأرض ممهدة له، ينتقل من مكان إلى مكان، لم تكن هناك سيارات ولا قطارات ولا طائرات، ولا ما نعرفه في هذا العصر، كان النَّاس يتنقلون مشـــيًا على أرجلهـــم أو ركوبًا على الدواب والحيوانات، لكنَّه كان ينتقل في شهور أو سنوات من مكان إلى آخر، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٨٩، ٩٠]، ليس بينهم وبين الشمس فارق.

---

(١) أحد كبار علماء الهند، وسكرتير حزب المؤتمر في الهند، وكان حزبًا كبيرًا يضم المسلمين وغير المسلمين، وكان الشيخ أبو الكلام الأمين العام لهذا الحزب، لم ينضم إلى الَّذين طلبوا بالانفصال عن الهند، وكان يرى أن يبقى المسلمون في الهند، واجتهد إخواننا المسلمون في الهند اجتهادات، اختلف فيها بعضهم عن بعض. وكان أبـــو الكلام آزاد عالمًا من علماء الإســـلام الكبار، يعرف الإسلام، والفقه الإسلامي، والتفسير، والحديث، والتاريخ، تاريخ الأمم وتاريخ اللغات.

(٢) انظر: ويسألونك عن ذي القرنين صـ١٥٨، نشر دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

(٣) تفسير ابن كثير (٤٤٥/٢).

QaradawiBooks.com

البعض يقول: كانوا عُراة؛ فكثير من النَّاس كانوا يعيشون عُراة، خصوصًا في أفريقيا أو بعض هذه البلاد، على ما خلقهم الله ﷻ، وحينما ذهب الإسلام إلى هذه البلاد كساهم، علَّمهم أنَّ الله ﷻ خلق النَّاس عراة، وعليهم أن يكسو أنفسهم، وأنَّ الشيطان هو الَّذي يريد أن يُعرِّي الإنسان، فالإنسان لا يجوز أن يظل عاريًا؛ سواء كان رجلًا أو امرأة، فعلَّمهم الإسلام أن يكتسوا، وأن يلبسوا ملابس المفروض أنَّهم يصنعونها عن طريق (المكوكات) الَّتي كنا نراها في الريف، هكذا علَّم الله النَّاس من قديم أن ينسجوا لأنفسهم الثياب.

هكذا وجد ذو القَرْنَيْن قومًا ليس بينهم وبين الشمس سترًا أو كانوا عراة، كلا الأمرين وارد، ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾، وتعامل مع هؤلاء النَّاس بما يتعامل الفاتحون مع البلاد المفتوحة، وخصوصًا إذا كان هذا الفاتح من أهل الإيمان، وجربنا الرجل وعرفنا ماذا فعل مع هؤلاء القوم الَّذين كانوا في المغرب؛ فما ظلمهم، وما آذاهم، ولكن عامل المجرمين منهم بما يستحقون؛ لأن ترك المجرمين دون عقوبة يزيد الفساد في الأرض، لا بدَّ من عقاب المجرم، فمن أمن العقاب ازداد في الفساد، فكان لا بدَّ أن يؤدب المجرمين، ويكافئ المحسنين، ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى في الدُّنْيا، وزيادة في الآخرة في الجنَّة، أو الحسنى هي الجنَّة، والزيادة هي رؤية الله ﷻ، فلا بد أن يُكافأ المحسن وأن يُعاقَب المجرم.

رحلة بين السدين:

ثم قام هذا الملك ذو القَرْنَيْن برحلة ثالثة، قالوا: إنَّها كانت ناحية الشمال. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]،

في منطقة بين سـدين وجد قومًا لغتهم مختلفة عن لغات الناس، ليست لغة مكتوبة ولا مقروءة، ولذلك لا تستطيع أن تفهم منهم ما يقولون، وليس من السهل أن يعلموك لغتهم، وليس من اليسـير أن تتعلم هذه اللغة إلَّا في زمن طويل، ففهم منهم على كل حال، على الرغم من تعنت هذه اللغة وما فيها من صعوبـات، ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهـف: ٩٤]، قوم يأجوج ومأجوج قبائل همجيـة، هؤلاء قوم عندهم أسـلحة، ويغيرون على جيرانهم، يُفاجئ هؤلاء الجيران من حولهم بهجماتهم، ما بين كل حين وآخر يهجمون على البلاد، وهجمات هؤلاء خطيرة، إنهم يقتلون الأنفس، ويأخذون المواشـي، ويقتلعون المزروعات، ويحرقون الأشياء، ويفسدون في الأرض فسادًا كبيرًا.

يأجوج ومأجوج:

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، يقولون هذا لذي القَرْنَيْن، نحن مبتلون بأناس يغيرون علينا، ويهجمون علينا باستمرار، ويفسدون في الأرض، كلما زرعنا شيئًا أفسدوه، وكلما ربينا حيوانات قتلوها، فهل نعطيك قدرًا من المال ﴿عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾؟ فماذا كان موقف هذا الملك العادل؟

فأعينوني بقوة:

قال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]. قال لهم: أنا لست محتاجًا إلى المال، الله مكنني في الأرض، وآتني من الغِنَى ومن المال، ما لست معه في حاجة إليكم. فهو ليس من الَّذين يشـتهون المال، ويركضون وراءه، فهو مثل سـيِّدنا سـليمان حينما أرسـلت إليه ملكة سـبأ بالهدية قال:

QaradawiBooks.com

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ۞ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦، ٣٧].

فملوك الدُّنْيا يشتهون المال، ويلهثون وراءه، ولكن ملوك الدُّنْيا الَّذين يعملون للآخرة، ملوك الدُّنْيا المؤمنين، هؤلاء لا تتعلق قلوبهم بالمال، فالرجل قال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥]. قال لهم: أنا لا أريد منكم مالًا، ولكن أعينوني بقوة. الملوك والحُكَّام العادلون يحتاجون دائمًا إلى معونة الشعوب، فمهما كان الملك قويًّا لا يستغني عن مساعدة شعبه في المشروعات الكبرى.

الذي يظن أنَّه يستطيع بما عنده من مال أو كذا أن يقوم بمشروعات وحده مخطئ، لا يستطيع أن يقوم بأي مشروع ناجح؛ إلَّا إذا كان الشعب معه، وكان وراءه، وكان يؤيده بكل ما يستطيع، ولذلك قال ذو القَرْنَيْن: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥]. قوَّة من الشعوب، قوَّة من العمل، أنا محتاج إلى قوَّة فهي أمر مهم جدًا، ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، القوة في هذه الأحوال لا بدَّ منها، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، أجعل سدًّا وردمًا وحاجزًا بينكم وبين هؤلاء القوم المفسدين، الَّذين أتعبوكم طوال السنين والعصور الماضية.

بناء السد الَّذي يمنع المعتدين:

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، ما هي القوة الَّتي يريد أن يعينوه بها؟ زُبَر الحديد: قطع الحديد القديم المنثور في الأرض، كل الأدوات القديمة، عندكم محاريث، عندكم فؤوس، هاتوا أي قطع حديدية مُلقاة على الأرض في كل مكان، فنحن محتاجون إليها الآن، اجمعوها من

غير مرخصة للطباعة
نسخة ليه

كل مكان، وجاؤوا بهذه القطع، أَشْغلهم بالعمل، بدلًا من أنَّهم أرادوا فقط أن يدفعوا له مالًا ليحميهم، لا، هذا عمل الشعوب الضعيفة، الَّتي تريد أن تدفع مالًا ولا تعمل، لا، بل اعمل، وأحسن العمل، واشتغل واحم نفسك، هات الحديد من كل مكان، ساعد هذا الملك العادل، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]، هما صدفان وضع الحديد بينهما فكانا في مستوى واحد، ﴿قَالَ ٱنفُخُوٓاْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]، أحمى النَّار على قطع الحديد هذه فصارت نارًا كلها، تتقد أمامه بالحمرة والشرر.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، القطر: هو النحاس المذاب، فإذا وُضع على الحديد المُحمَى عليه يزداد قوَّة وصلابة ومتانة، وهذا من الخبرة الَّتي عرفها هذا الملك، فأفرغ عليه القطر حتَّى استوى وأصبح سدًّا منيعًا، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، لم يستطيعوا أن يعلو عليه لأنَّه عالٍ، لا يستطيعون أن يصعدوا عليه، ولا أن يحملوا معهم أسلحة أثناء الصعود، ولم يستطيعوا أن ينقبوه لأنَّه أصبح متينًا.

هذا رحمة من ربي:

حينما بنى هذا الملك العادل هذا السد؛ لم ينتفخ ولم يغترر، كما يفعل بعض النَّاس حينما يقيمون بعض المشاريع، يظن أنَّه أصبح ملك الدُّنْيا، وأصبح قادرًا على كل شيء، لا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف: ٩٨]، الله رحمنا وأكرمنا وتفضل علينا؛ فمكَّننا من إقامة هذا السد. وهذا شأن المؤمنين دائمًا: أنَّهم ينسبون الفضل إلى الله ﷻ، ولهذا حينما تمكن سيِّدنا سليمان من أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في لمح

QaradawiBooks.com

البشر، قبل أن يرتد إليه طرفه، قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. هكذا قال سليمان، وكذلك قال ذو القَرْنَيْن: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٨]. هناك وعد عند الله لا نعلمه، حينما يأتي وعد الله سيندك هذا السد، فهو ليس دائمًا إلى الا بد، والله أعلم كم يبقى من مئات السنين، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

هذا هو الملك ذو القَرْنَيْن، الملك الَّذي أقام العدل، وأنصف الشعوب المستضعفة من ظالميها القادرين عليها، الَّذين كانوا يتمكنون منها، ويفسدون في الأرض، ويأخذون ما ليس لهم بحق، هذا هو شأن الملك العادل، وهذا هو شأن ذي القَرْنَيْن.

وذو القَرْنَيْن كما قلت لكم من قبل في حديث سابق؛ نقلًا عن العلامة الشيخ أبو الكلام آزاد: إنَّه خروش أو كروش، أحد ملوك الفرس الَّذين كان لهم موقف، دافع عن اليهود واستطاع أن يخرج اليهود الَّذين كانوا محبوسين في بابل منذ أخذهم الملك الَّذي يسميه العرب (بختنصر)، أخذهم من فلسطين إلى بابل، بَقُوا سبعين سنة أو أكثر محرومين من أرضهم ومن توراتهم ومن التعبد كما يشاؤون.

فجاء هذا الرجل وفك أسرهم، وردهم إلى ديارهم، فكانوا مهتمين بهذا الملك الَّذي صنع لهم هذا الصنيع، ولذلك سألوا عنه. وقال أبو الكلام آزاد: إن هذا الملك هو الَّذي كان له فتوح في المغرب والمشرق والشمال، وامتدت فتوحاته، ووجدت له صورة كأن له قرنين، وأشياء كثيرة تشير إلى أنَّه ذو القَرْنَيْن[1].

(١) ويسألونك عن ذي القرنين لأبي الكلام أزاد صـ٨٤ ـ ٨٦، ١٢٦ ـ ١٤٠.

QaradawiBooks.com

القرآن يهتم بموضع العبرة لا بالتفاصيل:

على أنَّ القرآن لا يهتم بما يهتم به المؤرخون، لا يهتم عادة بذكر الحادثة في أي مكان كانت، وفي أي بلد، وفي أي تاريخ، ومَن أصحابها، وما أسماؤهم، ومَن هم الملوك، إلى آخره؟ لا يهتم بهذا لأنَّه لا يريد أن يدخلنا فيما يدخل فيه أهل التاريخ، إنَّه يريد أن يفتح قلوبنا على العبر الأساسية، العبر الكبرى الَّتي تتخذ من هذا التاريخ، فهذا ما جاء به القرآن الكريم.

الملك النمروذ:

وممن اهتم به القرآن ملك يسميه النَّاس (النمروذ)، وجاء ذكره في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. هذا من الملوك الظلمة، فكما ذكر لنا القرآن الملوك العادلين: ذكر لنا الملوك الظالمين، وهذه سنة الله، هناك العادل وهناك الظالم، هناك الصالح وهناك الفاسد، هناك الطيب وهناك الخبيث، ويعامل الله كلًّا منهم بما يستحق، هذا الملك لم يسمه القرآن، ولذلك نحن لا يهمنا اسمه، سواء كان هو النمروذ أم لم يكن هو، إنَّما ذكر القرآن أن سيِّدنا إبراهيم حاجَّه وجادله في ربه، ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾.

فبهت الَّذي كفر:

إبراهيم قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾. فقال هو: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾. وجاء باثنين من الطريق وقال: حكمت عليهما بالإعدام. وأمر

QaradawiBooks.com

السـياف أن يضرب رأس أحدهما، وقال: هذا أنا أمته. وعفا عن الآخر، وقال: هذا أنا أحييته، فأنا أحيي وأميت!

فلم يرد سيِّدنا إبراهيم عليه السلام أن يمشي معه في هذه الطريق، فقال له: اترك هـذا الأمر؛ لأنَّنا لا نريد أن ندخل في جـدل لا ينتهي. وأخذه في طريـق آخـر، قـال لـه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾. قال له: كل يوم ربنا يخرج لنا الشمس من هذه الجهة، ويغيبها في هذه الجهة، فاعمل أنت عكس هذا! ﴿فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾. لم يستطع طبعًا أن يغير النظام الَّذي وضعه الله للكون؛ لأنَّه نظام مترتب بعضه على بعض، فلا يسـتطيع أحد أن يغير هـذا؛ إلَّا أن يغير النظام الكلي، وهذا لا يملكه إلَّا الله عز وجل، فبهت الَّذي كفر، وانقطع هذا الرجل الظالم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا للتي هي أقوم، وأن ييسر علينا فهم القرآن، والاعتبـار بالقرآن، والانتفاع بالقرآن؛ إنَّه سـميع مجيب، أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

اعتبار فلسطين عضوًا مراقبًا في الأمم المتحدة:

في هذه الليلة بعد منتصف الليل أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة: بأن تكون فلسطين عضوًا مراقبًا في الأمم المتحدة، كانت كيانًا مراقبًا، فأصبحت الآن عضوًا مراقبًا، وننتظر إن شاء الله أن تكون عضوًا كاملًا، الَّذي يمنعها من ذلك هو الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة حليفة إسرائيل الإستراتيجيَّة، فهي لا تريد أن تكون فلسطين دولة كاملة، استخدمت حق الفيتو بالامتناع عن قبول هذا الأمر، أصبحت فلسطين عضوًا ـ وإن لم يكن كاملًا ـ له الحق في أشياء كثيرة، ولذلك فرحنا وفرح الفلسطينيُّون كل الفلسطينيِّين، في غزَّة، وفي رام الله، فتح، وحماس، وغيرهم.

كل الفلسطينيِّين أصبحوا مستبشرين بهذا الأمر، ونحن مستبشرين بهذا الأمر، لأن كل حق نصل إليه نفرح به، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، هو بمثابة إعطاء شهادة ميلاد للفلسطينيِّين؛ كما قال محمود عباس، للاعتراف بأنَّه أحياء موجودون، هم موجودون ولكنَّهم لا يعطونهم شهادة، الآن أعطوهم إيَّاها، ولا بدَّ أن يأتي يوم إن شاء الله يحصلون فيه على حقهم، فهذا أمر لا ريب فيه ولا بدَّ منه.

فلسطين موجودة قبل هؤلاء الإسرائيليِّين، الَّذين لم يكن لهم في هذا الأرض أي شبر واحد، قبل قرن من الزمان لم يكن لهم فيها أي

QaradawiBooks.com

شـــيء، ثمَّ أصبحوا يأتون إلى هذه البلاد علنًا وسرًّا، إلى أن أصبح لهم كيانات وجمعيات ســرية وإرهابية، واســتطاعوا أن يقيمــوا دولتهم أو دويلتهــم، وظللنا عدة ســنوات فــي أوَّل الأمر نقول عليها (إســرائيل المزعومة) في صحافتنا وفــي إذاعاتنا ـ لم يكن هنــاك تليفزيون ـ ثمَّ سكتنا عن وصفها بالمزعومة؛ بعد أن أصبحت تركلنا وتضربنا، وأوشكنا أن نكون نحن المزعومين.

نحن نهنئ الإخوة في فلســطين كل فلســطين، في فتح وحماس والجهاد، وكل الفصائل الفلســطينيَّة بهذا الأمر، ونسأل الله تعالى أن يتم عليهم نعمته، وأن يقيمــوا دولتهم، وأن يحققوا آمالهم، وما ذلك على الله بعزيز؛ فالحق لا بدَّ أن ينتصر، والله ســينتصر الحق وإن طال الزمن، كل شيء له أوان، حينما يأتي الأوان، حينما تتهيأ الأمة للنصر، الأمة الَّتي تريد أن تنتصر لا بــدَّ أن تتهيأ للنصر، تتهيأ بالجهاد، تتهيأ بالبذل والتضحيــة، حينما تتهيأ بهذا هذا ســيحدث النصر، بعون الله تبارك وتعالى.

ثورة مصر:

وهناك في هــذه الليلة أيضًا وافقــت لجنَّة الدســتور المصريَّة على الدستور المصري الجديد، وهو دســتور لم ترَ مصر قط مثله، لم يوجد دســتور في مصر في وقت من الأوقات ـ لا في زمــن الملكية، ولا في زمن الثــورة ـ مثل هذا الدســتور، الَّذي حوى من القيــم والمبادئ في الحرية، والعدالة والحقوق، وما يحتاج إليه المصريُّون في كل النواحي.

أنا كانت لي ملاحظات على هذا الدســتور، ولكن لــم يُؤخذ بها، ولكن حتَّى لو لم يؤخذ بآرائي الَّتي أرى أنَّهــا مهمة: أن يكون الإيمان

QaradawiBooks.com

أســاس في الحياة المصريَّة مع الحرية والعدالة، وهناك أشــياء رأيتها، ولكن أرى أن ما حُقق في هذا الدستور شيء عظيم جدًّا، ويمكن بمرور الزمن أن نحقق اســتكمالا لهذا الدســتور، الأمم دائمًا تستكمل أمورها على مر السنين، ونحن لا نستطيع أن نحقق كل شيء مرَّة واحدة، ولهذا نحن نُسرُّ ونستبشر بما تم في هذا الدستور.

ونقول لإخواننا الَّذين انســحبوا من هذا الدســتور: ما كان لكم أن تنســحبوا، من حقكم أن تبقوا وأن تقولوا رأيكم، ولكن الانسحاب لن يؤدي إلى نتيجة، سُــيعرض هذا الدستور بعد هذا على الشعب، الشعب هو صاحب الكلمة الأخيرة، من حق هذا الشعب أن يرفض الدستور كله، وأن يقول: هذا الدستور لا يحقق لي ما أريد. وإذا قال هذا فلا بد أن يُعاد انتخاب جمعية أخرى ويُنظر في هذا الدستور وتُغيَّر مواد فيه وهكذا، هو الآن مشروع دستور، ولن يكون دستورًا إلَّا بعد أن يُستفتى الشعب عليه.

وهذا من الأشياء الَّتي استعجل عليها الدكتور مُحَمَّد مرسي الرئيس المصري حفظه الله، هو يريد لمصر أن تخرج من هــذه الفترة الانتقالية الَّتي تعيــش فيها، وهي حتَّــى الآن لم تدخل في عصــر البناء، وعصر الإنتاج، وعصر تكتيل القوى، مصر متأخرة تأخرًا طويلًا جدًّا عن الأمم الأخرى، فقد سُرقت أموالها بالتريليونات، ونُهبت ووزعت إلى الخارج، في حسابات اللصوص الكبار، الَّذين لم يُحاكموا بعد.

كان من الأشــياء الَّتي أرادهــا الدكتور مُحَمَّد مرســي في الإعلان الدســتوري: إعادة التحقيقات والمحاكمات للمتهمين في قتل الوطنيين الثائرين في ميــدان التحرير، الَّذين أفســدوا الحياة السياســية المصريَّة ولوَّثوها، والَّذين ســرقوا الأمة ونهبوها، والَّذين فعلوا الأفاعيل، هؤلاء

QaradawiBooks.com

الفلول الظَّلمة المستكبرون في الأرض حُوكموا وكانت النتيجة أنَّهم برآء براءة الذئب من دم بن يعقوب! لم يُعاقب منهم إلَّا رجلين: حسني مبارك، وحبيب العادلي وزير داخليته، وهو حكم أوَّلي يمكن أن يُستأنف ويُنقض.

ولهذا استبشع كل النَّاس ـ وأنا منهم ـ هذا الحكم ببراءة النظام الَّذي ظلَّ ثلاثين سنة يفسد في الأرض، ولا يُعاقب بأي شيء، هذا لأنَّهم أخفوا الأدلة، ولذلك يطالب كل الشعب بإعادة محاكمتهم، وأنا مع هذا أيُّها الإخوة، وإن كنت أرى أن ما قاله الدكتور مرسي في غاية الحق والعدل، أرى أن من حق النَّاس أن يُعارضوا، هذا ما جاءت به الشورى والحياة الديمقراطية، ولكن ليس من حقهم أن يُحاربوا!

لك أن تُعارض، أمَّا أن تأتي فتقاتل النَّاس في ميدان التحرير، أو تضرب بالمولوتوف، فهذا لا يجوز، هؤلاء النَّاس ليسوا من الوطنيين إطلاقًا، هؤلاء من فلول النظام السابق، الَّذي أفسد البلاد، وأذل العباد، هؤلاء لا يريدون لمصر أن تستقر وتنتج، وتدخل في حياة جديدة، ومصر تريد أن تدخل في حياة جديدة، وأن تستقر وأن يتغير حالها؛ بدل هذه الأعمال الَّتي تفسد حياة النَّاس وتعطل الإنتاج وتعوق استمرار العمل.

أنا أدعو المصريِّين أن يتحاوروا ويتناقشوا، ولكن بالحسنى، هل نحن أعداء أيُّها الناس؟ هل المصريُّون يعادي بعضهم بعضًا؟ المصريُّون طوال تاريخهم مسلموهم ومسيحيوهم، يمينيوهم ويساريوهم، أغنياؤهم وفقراؤهم: شعب واحد، يحب بعضه بعضًا، ويعاون بعضه بعضًا، لماذا نسمع لهؤلاء الفلول، الَّذين لا يريدون لمصر خيرًا والله أبدًا، هم ما يريدون لها إلَّا الشر، والله ما يريدون لهذا البلد أن يستقيم حاله، وأن

QaradawiBooks.com

يستمر أمره، قولوا لهؤلاء الناس: حرام عليكم ما تفعلونه بمصر، قولوا رأيكم، ولكن لا تفسدوا في الأرض، لا تذهبوا إلى مقرات الإخوان وتحرقوها وتحرقوا ما حولها، لماذا هذا؟! هذا كله من الفساد في الأرض، من هؤلاء الفلول الَّذين يريدون أن تخرب البلد.

ولا يمكن أن تخرب البلد، كل المصريِّين أيُّها الإخوة في الداخل وفي الخارج؛ بل كل العرب، بل كل المسلمين حريصون على مصر، مصر لها قوتها ولها هيمنتها، ولها تأثيرها في العالم العربي والعالم الإسلامي، فلا يجوز لنا أن نتخلى عنها أبدًا، نحن كلنا نقف مع مصر حتَّى تستقيم على أمرها، وحتى تحقق ما تريده، وهي قادرة على تحقيق ما تريده، اتركوها عدة أشهر، وهي والله ستأتي بالخيرات وراء الخيرات.

أسأل الله ﷻ أن يجعل يوم مصر خيرًا من أمسها، ويجعل غدها خيرًا من يومها، ويحسن عاقبتها في الأمور كلها، ويجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التُّقى، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

ثورة سوريا:

وأخيرًا أيُّها الإخوة هناك إخوتنا في سوريا، إنهم ينتصرون يومًا بعد يوم، صحيح خسر السوريون نحو أربعين ألفًا، هذا الَّذي يُعرف، ولكن هناك عشرات الآلاف مفقودة لا نعرف أين هي، هناك في السجون آلاف لا نعرف مصائرهم، وقُتل هناك من قُتل من الرجال والشيوخ، والنساء والأطفال، والأحرار والمدنيين، قتلهم أولئك الظلمة المفسدون في الأرض، ولكنَّا نقول لهؤلاء الناس: قرُب يومكم أيُّها الجائرون الجبارون المستكبرون في الأرض، ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]. قرُب يومهم إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

وأدعو الإخوة في الجيش النظامي: أن ينفصلوا عن هذا الجيش، وينضمُّوا إلى إخوانهم في الجيش الحرِّ، حرام على كل مسلم يخشى الله، ويحبُّ رسولَه، ويحبُّ إخوانه، ويتمنَّى لهم الخير، يحب لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه: أن يبقى في هذا الجيش الظالم، أريد من كل جندي مسلم أن يتخلى عن هذا الجيش، وينضم إلى الجيش الحر، كل مسلم يبقى في هذا الجيش يومًا واحدًا باختياره ـ وهو قادر على أن يتركه ـ سيحاسبه الله أشد الحساب، اترك هذا الجيش أيُّها الأخ السوري وانضم إلى الجيش الحر، وقاتل في سبيل الله هؤلاء الَّذين يقتلون الناس، الَّذين يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ، يقتلونهم بطائرات الميج في حواريهم وشوارعهم وفي بيوتهم وفي أماكنهم!

هؤلاء النَّاس لا يخافون خالقًا، ولا يرحمون مخلوقًا، فكُن ضدهم، كُن أيُّها المسلم السوري، وأيها المسلم العربي، وأيها المسلم في كل مكان، وأيها الإنسان الحر الشريف كُن ضد هؤلاء القتلة، لا تكن معهم أبدًا؛ فإن الله لا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين، وسيأخذهم أخذًا أليمًا شديدًا؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليُملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يُفْلِتْه**». ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][(١)].

اللهم هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ كُن لنا وليًّا ونصيرًا، اللهمَّ انصر إخوتنا في سوريا، وانصر إخوتنا في مصر، وانصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في كل مكان،

(١) سبق تخريجه صـ٦٣.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ انصر المجاهدين العاملين لك يا ربَّ العالَمِين، اللهمَّ من خذل أمته فاخذله، ومن خذل شعبه فاخذله، اللهمَّ أيِّد إخواننا في كل مكان يا ربَّ العالَمِين.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذِين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم، اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصُرْنا على القوم الكافرين.

اللهم مكِّن لنا في الأرض، وآتنا من كل شيء سببا، وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهمَّ إنَّا نسألك العفوَ والعافيةَ في دِينِنا ودُنْيَانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ روعاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خَلْفِنا، وعن أيْمانِنا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾	٤	٣٦٩
﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۞ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾	٥، ٦	١٥، ١٦، ٢٩
سورة البقرة		
﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾	٨	١٢٥
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾	٩	١٢٥
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾	٣٤	٧٩
﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾	٣٥	٧٨
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	٣٠، ٥٠
﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾	٧٤	١٨
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾	٨٣	١٦٥، ٢٤٠
﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	١١١	١٠٩، ١١٠
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾	١١٥	٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾	١٢٤	٣٤٨
﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾	١٢٦	٣٣
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ ﴾	١٢٧	٣٤، ١٧٤
﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾	١٢٩	٣٤، ١٧٥
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾	١٤٠	٢١٩
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	١٣٦، ٣٤٤
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾	١٦٥	٢٨٥
﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾	١٦٦	٥٢
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ ﴾	١٦٧	٥٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾	١٦٨	٢٦٣
﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	١٦٩	٢٦٣
﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾	١٧٧	٢٤٠، ٣٣٧
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾	١٨٠	٢٥١
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٧٢
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	١٨٦	٩
﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٩٥	٧٤، ٩٣، ٩٤
﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	١٩٧	٧٤
﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٠٠	١٤
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾	٢٠١	١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾	٢٠٨	٩٨
﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾	٢١٤	٤، ١٢٠
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ ﴾	٢١٥	٢٤٠
﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ ﴾	٢١٦	٩٨
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾	٢١٩	٩
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى ﴾	٢٢٢	٩
﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ﴾	٢٣٣	٢٤٢
﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ ﴾	٢٤٧	٣٢٩، ٣٣٦، ٣٤٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي ﴾	٢٤٩	٣٣٦، ٣٣٧
﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾	٢٥٠	١٣، ٣٣٧
﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾	٢٥١	١٩٣، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩
﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾	٢٥٤	٢٦٩
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾	٢٥٦	٢٦
﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾	٢٥٧	٣١٥
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾	٢٥٨	٣٩٩، ٤٠٠
﴿ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾	٢٨٢	١٥٨، ٢١٩
﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾	٢٨٣	٢١٩
﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾	٢٨٦	٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾	١٤	٢٩٠
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾	٢٦	٣٦٩
﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾	٣٥	١٤٧، ١٤٨
﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	٣٦	١٤٨
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾	٣٧	١٤٨، ١٤٨
﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾	٣٨	١٤٨
﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾	٣٩	١٤٩
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	٣٨٧
﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾	٦٧	١٧١
﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٨	٢٦٤
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	٩٦	١٧٤
﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾	٩٧	١٧٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٠٢	٧١
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	١٠٣	٢٠٤، ٢٢٥، ٢٨٨
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	١٣٦، ٣٤٤
﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾	١١٨	٢٩٢
﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾	١١٩	٢٩٢
﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	١٣٣	٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾	١٣٥	٨٣
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾	١٣٦	٨٣
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٣٠٦
﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾	١٤٨	١٤
﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾	١٥٩	٢٨٦، ٣٥٤
﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ ﴾	١٦٠	٦٥
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾	١٦٩	٢٩٠، ٣١١
﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	١٧٠	٢٩٠، ٣١١
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾	١٧٣	١٢٨
﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾	١٧٤	١٢٨
﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	١٨٢	٥١
﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾	١٩٣	١٧٦
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	١	٨١، ١٥٥، ٢١٢، ٢٤٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾	٤	٥٠
﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾	٧	٢٥١
﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾	٢٣	١٦٤
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾	٢٨	٧٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾	٣٢	٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾	٣٦	٨٩، ١٦٥، ٢٤٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾	٤٠	٢٢٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	٤٨، ١١٦	٥٤
﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾	٥٤	٣٣٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	٥٨	٤٨، ٣٠٢، ٣٧٠
﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾	٧٧	٢٩١
﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾	٩٣	٦٢
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	١٠٥	١١٢
﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾	١٠٧	٢٣٨
﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾	١٠٨	٢٣٨
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾	١١٥	١١٣
﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾	١٢٥	١٧٣
﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾	١٣١	٨١، ٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	٢٤٤، ٢٧٣
﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾	١٣٦	١١٠
﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾	١٤٢	٥٨
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾	١٤٨	٤٤
﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾	١٦٥	١١١
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾	١٧٣	٢٦٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾	٣	١١٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾	٨	٢٧٣
﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٣	٢٨٦
﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾	١٤	٢٧٠
﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾	٢٠	٣٣٠
﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾	٢١	١٩٢، ٣٣٤
﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾	٢٢	٣٣٤
﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٣	٣٣٥
﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾	٢٤	١٩٢، ٣٣٥
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	٢٥	١٩٢
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٢٦	١٩٢
﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	١٨٣
﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾	٢٨	١٨٣
﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾	٢٩	١٨٣
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٣٠	١٨٣
﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾	٣١	١٨٤
﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٣٢	١٣٨، ١٨٠
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	٣٣	٣٩٢

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾	٤١	٣٠٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾	٤٢	٢٢٨
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٤٨	١١١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ﴾	٥٤	١٦٦، ٢٦٤، ٢٨٥، ٣٨٢
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٥٥	٢٦٤، ٢٨٨
﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾	٥٦	٢٦٤، ٢٨٨
﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾	٦٤	٢٧٠
﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾	٧٥	١٥٠
﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ﴾	٧٦	١٥٠
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾	٨٢	٢٧٠
﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾	٨٤	١٠٩، ١١٠
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾	٩١	٢٧١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾	١٠٥	٥٢
سورة الأنعام		
﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾	٣٣	٣٠٧
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾	٤٢	١٨
﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾	٤٣	١٨، ١٩
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾	٤٤	١٩، ٦٢، ١٢٠، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٥٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٥	١٩، ٦٢، ١٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٥٥، ٢٧٩
﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٥٥	١١٣
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	٥٧	٣٦٩
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾	٧٤	١٧١
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾	١١٤	٣١١
﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾	١٥١	٨٩
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	١٥٢	٢٧١
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٦٤	٥٠
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٣٠، ٥٠، ٧٩
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾	٢٧	٢١١
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾	٢٩	٤٨، ٣٧٠
﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾	٥٥	٨، ٢٠
﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٨
﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٦٥	٢١٠، ٢١١
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾	٧٣	٢١٠
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	٨٥	٢٧، ٢١١
﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾	٨٨	٣٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ ﴾	٨٩	٣٥
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾	٩١	٣٥
﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ ﴾	١٢٦	٣٦
﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ ﴾	١٢٩	٣٩٠
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ ﴾	١٤٢	١٩١
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾	١٥٧	٧٢
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾	١٨٠	١٠٦
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨٢	٦٢، ٢٣٣
﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾	١٨٣	٦٢، ٢٣٣
﴿ إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	١٩٦	٢٦٤
﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	١٩٩	٢٤٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾	٢٠١	٧٤
سورة الأنفال		
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢ ـ ٤	١٢٦
﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ ﴾	١٢	١١٥
﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾	١٧	٣٣٨
﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾	٢٥	٥١
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٥٥	٣٧٧
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	٧٣، ٢٦٦، ٢٦٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٦١	٩٨
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٦٢	٢٠٤، ٢٨٨
﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ ﴾	٦٣	٢٠٤، ٢٢٥، ٢٨٨
﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾	٦٥	٣٧٧
﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾	٧٥	٢٤٧
سورة التوبة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾	٢٣	٢٨٦
﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾	٢٤	٢٨٧
﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	٣٢	١٠٤، ٣٧٨
﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	٦٢	٢٨٧
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٦٣	٢٨٧
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	١٠٤	٩٦
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	١١٣	٢٤٤
﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾	١١٤	٣٤، ١٧٢، ٢٤٥
سورة يونس		
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾	١٢	١٨
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	١٨	١٠٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴾	٢٢	١٧
﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾	٢٣	١٨
﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾	٢٦	٣٩٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾	٤٤	٥٠، ٢٢٨
﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾	٥٨	١١٨، ٣٠٩، ٣٢٥، ٤٠١
﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾	٦٢ ـ ٦٤	٢٨٦، ٣١٤، ٣١٥
﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٦٥	٣٠٧
﴿ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴾	٧٩	١٣٣
﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٨٥	٣٦
﴿ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	٨٦	٣٦
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾	٨٨	٣٦
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٩٠	٣٦
﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	٩١	٣٦
سورة هود		
﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ ﴾	١٠	٣١٠
﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	٤١	٣٥٣
﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾	٤٢	١٦٨
﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾	٤٣	١٦٨
﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾	٤٥	١٦٨
﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾	٤٦	١٦٨
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾	٤٧	١٦٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	٥٩	٥٤
﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾	٦٠	٥٤
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾	٨٨	٧٢
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾	٩٦	٥٣
﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾	٩٧	٥٣
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾	٩٨	٥٣
﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾	٩٩	٥٣
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٦٣، ١٠٤، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٩٨، ٣٦٦، ٤٠٦
﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	١١٢	٦٣
﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾	١١٣	٦٣، ٥٨، ٢٣٤
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١١٨	٢٧٣
﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾	١١٩	٢٧٣
سورة يوسف		
﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾	٤	١٨٩
﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ﴾	٥	١٨٩
﴿ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾	٨	١٦٩، ١٨٤
﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾	٩	١٦٩، ١٨٥
﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾	١٠	١٨٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾	١١ ـ ١٤	١٨٥
﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾	١٦	١٦٩، ١٨٥
﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾	١٧	١٦٩، ١٨٥
﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ ﴾	١٨	١٦٩، ١٧١، ١٨٥
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾	٢١	١٨٦، ٣٩١
﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٢٣	١٢٩
﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبّٗاۖ ﴾	٣٠	١٢٩
﴿ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴾	٣١	١٢٩
﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ ﴾	٣٢	١٢٩
﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ ﴾	٣٣	١٣٠
﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٣٤	١٣٠
﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	٣٦	٩٤
﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	٤٠	٣٦٩
﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾	٤٢	١٣٠
﴿ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ ﴾	٤٣	٣٣٤
﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾	٤٧ ـ ٤٩	٣٣٣
﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي ﴾	٥٣	٢٦٥
﴿ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾	٥٤	١٨٦، ٣٣٢
﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾	٥٥	١٨٦، ١٥٩، ٢١٨، ٣٣٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾	٥٦	٣٣٣، ٣٩١
﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	٥٨	١٨٦
﴿ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾	٥٩ ـ ٦١	١٨٦
﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ ﴾	٦٢	١٨٧
﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾	٦٣ ـ ٦٥	١٨٧
﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ ﴾	٦٦	١٧٠، ١٨٧
﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾	٦٩	١٨٧
﴿ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴾	٧٤	١٨٧
﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٧٥	١٨٧
﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥ ۖ ﴾	٧٨	٩٥، ١٧٠
﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾	٧٩	١٧٠
﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٨٠ ـ ٨٣	١٧٠
﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾	٨١	١٨٧
﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾	٨٢	١٨٧
﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾	٨٣ ـ ٨٧	١٧١، ١٨٨
﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	٨٤ ـ ٨٦	٣١٢، ١٨٨
﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ ﴾	٨٧	١٨٨
﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾	٨٨	١٨٨
﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾	٨٩	١٨٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ﴾	٩٠	١٨٨ ،٩٥
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾	٩١ ـ ٩٣	١٨٨
﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾	٩٤	٣١٢
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾	٩٥	٣١٣
﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ ﴾	٩٦	٣١٣
﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾	٩٧	١٧١
﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٩٨	١٧١
﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ ﴾	٩٩	١٨٩
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾	١٠٠	١٨٩
﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ ﴾	١٠١	١٨٩، ٣٣١، ٣٣٤
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ ﴾	١١٠	١١٩
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾	١١١	٣٤٧
سورة الرعد		
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	١٧	٢٢١، ٢٩٧
﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ ﴾	٢٥	٢٤٧
﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٦	٣٠٩
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾	٢٨	١٢٨
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	٣٦	٣١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٣	٢٩١
﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	٤٠٥
﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾	٣٧	٣٣
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾	٣٩	١٧٣
﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾	٤٠	٣٤
﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾	٤١	٣٤
﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾	٤٢	٢٢، ٦٣، ٢٢١، ٢٣٠، ٣٦٦
سورة الحجر		
﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾	٤٧	٢٠٦
سورة النحل		
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾	١٨	٤٩
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٤٣	١١٤
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٢٨٥
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾	٨٩	٣٤٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾	٩٠	٤٨، ٩٣، ٢٤٠، ٣٧٠
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ﴾	١٠٦	١٢٦، ٢٩٧
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾	١٠٧	٢٩١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	١٢٥	٢٧١
﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾	١٢٧	٣٠٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾	١٢٨	٨٠، ٨٩
سورة الإسراء		
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾	١	١٩٨
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾	٢٣	٨٩، ١٦٥، ١٦٦
﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾	٢٤	١٦٥، ١٦٦
﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾	٢٥	١٦٦
﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾	٢٦	٢٤٠
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾	٧٠	٤١، ٤٩
﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾	٨١	٢٢١
﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا﴾	١٠٣	٣٣٤
﴿ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾	١١١	٣٢٩
سورة الكهف		
﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾	١٣	١٣١، ٣٨٩
﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا﴾	١٤	١٣١
﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾	١٦	١٣١
﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾	٤٩	٢٢، ٥٠، ٢٢٨
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾	٥٠	٢٦٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾	٥٩	٢٣٥
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾	٨٣	٣٧٤، ٣٨٩
﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾	٨٤	٣٧٤، ٣٧٦، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١
﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾	٨٥	٣٧٤، ٣٧٦، ٣٨٩، ٣٩١
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾	٨٦	٣٩١، ٣٩٢
﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾	٨٧	٣٧٥، ٣٩٢
﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾	٨٨	٣٩٣، ٣٩٤
﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾	٨٩	٣٩٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾	٩٠	٣٩٣، ٣٩٤
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾	٩٣	٣٩٤
﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٩٤	٣٩٥
﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾	٩٥	٣٧٥، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٦
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾	٩٦	٣٩٦، ٣٩٧
﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾	٩٨	٣٧٥، ٣٩٠، ٣٩٧، ٣٩٨
سورة مريم		
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾	٣ ـ ٦	١٠
﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾	١٤	١٦٥، ١٧٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾	١٩ ـ ٢١	١٤٩
﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾	٢٢ ـ ٢٥	١٤٩
﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾	٢٧	١٤٩
﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾	٢٩	١٥٠
﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾	٣٠	١٥٠
﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾	٣١	١٥٠
﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾	٣٢	١٦٥
﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾	٤٣ ـ ٤٥	١٧١، ١٧٢
﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾	٤٦	١٧٢
﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾	٤٧	١٧٢، ٢٤٥
﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾	٤٨	١٧٢
﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾	٦٣	٧٣
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾	٧١	٧٣
﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	٧٢	٧٣
سورة طه		
﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾	٢، ٣	٣٠٦
﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾	٤، ٥	١٠٨
﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾	٢٤	١٩٠، ٣٥
﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾	٢٥ ـ ٢٩	١٩٠، ٣٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾	٢٩ ـ ٣٥	١٩١
﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	٣٦	١٩١، ٣٦
﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٤٣	١٩١
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾	٤٤	١٩١
﴿ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴾	٦٥	١٣٣
﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴾	٦٦	١٣٣
﴿ لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	٦٨	١٣٣
﴿ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾	٦٩	١٣٣
﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾	٧٠	١٣٣
﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾	٧١	١٣٣، ١٣٤
﴿ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾	٧٢	١٣٤
﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾	٧٣ ـ ٧٥	١٣٤
﴿ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾	٩٠	١٩١
﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾	٩١	١٩١
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾	٩٢ ـ ٩٤	١٩١، ١٩٢
﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾	١١٢	٥٠
﴿ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾	١٢٠	٢٦٥
﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾	١٢١	٣٠، ٧٩
﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾	١٢٢	٣٠، ٧٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٧	١١٤
﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾	١٨	٢٢١، ٢٩٧
﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾	٢٧	١١٥
﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾	٢٨	١١٥
﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٥٩	١٣١
﴿سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾	٦٠	١٣١
﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾	٧٩	٣٧١
﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ﴾	٨٠	٣٣٩
﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٨٣	٣٧
﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾	٨٤	٣٧
﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	٨٧	٣٨
﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٨٨	٣٨
﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾	٩٠	١٤٩
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾	٩٢	٣٤٤
سورة الحج		
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾	٣٢	٧٦
﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	٣٧	٩٤
﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾	٤٠	٢٥٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾	٥٦	٣٦٩
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٧٢
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	١ ـ ٩	٩٥، ١٢٦
﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾	١٤	١٠٩
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٣٤٤
﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾	١١٦	٣٦٨
سورة النور		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾	١١	٢٥٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾	٢١	٢٦٣
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾	٢٢	٢٥٠
﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾	٦١	٢٦٢
سورة الفرقان		
﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾	٢٦	٣٢٩، ٣٦٩
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾	٢٧ ـ ٢٩	٤، ٢٦٢
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣	٣٨٣
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ﴾	٤٤	٣٨٣
﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	١١٤
﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾	٧٤	١١٨، ١٥١، ١٥٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾	٤١	١٣٣
﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾	٤٢	١٣٣
﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	٤٤	١٣٤
﴿لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾	٥٠	٣٦
﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾	٨٣ ـ ٨٩	٣٢
﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٧ ـ ٨٩	٧٧
﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾	٩٩ ـ ١٠١	٢٦١
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٠٥، ١٠٦	٢٧، ٢١١
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٢٣، ١٢٤	٢٧، ٢١١
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٤١، ١٤٢	٢٧، ٢١١
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٦٠، ١٦١	٢٧، ٢١١
﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٧٦، ١٧٧	٢٧، ٢١١
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	٢٤٨، ٢٤٩
﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	١٠١، ٣٦٢
سورة النمل		
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	١٤	٣٠٧
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾	١٥	١٧٥، ٣٤٨، ٣٧١
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾	١٦	٣٤٨، ٣٤٩، ٣٧١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	١٧	٣٤٩، ٣٥٧
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾	١٨	٣٤٩
﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾	١٩	١٧٥، ٣٥٠، ٣٧١
﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾	٢٠	٣٥١
﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾	٢١	٣٥١، ٣٥٢
﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾	٢٢	٣٥٢
﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾	٢٣	٣٥٢، ٣٥٣، ٣٧٢
﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٢٤	٣٥٢، ٣٥٣، ٣٧٢
﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢٥	٣٥٢، ٣٥٣
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	٢٦	٣٥٢، ٣٥٣
﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	٢٧	٣٥٢
﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾	٢٨	٣٥٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾	٢٩	٣٥٣
﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	٣٠	٣٥٣، ٣٥٤، ٣٧٢
﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾	٣١	٣٥٣، ٣٥٤، ٣٧٢
﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾	٣٢	٣٥٤، ٣٧٢
﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾	٣٣	٣٥٤، ٣٥٥، ٣٧٢
﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾	٣٤	٣٥٥، ٣٥٦، ٣٧٢، ٣٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾	٣٥	٣٥٦، ٣٧٣
﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾	٣٦	٣٥٦، ٣٧٣، ٣٩٦
﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	٣٧	٣٥٦، ٣٧٣، ٣٩٦
﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾	٣٨	٣٥٧، ٣٥٨
﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾	٣٩	٣٥٨
﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾	٤٠	٣٥٨، ٣٧١، ٣٩٨
﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾	٤٢	٣٥٨
﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾	٤٤	٣٥٨، ٣٧٣، ٣٧٤
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾	٥٢	٢٣٥، ٣٧٤
﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٦٠	١٨
﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾	٦١	١٨
﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾	٦٢	١٨
﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٩١، ١٠٩
سورة القصص		
﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	٤	١٤٦، ٣٥٣
﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾	٥	٣٩٠
﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾	٦	٣٩٠
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾	٧	٥٩، ١٤٥، ١٤٦، ١٨٩، ٢٣٥، ٣١٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٩	١٤٦، ١٩٠
﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾	١١	١٤٦، ١٩٠
﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾	١٢	١٤٦، ١٩٠، ٣١٣
﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾	١٣	١٤٧، ١٩٠، ٣١٣
﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾	١٥	٣٥
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	١٦	٣٥
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	٢٤	٣٥
﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾	٢٦	١٥٨، ١٥٩، ٢١٨، ٣٣٢، ٣٩٦
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾	٣٨	٣٧، ٥٣، ١٣٢، ١٩٠
﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ﴾	٤٠ ـ ٤٢	٦٠، ٢٣٤
﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾	٧٦	١١٧، ٣٠٩، ٣١٠
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ﴾	٧٧	٩٣، ٣١٠
﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾	٧٨	٣٠٩
سورة العنكبوت		
﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ﴾	٢٥	٢٦٢، ٢٦٨
﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾	٤١	٦١
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	٦١	١٠٧
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾	٢ ـ ٥	١١٨، ٣١٠، ٣١١
﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾	٤، ٥	٣٢٥
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾	٢١	١٦٤
﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾	٣٨	٢٤٠
﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾	٤١	٥١
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٤٧	٣٢٦
سورة لقمان		
﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾	١٣	٤٩
﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾	١٤	١٦٧
﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾	١٥	١٦٧، ٢٧٢
﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٢٠	٩٣، ٢٨٥
﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾	٢٢	٣٢٢
سورة السجدة		
﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾	٧	٩١، ١٠٩
﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	١٧	٧٣
سورة الأحزاب		
﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾	٤	١٦٣
﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾	٥	١٦٣، ٢٤٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	٦	٢٤٧
﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	١٠	١٢٧
﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	١١	١٢٧
﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	٢٢	١٢٧
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾	٢٣	١٢٥
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾	٣٧	١٦٣
﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	٣٨	٨٢
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾	٣٩	٣٢١، ٣٨٢
﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾	٦٧	٥٣
﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾	٦٨	٥٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾	٧٠	٧١، ٨١
﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ﴾	٧١	٨١
سورة سبأ		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾	١٠	١٩٣، ٣٤٠
﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾	١١	٣٣٩
﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾	١٢	٣٥٧
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ﴾	١٥	٣٥٢
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ﴾	٣١ ـ ٣٣	٥٣
سورة فاطر		
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	٦	٢٦٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	١٤	١١٤
﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	١١١
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٣٤	٣١٦
﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾	٣٥	٣١٦
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٦٦
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾	٤٥	٥١
سورة يس		
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	٦٠	١٤٥
﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	٧٦	٣٠٧
سورة الصافات		
﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾	١٠٠، ١٠١	٣٣
﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾	١٠٢	١٧٣، ١٧٤
﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾	١٠٣	١٧٤
﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٠٤ ـ ١١١	١٧٤
﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١١٢	١٧٤
﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾	١١٣	٣٤٩
﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۞ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾	١٤١، ١٤٢	٣٨
سورة ص		
﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۞ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ﴾	١٨ ـ ٢٠	١٩٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾	٢١	١٩٢، ٣٤٠
﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا ﴾	٢٢	١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ٣٤٠
﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا ﴾	٢٣	١٩٢، ١٩٤، ١٩٥
﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ ﴾	٢٤	١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ٣٤١
﴿ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾	٢٥	١٩٢، ١٩٥، ٣٧٠، ٣٤١
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾	٢٦	١٩٥، ٣٤١
﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾	٢٧	١١٦
﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٨	١١٦
﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾	٣٥	٣٤٩، ٣٧٠
﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴾	٣٦ ـ ٤٠	٣٥٧، ٣٧٠
﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾	٤٤	٣٧
﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾	٧٦	٧٩
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾	٣	١٠٧
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾	١٠	١٠٢
﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ ﴾	١٧، ١٨	٩٤
﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾	٥٥	٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة غافر		
﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾	١٦	٣٢٩، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٩٢
﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾	١٧	٥٠، ٣١٧
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾	٢٨	١٣٢، ٣٢٠
﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾	٢٩	١٣٢
﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾	٣٨ ـ ٤١	١٣٢
﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾	٤٧	٥٣
﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾	٤٨	٥٣
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾	٦٠	٤، ٧
﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾	٧٥	١١٧، ٣١٠
﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾	٧٦	٣١٠
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾	٧٨	١١١
سورة فصلت		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	٣٠	٣١٥، ٣١٦
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	١٥٤
﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٣٤	٢٤٧، ٢٧١، ٢٧٢
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	٤٦	٢٢٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾	١٣	١١١
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾	٣٠	٥١
﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾	٣٨	٦٩، ٣٥٤
سورة الزخرف		
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٩	١٠٧
﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ﴾	١٩	١٠٩
﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾	٥٤	٥٣
﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	٦٧	٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠
﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾	٨٠	١١٥
سورة الدخان		
﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾	٢٩	٦٤
﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾	٣١	٣٥٣
سورة الجاثية		
﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	١٩	٢٦٤
﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾	٢٣	٣٨٣
سورة الأحقاف		
﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	٤	١١٠
﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾	١٥	١٥٣، ١٥٤، ١٦٦، ١٦٧
﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٣٥	١١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾	٢٢	٢٤٦
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾	٢٣	٢٤٦
سورة الفتح		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾	٤	١٢٨
سورة الحجرات		
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾	٧	٢٠٤
﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾	٨	٢٠٤
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾	٩	٢٠٤
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٠	٢٧، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٢٦
﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾	١١	٢٢٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾	١٣	٢١٢
﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾	١٤	١٢٦، ١٢٧
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾	١٥	١٢٧
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾	١٧	٢٠٤
سورة ق		
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾	١٦ ـ ١٨	١١٥
﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾	٣٢	٧٨
﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾	٣٣	٧٨
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾	٣٧	٧٠

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	٣٥	١٠٧
﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٣٦	١٠٧
سورة النجم		
﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۞ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾	٥٧، ٥٨	١٦
سورة القمر		
﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾	١٠	٣١
سورة الرحمن		
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾	٣، ٤	٢٨٥
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٩	٣١٤
سورة الواقعة		
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾	٨٥	١١
سورة الحديد		
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٤	٨٠
﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾	٢٣	٣١٤
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	٢٥	٤٨، ٢٢٧
سورة المجادلة		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٧	٨٠
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ ﴾	٢٢	١٢٦، ٢٤٥، ٢٨٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾	٢	٦٤، ٣٣٨
﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٢٠٥، ٢٨٨، ٢٨٩
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾	١٠	٢٩٠
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾	١٤	٢٧٠
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾	٢٣	٣٦٨
سورة الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾	٤	٣٣، ٢٤٥
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٥	٣٣
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٨	٨٥، ٢٤٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٦
﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٩	٢٦٦
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	٢٨٩
سورة الجمعة		
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١	٣٦٨
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	١٠	١٣
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	١٦٦، ١٤٠، ٢٧٣، ٣٧٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التغابن		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾	٢	٣٠٦
﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾	٣	٩١
﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾	١١	١٢٨
﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾	١٦	٧٢
سورة الطلاق		
﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾	٢	١٥٨، ٢١٩، ٣٠١
سورة التحريم		
﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٦	١١٥
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾	١١	٣٧، ١٣١، ١٣٢
﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ﴾	١٢	١٤٧
سورة الملك		
﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ﴾	٣	٩١
﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	١٣	٧٤
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٤	٧٤
﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾	١٥	١٣
﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٢٢	٣٠٥
سورة القلم		
﴿ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾	١	٤٩، ٢٨٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾	٣٠، ٣١	٢٦٨
﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾	٤٨	٣٨
سورة الحاقة		
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾	٣٨، ٣٩	١٠٧، ٣٢٩
سورة نوح		
﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤	٦٥
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾	٥ ـ ٧	٣١، ١٦٨
﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾	٢١	٣١
﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾	٢٢	٣١
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦	٣١، ١٦٨
﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾	٢٧	٣١، ١٦٨
﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	٢٨	٣٢
سورة الجن		
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾	١	٣٥٧
﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾	٢	٣٥٧
سورة المدثر		
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	١١٤
سورة النبأ		
﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾	٤٠	٢٢٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النازعات		
﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	١٧	٣٣٠
﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٢٤	٣٦، ٥٣، ١٣٢، ١٤٧، ١٩٠
سورة عبس		
﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾	٣٧	٢٢٩
سورة الانفطار		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾	٦	٩١
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾	٧	٤٩، ٩١
﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾	٨	٤٩، ٩١
﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾	١٠ ـ ١٢	١١٥
﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾	١٩	٣٦٩
سورة المطففين		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾	٢٩	٣١٦
﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴾	٣٠ ـ ٣٦	٣١٦
سورة الانشقاق		
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾	٧ ـ ٩	٣١٦
﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾	١٠ ـ ١٣	٣١٦
﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٢٠	١٠٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطارق		
﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾	١٥ ـ ١٧	٢٨، ٦٢
سورة الفجر		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۞ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾	٦ ـ ١٤	١٩، ٢٢٣
﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾	٢٠	٢٩٠
سورة البلد		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾	٤	٣٠٨
﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾	٨ ـ ١٠	٤٩، ٢٨٥
سورة التين		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	٤	٩١
سورة العلق		
﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾	٤، ٥	٤٩
سورة العاديات		
﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	٨	٢٩٠
سورة قريش		
﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	٢١	١١٦
﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾	٢٢	١١٦
سورة المسد		
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾	١ ـ ٥	٢٤٨

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفلق		
﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾	٢ ـ ٥	٧٥
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾	١ ـ ٣	٣٢٩
﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۞ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾	٤ ـ ٦	٧٥

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آمين، ولك بمثلٍ	١٦
اتَّق اللهَ حيثما كنتَ	٧٩
اتَّقِ دعوة المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجاب	٢٣٠
اتَّقُوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا، فإنَّه ليس دونها حجاب	٦٣، ٢٣١
أحبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا	١٩٣
أُحِلَّت لنا ميتتان ودمان، أمَّا الميتتان فالسمكُ والجراد، والدمان الكبدُ والطِّحَال	١١٣
ادعوا اللهَ وأنتم مُوقنون بالإجابة	٩
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ـ أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة ـ	٣٤٢
إذا رأيت أُمَّتِي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تُوُدِّعَ منهم	٢٣٦
إذا سألتم اللهَ الجنَّة، فاسألوه الفردوسَ فهو أعلى الجنان	٩، ٩٦
إذا كان لأحدكم عند أخيه مظلمة، فليتحلل منها قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه	٢٢٩
إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله؛ إلَّا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية	٢١٧
اربَعُوا على أنفسكم؛ فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّما تدعون سميعًا قريبًا	١٠
اشتدَّ غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري	٢٣١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اعرف الله تجِدْه تجاهك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة	١٧
أعنِّي على نَفْسِكَ بكثرةِ السجود	١٣
اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابكَ قبل هَرَمك، وصحَّتك قبل سقمكَ	٨١
أقربُ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء	٢٠
أَلَا أدلُّكم على أفضلَ من درجةِ الصلاة والصيام والصدقة؟	٢٠٣
أَلَا إنَّ في الجسدِ مُضْغَةً إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كلُّه	٧٧
ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور، ألا وقول الزور	٣٠١
الله جميلٌ يحبُّ الجمال	٢٨٤
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمة أمري، وأصلحْ لي دُنْياي	١٤، ١٥
الإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّته	٥٧
أمُّك، ثُمَّ أمُّك، ثمَّ أمُّكَ، ثُمَّ أبوك	١٦٧
إنَّ الَّذي تدعون أقربُ إلى أحدِكم من عنق راحلته	١٠، ١١
إنَّ اللهَ حيِّيٌّ كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّه صفرًا	٢٠
إنَّ الله سائلٌ يوم القيامةِ كلَّ راعٍ عمَّن استرعاه: حفظ أم ضيَّع	٥٧
إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة	٩٠، ٩٢، ٩٣، ٣٥٠
إنَّ الله لا يقدِّس أمَّةً لا يُعطُون الضعيفَ منهم حقَّه وهو غير مُتَعْتَع	٢٣١، ٢٣٢
إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أجسامكم ولا صوركم، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم	٧٧
إنَّ الله لما خلق الخلق وفرغ منهم	٢٤٦
إنَّ الله ليُملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يُفلته	٦٣، ١٠٤، ٢٢٢، ٢٣٣، ٣٦٦، ٤٠٦
إنَّ الله يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه	٩٠، ٣٥٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أن تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة	٩٧
أن تَصِلَ من قَطَعَكَ، وتُعْطِي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمَكَ	٢٤٧
إنَّ الرائدَ لا يكذبُ أهلَه	٢٤٩
إنَّ العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، ولا نقول إلَّا ما يرضي ربَّنا	٣٠٧
إنَّ ممَّا أدرك النَّاس من كلام النبوَّةِ الأولى: إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئت	٢٧٧
إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يديه	٥٢، ٢٣٦
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا... تأخذ على يديه، تحجزه ـ أو تمنعه ـ	٥٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٦، ٢٤٤
إنَّك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكسب المعدوم	١٣٠
إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل	٣٠٦
أوثق عُرَى الإيمانِ الحبُّ في الله والبغض في الله	٢٩١
أيُّها الناس، إنَّ أباكم واحد، وإنَّ ربَّكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب	٢١١، ٢١٢
أيُّها النَّاسُ، لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض	١١٤
ب	
بحَسْب امرئٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم	٧٨
ت	
تبسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة	٢٧٢
التَّقوى هاهنا، التَّقوى هاهنا، التَّقوى هاهنا	٧٦
ث	
ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصائمُ حتَّى يفطر، والإمامُ العادل، ودعوةُ المظلوم	٢٣١، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٨١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ج	
جُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا	١٠
ح	
الحسدُ والبغضاءُ هي الحالقة، لا أقول: تحلقُ الشَّعْر، ولكنْ تحلقُ الدِّين	٧٧
خ	
خير أمرائكم الَّذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم	٤١
د	
دبَّ إليكم داءُ الأممِ من قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاءُ هي الحالقة	٢٧١
دخلت امرأةٌ النَّار في هرَّة حبستَها حتَّى ماتت، فلا هي أطعمتَها	٦٢، ٢٢٧
الدعاءُ هو العبادة	٧، ٨
دعوة أخي ذي النُّون، ما دعا بها مسلم قطُّ إلَّا استجاب الله له	٣٨
الدينُ النصيحة؛ لله ولرسوله ولكتابه ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم	٦٨
ر	
الراحمون يرحمُهم الرحمنُ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء	٩٧
ربَّنا آتِنا في الدُّنْيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.	١٤
رجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه	٢٦٨
س	
سأل النبي ﷺ: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟	١١٥
سمَّاه الرسولُ ﷺ الكريمَ ابنَ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابن الكريم	١٨٤
السمعُ والطاعةُ حقٌّ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره ما لم يؤمر بمعصية	٥٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ش	
شاهت الوُجُوه	٣٣٨
ص	
الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ ثِنْتان: صدقةٌ، وصلة	٢٤٠
ظ	
الظلم ثلاثة: ظلمٌ لا يغفره الله، وظلمٌ لا يبالي به الله، وظلمٌ لا يتركه الله	٥٤
الظلمُ ظُلمات يوم القيامة	٥٤، ٢٢٨
ع	
على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها	٢٦٨
ف	
فأنَّى يُستجابُ لذلك	٢٤
ق	
القلوبُ أوعيةٌ، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله ﷻ أيُّها الناس	٥
ك	
كان يستعيذ بالله تعالى من الهم والحَزَن	٣٠٥
كلُّ بني آدم خطَّاء، وخيرُ الخطَّائين التوَّابون	١٥٤
الكلمةُ الطيِّبة صدقةٌ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة	٢٧٢
كونوا عباد الله إخوانا	٢٢٦
ل	
لا أقول: تحلقُ الشعر؛ ولكن تحلق الدِّين	٢٠٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا إلٰه إلَّا الله العليمُ الحليم، لا إلٰه إلَّا الله ربُّ العرشِ الكريم	٣٩
لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهد له	٣٨٠
لا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا	٢٠٦
لا تُشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد	٣٦١
لا تُقتلُ نفسٌ ظُلمًا، إلَّا كان على ابنِ آدم الأول كِفْل من دمها	١٨٤
لا تقولوا للمنافق سيد، فإنَّه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربكم ﷻ	٥٨
لا يزال المسلمُ في فُسحة من دِينِه، ما لم يسفكْ دمًا حرامًا	٦٢
لا يقفَنَّ أحدُكم موقفًا يُقتل فيه رجلٌ ظلمًا؛ فإنَّ اللعنة تنزل على مَن حضره	٢٣٤
لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه مثل ما يحبُّ لنفسه	٢٠٦، ٢١٠، ٢٨٩
لزوالُ الدُّنْيا أهونُ على اللهِ مِن قتْلِ امرئٍ مسلمٍ بغير حقٍّ	١٣٩
لقد أُوتِيتَ مِزمارًا من مزامير آل داود	١٩٤
للشاة الجلحاء من الشاة القرناء	٢٢٩
للصائم فرحتان يفرحُهما: إذا أفطر فرح بفِطْرِه، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه	٣١٢
ليس مِنَّا من بات شبعانَ، وجارُه إلى جنبه جائع	٢٠٩
ليس مِنَّا من دعا إلى عصبيَّة، وليس مِنَّا من قاتل على عصبيَّة	٢٤٤
ليس الواصل بالمكافئ، ولكنَّ الواصل الذي إذا قُطِعَتْ رحمُه وصلها	٥، ٢٤٧
م	
المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا	١٠٠، ٢٠٩، ٢٦١، ٢٩٢
ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده	٣٤٠
ما من أمير عشرةٍ إلَّا يُؤتى به يوم القيامة مغلولًا، لا يفكُّه إلَّا العدل	٥٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما من مسلمٍ يدعو اللهَ بدعوةٍ، ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم؛ إلَّا استجاب الله له	٢٣
ما يصيبُ المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ	٣٠٩
مثلُ الجليس الصالحُ والسوء، كحامل المسكِ ونافخ الكير	٥، ٢٦٣
مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد	١٠٠، ٢٠٩
المرء على دين خليله؛ فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ	٢٦٧
المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلمه	٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٢٦، ٣٤٥، ٣٦٥
المسلم مَن سلم النَّاس من لسانه ويده	٢٢٧
المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتِهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم	٢٠٩
المسلمون يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم	٣٤٥، ٣٦٥
المفلس كما سماه رسول الله ﷺ	٢٣٠
من أصبح منكم معافًى في بدنه، آمنًا في سربه، عنده قوتُ يَوْمِه	٢٣
مَنْ سنَّ سُنَّة سَيِّئة فعليه وِزْرها ووزرُ من عمل بها، لا ينقص من أوزارهم شيئًا	١٨٤
من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن نفَّس عن مؤمن كُربة	٣٤٤، ٣٤٥
من يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّه في الدِّين	٧٥
ن	
نحن الأنبياء لا نُوَرَّث، ما تركناه صدقة	٣٤٨
نعم يُغفر لك. فمشى الرجل خطوات؛ فأمرهم النبي ﷺ أن ينادوه	٥٥
هـ	
هي من قدر الله	١٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
و	
واتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب	٦٣
واللهِ لتموتُنَّ كما تنامون، ولتبعثُنَّ كما تستيقظون، ولتحاسبُنَّ بما تعملون	٢٤٩
والله يا رسولَ الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى	٣٣٥
ومن أحبَّ لله وأبغضَ لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكملَ الإيمانَ	٢٩١
ومن كان في حاجةِ أخيه، كان الله في حاجته، واللهُ في عون العبد	٢٠٥
ي	
يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك استغيثُ، أصلحْ لي شأني كلَّه	٣٩
يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّمًا فلا تَظَالموا	٥٠، ٢٢٨
يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم، وإنسكم وجنَّكم اجتمعوا في صعيدٍ واحد	٨
يا كعبَ بن عُجْرة، أعاذك اللهُ من إمارةِ السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟	٥٧، ٥٨
يرفعها اللهُ فوقَ الغمام، ويفتح لها أبواب السماء	٢٢، ٦٣
يُغفر للشهيد كلُّ شيء إلَّا الدَّيْن	٥٥
يوم من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة	٣٤٠

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

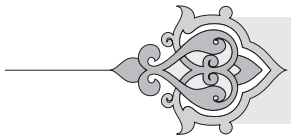

فهرس الموضوعات

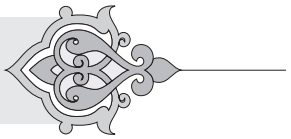

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

❖ **١ ـ الدعاء في القرآن الكريم (١)** **٧**

الشعور بالافتقار إلى الله روح العبادة ٧

إجابة الدعاء لا تنقص من ملك الله شيئا ٨

اليقين في الإجابة ٩

الله تعالى قريب من عباده ٩

الله تعالى لا يضيق بالسائلين ١١

الدعاء من قدر الله ١١

مراعاة السنن والأسباب مع الدعاء ١٢

سؤال خيري الدنيا والآخرة ١٤

الدعاء للنفس والأسرة والأمة ١٥

فضل دعاء المؤمن لإخوانه بظاهر الغيب ١٦

النَّاس ثلاثة أصناف ١٧

الدعاء عبادة مشروعة في كل زمان ١٩

عدم الاعتداء في الدعاء ٢٠

QaradawiBooks.com

أوقات الإجابة ٢١
الدعاء في نفسه عبادة ٢٣
تفجير كنيسة القِدِّيسين بالإسكندريَّة ٢٥
❖ **٢ ـ الدعاء في القرآن الكريم (٢) ٢٩**
حاجاتنا كثيرة جدا ٢٩
دعاء آدم عليه السلام ٣٠
دعاء شيخ المرسلين نوح عليه السلام ٣١
دعاء سيِّدنا إبراهيم عليه السلام ٣٢
دعاء سيِّدنا شعيب ٣٤
دعوات سيِّدنا موسى ٣٥
دعاء امرأة فرعون ٣٧
دعاء أيُّوب عليه السلام ٣٧
دعاء يونس عليه السلام ٣٨
ثورة تونس ٤١
الشعوب لن تظل مستكينة ٤٢
من يشكو عضة الجوع ومن يشكو تخمة الشبع ٤٢
جماهير الشعب التونسي تشكو الظلم ٤٤
لا بد أن يُحاسب المفسدون ٤٥
نشكو إلى الله حكام المسلمين ٤٦
كفُّوا أيديَكم عن شعوبنا أيها الغربيون ٤٦
❖ **٣ ـ الظلم ومصير الظالمين في القرآن الكريم ٤٨**
الله تعالى يأمر بالعدل ٤٨
النهي عن كل مظاهر الظلم ٤٩

QaradawiBooks.com

ظلم النفس ٤٩
ظلم العباد بعضهم بعضا ٥٠
لا يظلم ربك أحدًا ٥٠
الظلم سببُ كلِّ شرٍّ ٥١
عاقبة الظالمين ٥٢
تحمل الشعوب إثم متابعتها للظالمين ٥٣
أنواع الظلم ٥٤
مسؤولية القادة والزعماء عن رعيتهم ٥٥
كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته ٥٦
لا تركنوا إلى الذين ظلموا ٥٧
معاقبة الظالمين من يصلي الفجر ٥٩
جنود الظالمين ٥٩
ما أوهن الطغاة حين ينفض عنهم جنودهم ٦١
القتل هو أعظم جريمة بعد الشرك بالله ٦١
الله سبحانه يملي للظالمين ثمَّ يأخذهم ٦٢
إجابة دعوات المظلومين، وصرخات المستضعفين ٦٣
نهاية الظالمين أمر محتوم ٦٤
ثورة تونس ٦٦
والشابُّ الَّذي أحرق نفسه ٦٦
شهداء الثورة التونسية ٦٧
أهمية استمرار الثورة ٦٨
جمعية تأسيسية ودستور جديد ٦٩
❖ **٤ ـ تقوى الله** **٧١**
نعمة تقوى الله ٧١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حق التقوى في حدود الاستطاعة ٧٢
من بركات التقوى ٧٣
البعد عن المعاصي ٧٤
التزوُّد بزاد الآخرة ٧٦
تقوى القلوب ٧٦
الفرق بين معصية القلوب ومعصية الجوارح ٧٨
اتَّقِ الله حيثما كُنْت ٧٩
وصية الله تعالى عباده ٨١
التقوى لا تعني العصمة من المعصية ٨٢
انتخابات مجلس الشعب المصري ٨٤
ثورة سوريا ٨٥

❖ **٥ ـ الإحسان ٨٩**
ما معنى الإحسان؟ ٩٠
إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء ٩١
الإحسان مع الحيوان ٩٢
إحسان الله إلى عباده ٩٣
الترقّي في مدارج الحسن والكمال ٩٣
إحسان الأعمال الدينيَّة والدنيويَّة ٩٥
علو الهمَّة وطلب المعالي ٩٦
الإحسان بين المشاهدة والمراقبة ٩٧
مقابلة الإساءة بالإحسان ٩٨
ثورة سوريا ٩٩
رفض الشعب السوري لظلم الطغاة ١٠٠
أقبل الربيع العربي ١٠١

QaradawiBooks.com

انتهى عصر الأسر الجمهورية ١٠٢
الشعب السوري أدَّى ما عليه ١٠٣

❖ **٦ ـ الإيمان في القرآن الكريم (١)** **١٠٦**
الإيمان بالله الخالق ١٠٧
الإيمان بالعقل والقلب ١٠٨
تبارك الله أحسن الخالقين ١٠٨
الإيمان بالرسل والكتب ١١٠
كمال الإسلام وصفائه ١١٢
بيان النبي لكثير من التشريعات ١١٣
الإيمان بالملائكة ١١٤
الإيمان باليوم الآخر ١١٥
آثار الإيمان ١١٦
احتفال بزواج الأسرى المحررين ١١٧
جرائم الاستيطان ١١٩
القضيَّة السوريَّة ١٢٠
الربيع العربي ١٢١

❖ **٧ ـ الإيمان في القرآن الكريم (٢)** **١٢٥**
الإيمان الصادق المتكامل ١٢٥
الإيمان سكينةٌ وطمأنينة ١٢٨
الإيمان قوَّة هادية حافزة ١٢٨
الإيمان قوَّة رادعة ١٢٩
الإيمان قوَّة هائلة ١٣٠
خديجة بنت خويلد ١٣٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مصورة
QaradawiBooks.com

إبراهيم عليه السلام ١٣١
فتية أهل الكهف ١٣١
امرأة فرعون ١٣١
مؤمن آل فرعون ١٣٢
سَحَرة فرعون ١٣٣
ثورات الأمَّة تعبير عن حقيقتها ١٣٦
ضرورة الحفاظ على ثورات الأمَّة ١٣٧
ليبيا واليمن ١٣٧
الوحدة ونبذ الفرقة والاقتتال ١٣٨
سوريا ١٣٩
الجيش الحرُّ ١٣٩
حكومة بنجلاديش ١٤٢

❖ **٨ ـ الأمومة والأُبوَّة في القرآن ١٤٤**

يوم الأُمِّ ١٤٤
الأُمومة في القرآن ١٤٥
أم موسى عليه السلام ١٤٥
امرأة عمران أم مريم ١٤٧
مريم أم المسيح عليه السلام ١٤٩
الأُبوَّة في القرآن ١٥١
نموذج عباد الرحمن ١٥١
انفصال الأجيال الجديدة عن الأجيال الكريمة ١٥٢
شكر النعمة ١٥٣
الدعاء بصلاح الذريَّة ١٥٣
الأرحام القريبون والبعيدون ١٥٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

واجب العون لأهل سوريًّا ١٥٦
التصويت في الانتخابات المصريَّة ١٥٨
اختيار القوي الأمين ١٥٨
اختيار الحفيظ العليم ١٥٩

❖ **٩ ـ علاقة الأبناء بالآباء في القرآن الكريم ١٦٢**
حقيقة البنوَّة ١٦٢
التساهل في مسألة التبني ١٦٤
الحقوق المُتَعَلِّقة بالبنوَّة ١٦٤
وصية القرآن بالوالدين ١٦٥
حقوق الوالدين ١٦٦
ابن نوح عليه السلام ١٦٧
أولاد يعقوب عليه السلام ١٦٨
بل سولت لكم أنفسكم ١٧١
والد إبراهيم عليه السلام ١٧١
إسماعيل عليه السلام ١٧٣
داود وسليمان، وزكريَّا ويحيى ١٧٥
تشريع قانون بعزل الفلول ١٧٧
ثورة سوريا ١٧٨

❖ **١٠ ـ الأُخوَّة في القرآن الكريم (١) ١٨٢**
قصة ابني آدم ١٨٢
إخوة يوسف ١٨٤
ما لك لا تأمنا على يوسف ١٨٥
يوسف عليه السلام في مصر ١٨٦

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أخت موسى عليه السلام ١٨٩
موسى وهارون عليهما السلام ١٩٠
اخلُفْني في قومي ١٩١
لا أملك إلَّا نفسي وأخي ١٩٢
إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ١٩٢
خصمان بغى بعضنا على بعض ١٩٤
إنَّما المؤمنون إخوة ١٩٥
الذكري (٦٤) لقيام دولة بني صهيون ١٩٧

❖ **١١ ـ الأُخوَّة في القرآن الكريم (٢) ٢٠٢**
الأُخُوَّة الإيمانيَّة ٢٠٣
أخوة الإيمان توجب المحبة والإيثار ٢٠٥
آثار الأخوة الإيمانيَّة ٢٠٧
التناصر من حقوق أخوة الإيمان ٢٠٧
التكافل من حقوق أخوة الإيمان ٢٠٨
محبة أهل الإيمان ٢١٠
الأخوة القومية ٢١٠
الأخوة الإنسانية ٢١١
١ ـ زيارتي لتونس ٢١٤
٢ ـ وقف الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين ٢١٦
٣ ـ الانتخابات الرئاسيَّة المصريَّة ٢١٨
٤ ـ الذكري (٦٤) لقيام دولة بني صهيون ٢٢٠
٥ ـ ثورة سوريا ٢٢٢

❖ **١٢ ـ أوَّل حقوق الأخوَّة عدم الظلم ٢٢٥**
لا إيمان بلا أخوَّة ٢٢٥

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حقوق الأخوة ٢٢٦
أوَّل الحقوق عدم الظلم ٢٢٦
المسلم من سلم منه الناس ٢٢٧
بعث الرسل لإقامة العدل ٢٢٧
الله هو العدل ٢٢٨
الظلم ظلمات يوم القيامة ٢٢٨
احذر من إفلاس يوم القيامة ٢٣٠
اتَّقِ دعوة المظلوم ولو كان كافرًا ٢٣٠
الله يمهل ولا يهمل ٢٣٣
لا تكنْ عونًا لظالم ٢٣٤
جنود الظلمة شركاء في الظلم ٢٣٤
انصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا ٢٣٥
عدل دولة الإسلام الأولى ٢٣٧

❖ **١٣ ـ الأقارب في القرآن الكريم ٢٣٩**

أولو القربى وأولو الأرحام ٢٣٩
حقوق أولي القربى ٢٤٠
ليست الزكاة هي الحق الوحيد ٢٤٢
مسؤولية الغني نحو أقاربه الفقراء ٢٤٣
صلة الرحم ليست عصبية جاهلية ٢٤٤
قطع الأرحام من عمل الظالمين ٢٤٦
ليس الواصل بالمكافئ ٢٤٧
حقوق ذوي القربى المعنوية ٢٤٨
أبو بكر وصلته ابن خالته مسطح ٢٤٩
نصيب أولي القربى من الميراث ٢٥١

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

انتخابات الرئاسة في مصر ٢٥٢
ثورة سوريا ٢٥٤
ثورة اليمن ٢٥٦
دور قطر في حماية الثورة الليبية ٢٥٨

❖ **١٤ ـ الصداقة والعداوة في القرآن الكريم ٢٦٠**
مصادقة الأخيار الطيبين ٢٦٠
استكثروا من الأحبة الصادقين ٢٦١
من تدوم مودته في الدُّنْيا والآخرة ٢٦٢
ما كان لله دام واتصل ٢٦٢
الشيطان عدو لا يصالح أبدًا ٢٦٣
الحذر من النفس الأمارة بالسوء ٢٦٥
الحذر من أعداء الإسلام ٢٦٥
نحن لا نعادي إلَّا من يعادي المسلمين ٢٦٦
الرغبة في صداقة المتقين ٢٦٧
المرء على دين خليله ٢٦٩
على أهل الإسلام أن يوالي بعضهم بعضا ٢٧٠
مقابلة السيئة بالتي هي أحسن ٢٧١
المسلم يعدل حتى مع عدوه ٢٧٢
نصادق الناس ولا نعاديهم ٢٧٣
حادث مركز (فيلاجيو) التجاري ٢٧٥
مجزرة (الحولة) في سوريا ٢٧٦
الانتخابات الرئاسيَّة في مصر ٢٧٩

QaradawiBooks.com

❖ **١٥ ـ الحب والبغض في القرآن الكريم ٢٨٤**
محبَّة الله ٢٨٤
الله يحب الصالحين ٢٨٥
محبة الله ورسوله أقوى من كل محبة ٢٨٧
محبة المؤمنين ٢٨٨
درجات المحبة ٢٨٩
حب يبغضه القرآن ٢٩٠
المؤمن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه ٢٩١
ثورة سوريا ٢٩٤
الانتخابات الرئاسيَّة في مصر ٢٩٨
❖ **١٦ ـ الفرح والحزن في القرآن الكريم ٣٠٤**
الجانب العاطفي في الإنسان ٣٠٤
استعاذة النبي من الهم والحزن ٣٠٥
عدم الاستسلام للأحزان ٣٠٦
طبيعة الحياة بين السراء والضراء ٣٠٨
النهي عن فرح البطر والغرور ٣٠٩
الفرح بنعمة الله وفضله ٣١٠
الفرح بثمرة العمل الصالح ٣١٢
فرح يعقوب بعودة يوسف ٣١٢
فرح أم موسى بنجاة ولدها ٣١٣
الفرح والحزن بلا إفراط أو تفريط ٣١٤
المسلم المستقيم فَرِح في الدنيا والآخرة ٣١٥
حزن الكافرين في الدار الآخرة ٣١٦
قضية الرسوم المسيئة ٣١٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قضية بنجلاديش ٣١٩
ثورة سوريا ورسالة لإيران ٣٢٢
❖ **١٧ ـ الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (١) ٣٢٨**
المُلك الحقيقي لله ٣٢٩
المُلك المجازي ٣٣٠
الملوك في القرآن الكريم ٣٣١
يوسف عليه السلام ٣٣١
موسى ليس ملكا ٣٣٤
طالوت عليه السلام ٣٣٦
داود عليه السلام ٣٣٩
إعانة المسلمين في بورما ٣٤٣
إعانة إخواننا في سوريا ٣٤٤
❖ **١٨ ـ الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٢) ٣٤٧**
سليمان عليه السلام ٣٤٨
عُلِّمنا منطق الطير ٣٤٩
ما لي لا أرى الهدهد ٣٥١
إنِّي ألقي إليَّ كتاب كريم ٣٥٣
يا أيُّها الملأ أفتوني في أمري ٣٥٤
إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ٣٥٥
إنِّي مرسلة إليهم بهدية ٣٥٦
أيكم يأتيني بعرشها ٣٥٧
قضية القدس والمسجد الأقصى ٣٦٠
صدور الحكم في قضيَّة معركة الجمل ٣٦١
ثورة سوريا ٣٦٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

❖ **١٩ ـ الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٣)** **٣٦٨**
الملك الحقيقي لله ٣٦٨
الله تعالى يؤتي الملك من يشاء ٣٦٩
سليمان عليه السلام ٣٧٠
ملكة سبأ ٣٧٢
ذو القَرْنَيْن ٣٧٤
غزة دار العزة ٣٧٧
وقفة مصريَّة من أجل غزَّة ٣٨١
ملاحظات على مسودة الدستور المصري ٣٨٣
❖ **٢٠ ـ الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٤)** **٣٨٨**
ذو القرنَيْن ٣٨٨
حقيقة ذي القَرْنَيْن ٣٨٩
الابتلاء يعقبه التمكين ٣٩٠
ربط الأسباب بالمسببات ٣٩١
رحلة إلى المغرب ٣٩١
الملك العادل ٣٩٢
رحلة إلى المشرق ٣٩٣
رحلة بين السدين ٣٩٤
يأجوج ومأجوج ٣٩٥
فأعينوني بقوة ٣٩٥
بناء السد الَّذي يمنع المعتدين ٣٩٦
هذا رحمة من ربي ٣٩٧
القرآن يهتم بموضع العبرة لا بالتفاصيل ٣٩٩
الملك النمروذ ٣٩٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فبهت الَّذي كفر ٣٩٩
اعتبار فلسطين عضوًا مراقبًا في الأمم المتحدة ٤٠١
ثورة مصر ٤٠٢
ثورة سوريا ٤٠٥
❖ **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٤١١**
❖ **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٤٥٣**
❖ **فهرس الموضوعات** **٤٦١**

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية